دولة ماليزيا
وزارة التعليم العالي (KPT)
جامعة المدينة العالمية
كلية العلوم الإسلامية
قسم الدعوة وأصول الدين

الولاء والبراء وأثره في اجتماع الأمة وتفرقها

بحث تكميلي مقدَّم لنيل درجة الماجستير في الدعوة وأصول الدين

اسم الباحث
اميمة فتحي حسين عبد الرحيم

تحت إشراف
د. راضي عبد الله

العام الجامعي
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

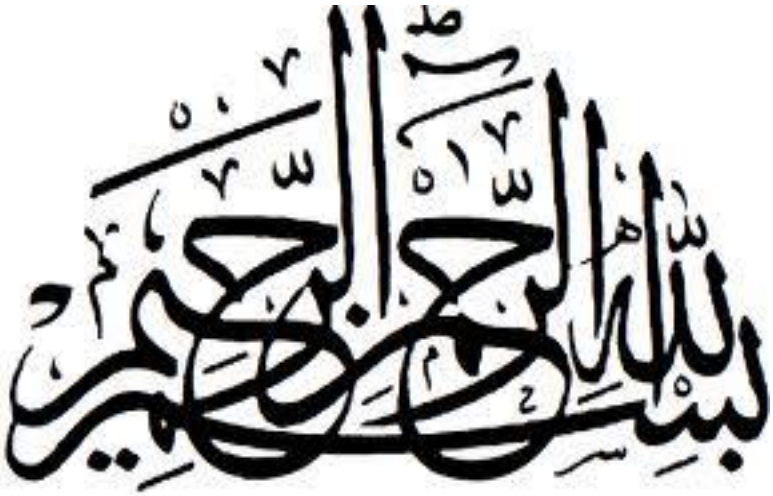

صفحة الإقرار

صفحة الإقرار

أقرت جامعة المدينة العالمية بماليزيا بحث الطالب (**اميمة فتحي حسين عبد الرحيم**) من الآتية أسماؤهم:

المشرف

د. راضي عبد الله

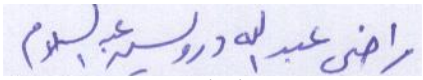

د. وليد طنطاوي

الممتحن الداخلي

د. عبد الله شاكر الجنيدي

الممتحن الخارجي

أحمد محمد عبد العاطي

الرئيس

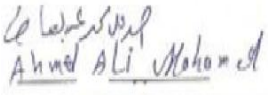

APPROVAL PAGE

has been) The dissertation of (OMAIMA FATHY HISSEIN
the following approved by

Supervisor

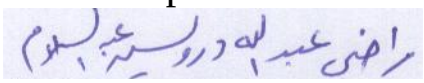

Internal Examiner

External Examiner

Chairman

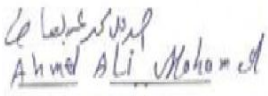

إعلان

أقر بأن هذا البحث هو من عملي الخاص، قمتُ بجمعه ودراسته، وقد عزوت النقل والاقتباس إلى مصادره.

اسم الطالب: **اميمة فتحي حسين عبد الرحيم**

التوقيع:

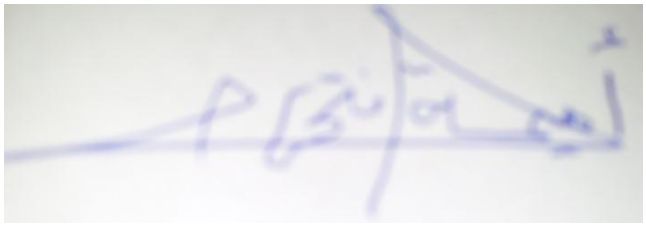

التاريخ:

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is the result of my own investigation, except where otherwise stated.

Student's name: *OMAIMA FATHY HISSEIN*

:Signature

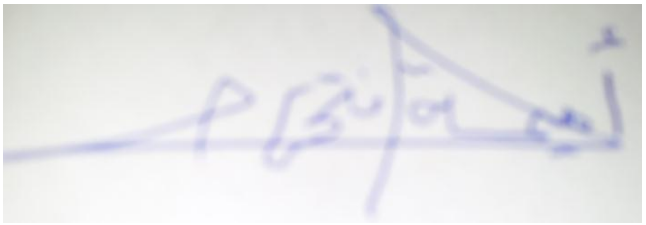

:Date

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠٠٩ © محفوظة لـــ (اميمة فتحى حسين)

عنوان البحث: " الولاء والبراء وأثره في اجتماع الأمة وتفرقها"

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل أو صورة من دون إذن مكتوب من الباحث إلاّ في الحالات الآتية:

١. يمكن الاقتباس من هذا البحث بشرط العزو إليه.

٢. يحق لجامعة المدينة العالمية بماليزيا الإفادة من هذا البحث بشتى الوسائل وذلك لأغراض تعليمية، وليس لأغراض تجارية أو تسويقية.

٣. يحق لمكتبة جامعة المدينة العالمية بماليزيا استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات، ومراكز البحوث الأخرى.

أكّد هذا الإقرار: أميمة فتحى حسين

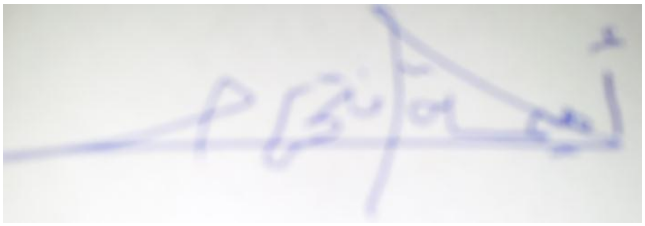

التوقيع

التاريخ

ملخص الدراسة

الحَمْدُ لله ربِّ العَالَمين، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى أَفْضل المُرْسلينَ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمعينَ، ومَنْ تَبِعهُمْ بِإِحْسانٍ إِلَى يَوْم الدِّين.

أمَّا بَعْد:

فيهدفُ هذا البحثُ إلى التعريف بعقيدة الولاء والبراء، وإبراز أهميتها، وأثرها في اجتماع الأمة وتفرُّقِها، وعوامل قُوَّتِها وضَعْفِها، **وذلك من خلال بيان:**

١. أنَّ الوَلاء والبَرَاء أصلٌ من أصول الإسلام، وشَرْطٌ مِن شُروط الإيمان.

٢. أنَّ هذا المَفهومَ العَقَديَّ المُهمَّ -الولاء والبراء- في غياب عن واقع المسلمين اليوم إلا مَن رَحِم الله.

٣. أنَّ انحراف هذه العقيدة عن مَسَارها الصحيح أدَّى إلى تَفَرُّق الأُمَّة، وضَعْفها على مَرِّ العُصور.

٤. أنَّ هذا الانحرافَ كان نتيجة عِدَّة عوامل تَختلف على مَرِّ التاريخ الإسلامي.

٥. أنَّ عَوْدَة هذه العقيدةِ ضَرُورة اليوم؛ لِرَأْبِ الصَّدْع، ولَمِّ الشَّمْل، ومُواجهة الأعداء.

وانطلاقًا من الدَّوَافع السَّابقة ارتكز هذا البحثُ على أربعة أُسس:

الأول: دراسة عقيدة الولاء والبراء كَأَصْل مِن أُصول الدِّين، وشَرْطٍ مِن

شروط الإيمان.

الثاني: استقراء أَثَر هذه العقيدة في اجتماع الأمة وتَفَرُّقها من خلال دراسة بعض نماذج من التاريخ الإسلامي

الثالث: دراسة عَوَامل ضَعْف هذه العقيدة، وعوامل قُوَّتها.

الرابع: رُؤية مستقبلية لأثر هذه العقيدةِ في اجتماع الأمة سياسيًّا واقتصاديًّا، والتي أَلْمَحْتُ فيها إلى أنَّ عقيدة الولاء والبراء كَفِيلةٌ بأن تُغَيِّر مِن مَلَامح العالم الإسلامي اليوم.

هذا، واللهَ أسألُ أن يَقبل هذا العمل، وأن يَجعله خالصًا لوجهه الكريم.

Abstract

All the praises be to Allah, the lord of the worlds, and peace and blessings of Allah upon the noblest of the messengers, his folks companions and those who follow them with benevolence to dooms day.

This research aims to clarify the principle of devotion (walaa) and disclaimer (baraa), its importance and effect on the unified entity of the nation or else being (dispersed), throughout:

1. Devotion and disclaimer is one of the bases of Islam, and a term of faith.

2. Such an important doctrine concept (devotion and disclaimer) is utterly absent in the Muslims reality status today except those blessed by Allah.

3. The go-astray of such doctrine to be off-road lead to weakening and dispersing the nation.

4. That off-road was due to different factors throughout Islamic history.

5- It is essential today to restore such a principle (decree) back to unify and fill the gap to stand off the enemies.

Throughout the previous motives, my procedure and method in this research is based on four bases:

First: study of devotion and disclaimer principle as one of the religion bases, and a term of faith.

Second: inquisition of the effect of that principle on the unity or disperse of the nation throughout history.

Third: study of strength and weakness factors of that principle.

Fourth: a foresightedness for the effect of that principle on the nation's unity economically and politically, in which I referred to the principle of (devotion and disclaimer as being sufficient to change the Islamic world today), so, I pray Allah to accept this work and be purely for the Most Generous.

شُكْرٌ وتَقْدِيرٌ

أَحْمَدُ اللهَ تَعَالى وأَشْكُره على تَيسيرِه، وتَوْفِيقه وعَوْنه، ثم أَتَقَدَّمُ بخالص الشُّكر، وعَظِيم التَّقدير والعِرْفَان وَوَافِر الاحترام والإِجْلال والإِكْبَار لأَسَاتِذَتِي الكِرَام أَعْضَاء لَجْنَةِ المُنَاقشة؛ لِقَبُولِهم قِرَاءة هذا البَحْث المُتَواضِع، وتحمُّلِ عَنَاء السَّفَرِ ومَشَقَّتِه. فَأَتَقَدَّم بالشُّكر إلى شَيْخِي وأُستاذي فَضِيلة الأستاذ الدُّكتور: عبد الله شَاكِر الجُنَيْدِي- أُسْتَاذ العَقِيدة الإِسْلَامِيَّة، والوَكِيل المُسَاعد لِشُئون الدِّرَاسات العُليا بالجَامِعَة.

وفَضِيلة الدُّكتور: أَحْمَد عَلِي عبد العَاطي- رَئِيس اللجْنَة، وَوَكِيل عِمَادة الدِّرَاسات العُليا بالجَامِعَة.

وفَضِيلَة الدُّكتور: وَلِيد الطَّنْطَاوي- الأُسْتَاذ المُسَاعد بِقِسْم (الدَّعْوة وأُصُول الدِّين) بكليَّة العُلوم الإسلاميَّة بالجامعة.

وفَضِيلة الدُّكتور: رَاضي عبد الله دَرْوِيش- الأُسْتَاذ المُسَاعد بِقِسم (الدَّعْوة وأُصُول الدِّين) بكليَّة العُلوم الإسلاميَّة بالجَامِعَة. حفِظَهُم اللهُ جميعًا، وجَزَاهم عَنِّي خَيْرَ الجَزَاء، وبَارَكَ فيهم وفي جُهْدِهم وعِلْمِهم وعَمَلِهم.

كَمَا أَخُصُّ بالشُّكرِ جَامِعَةَ المَدِينة العَالَمِيَّة بِمَالِيزيا مُمَثَّلَةً في مَسْؤُوليها كَافَّة عَلَى مَا أُتِيحَ لِي مِن فُرْصَةٍ لِطَلَبِ العِلم، وخِدمةٍ لتحصيله، وَكَذَا كُل مَن قَدَّمَ لِي خِدْمةً، أَوْ أَسْدَى إليّ تَوْجِيهَاتٍ مِن الأَسَاتِذَةِ الكِرَام.

فهرس المحتويات

ملخص الدراسة ١

ABSTRACT ١٠

شُكْرٌ وتَقْدِيرٌ ١١

فهرس المحتويات ١٢

المقدمة ١٧

- أهمية الموضوع، وأسباب اختياره: ١٩

الفصل الأوَّل مقدمة في الولاء والبراء ٢٦

المبحث الأوَّل الولاء والبراء في اللُّغة والاصطلاح ٢٧

- الولاء لُغة: ٢٧
- الولاء اصطلاحًا: ٢٩
- البراء لغةً: ٣١
- البراء اصطلاحًا: ٣١

المبحث الثَّاني أدلَّة الولاء والبراء من الكتاب والسُّنَّة ٣٣

- أوَّلاً: أدلَّة الولاء والبراء من الكتاب: ٣٣
- ثانيًا: الأدلَّة من السُّنَّة: ٣٩

المبحث الثالث: أقسام الناس في الولاء والبراء ٤٢
القسم الأوَّل: ٤٣
القسم الثَّاني: ٤٤
القسم الثَّالث: ٤٥
المبحث الرابع موالاة الكفار والأحكام المترتبة عليه عند أهل السُّنَّة..... ٤٩
المسألة الأولى: متى يكون الولاء لغير المسلمين كفرًا أكبر مخرجًا من الملة؟ ٥٢
المسألة الثَّانية: متى يكون الولاءُ لغير المسلمين كبيرةً غير مخرجةٍ من الملَّة؟ ٥٥
المسألة الثالثة: متى يكون موالاة غير المسلمين في الظاهر جائز؟ ٥٨
المسألة الرابعة: متى يكون حُبُّ غير المسلمين مَعفوًّا عنه؟ ٦٠
الفصل الثاني نماذج من التاريخ الإسلامي على أثر الولاء والبراء في اجتماع الأمة ٦٢
تمهيد: ٦٤
المبحث الأوَّل: اجتماع الأمَّة في عهد أبي بكر على البيعة ٦٤
المبحث الثَّاني: اجتماع الأمَّة في مواجهة المرتدين ٧٠
❑ أسباب الردة: ٧١
❑ أصنافها: ٧١
المبحث الثالث: عام الجماعة ١٤هـ ٧٨

المبحث الرابع: أثر الولاء والبراء في اجتماع الأمَّة في الفتوحات الإسلامية ومواجهة أعداء الأمَّة ٨٠

❑ تجلي عقيدة الولاء والبراء في مواجهة الصَّليبيِّين: ٨١

الفصل الثالث: نماذج من التاريخ الإسلامي على أثر ضعف الولاء والبراء في تفرق الأمَّة وهزيمتها ٨٩

تمهيد: ٩٠

المبحث الأوَّل: تفرق الأمَّة في العصر العباسي الثاني ٩٢

❑ المطلب الأوَّل: ضعف الخلافة العباسيَّة، وتفرُّق الأمَّة إلى دويلاتٍ مستقلةٍ (عصر نفوذ الترك) ٢٣٢هـ-٣٣٤هـ/ ٨٤٧م-٩٤٥م: ٩٢

❑ المطلب الثَّاني: سقوط بغداد (٦٥٦هـ): ٩٥

❑ المطلب الثَّالث: سقوط الأندلس(٨٩٧هـ-١٤٩٢م): ٩٧

المبحث الثاني: تفرق الأمَّة في العصر الحديث ١٧٩٨م ١٠٠

المطلب الأوَّل: سقوط آخر خلافة إسلامية (الخلافة العثمانية)١٣٤٢هـ-١٩٢٤م: ١٠٠

الفصل الرابع عوامل ضعف الولاء والبراء على مر العصور، وفيه أربعة مباحث: ١٠٦

تمهيد ١٠٧

المبحث الأوَّل النِّفاق ١٠٧

المبحث الثَّاني الانحراف العقدي ١١٣
❑ من هذه الفرق المنحرفة عقديًّا: «الشيعة»: ١١٤
❑ ومن الفرق المنحرفة عقديًّا كذلك: «الصوفية»: ١١٨
❑ ومن الانحرافات العقديَّة: الإرجاء: ١٢١
المبحث الثالث: الغزو الفكري ١٢٤
❑ أبرز دعاة التَّغريب في البلدان الإسلاميَّة: ١٢٧
❑ أهداف دعاة التَّغريب وأساليبهم: ١٣٠
المبحث الرَّابع العصبيَّة واتِّباع الهوى ١٣٣
المبحث الخامس: الجهل ١٣٩
الفصل الخامس كيفية إحياء هذه العقيدة في الأُمَّة وعوامل قوتها ١٤٤
تمهيد ١٤٥
المبحث الأول: العلم بالكتاب والسُّنَّة، والاعتصام بهما ١٤٧
المبحث الثاني: الاجتماع على كلمة التوحيد، وتحقيق الأخوة الإيمانية، وترك التفرق إلى فرقٍ وأحزابٍ ١٤٩
المبحث الثالث: مواجهة أهل الأهواء ١٥٢
المطلب الأوَّل: مواجهة المنافقون: ١٥٣
المطلب الثاني: الانحراف العقدي: ١٥٦

المطلب الثَّالث: الغزو الفكري: ١٥٩

الفصل السادس (رؤية مستقبلية) أثر الولاء والبراء في اجتماع الأمة سياسيًّا واقتصاديًّا ١٦٧

المبحث الأول: وحدة الهدف و حسن التخطيط. ١٦٧

المبحث الثاني: وحدة الأمة على الصعيد السياسي والاقتصادي ١٦٧

النَّتائج والتَّوصيات ١٧٦

فهرس الآيات ١٨١

فهرس الأحاديث ١٨٦

ثبت المراجع ١٨٨

المقدمة

إنَّ الحَمْد لله، نحمدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذ بالله من شُرُور أنفسنا، ومن سَيِّئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضلَّ له، ومَنْ يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا ﷺ عبدُهُ ورسولُهُ.

أمَّا بعد: فلقد أنزل الله ﷻ كتابه، وأرسل به رَسُوله ﷺ، وجعله هدًى ونورًا يهدي به الله من اتَّبع رضوانه سُبُل السَّلام، وجعل من اتَّبعه من حزبه، وأهل ولايته، ومحبته، وجعل مَنْ أعرض عنه من حزب الشَّيطان، وجعلهم أهل عداوته وبغضه، وجعل علامة محبَّته تعالى اتِّباع رسوله ﷺ وولايته.

وأمر سبحانه عباده المؤمنين في غير موضعٍ من القرآن بولاية بعضهم بعضًا، ومن ذلك قوله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}[1]، وقوله: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}[2].

كما نَهاهُمْ عن موالاة الكفَّار والمشركين، من ذلك قوله تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي

---

[1] سورة التوبة، الآية: ٧١.

[2] سورة المائدة، الآية: ٥٥، ٥٦.

شَيْءٍ}[1]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ}[2]، إلى غير ذلك من الآيات الدَّالَّة على ضرورة الولاء للمؤمنين، والبراءة من الكافرين.

وقَدْ كانت حياةُ الصَّحابة صورةً حيَّةً، وتجسيدًا لهذه العقيدة الَّتي لطالما برزت مع نطقهم بالشَّهادتين، وكيف لا وهي من مقتضيات كلمة التَّوحيد، وشرطٌ من شروط الإيمان، وظَلَّت هذه العقيدةُ راسخةً قويةً ظهر أثرها في الفتوحات الإسلاميَّة، وظهور دولة الإسلام على دول الكافرين.

وما ضعفت هذه العقيدة وما انحرفت إلا مع بداية ظهور الفرق الَّتي شَقَّتْ عصا المسلمين، وتَفرَّق المسلمون على إثرها، ومن ثَمَّ شابها انحرافٌ في المفهوم والضَّوابط تزامنًا مع هذا التفرُّق، ومن ثَمَّ تَعدَّدت الولاءات، وتَشتَّت تبعًا لذلك.

ثمَّ ازدادت هذه العقيدةُ انحرافًا وضعفًا، بل واندثارًا عند بعض المسلمين، خاصةً في القرنين الأخيرين؛ الرابع عشر، والخامس عشر إثر حملات التَّغريب الَّتي استهدفت العالم الإسلاميَّ، وكان من نتيجة ذلك أن ضعفت هذه العقيدة الَّتي هي أصلٌ من أصول الدِّين عن واقعنا المعاصر إلاَّ مَنْ رحم ربك.

ولَّما كانت هذه العقيدة أصلًا من أصول الدِّين، ومن مقتضيات كلمة التَّوحيد، وكذلك من أسباب الاجتماع الَّذي أمرنا الله به، كان لزامًا على المسلمين أن يُحْيوا هذه العقيدة في نُفُوسهم، وأن يَعْلموا مَن أين أُوتُوا؟ وأن يعرفوا أهميَّة هذه العقيدة وأثرها في اجتماع الأُمَّة وعزَّتها.

---

[1] سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

[2] سورة الممتحنة، الآية: ١.

ومن هنا رأيت أن أتناول في دراستي أهميَّة هذه العقيدة (الولاء والبراء)، وأثرها في اجتماع الأُمَّة وتفرُّقها، وعوامل ضعفها وقوَّتها.

مشكلة البحث:

تَكْمُنُ مُشكلةُ البَحث أنَّ مَوضوع الولاء والبراء -وإن كَثُرت فيه التصانيفُ مِن قَبل- ولكن لم يَتَعَرَّض لهذه الجُزئيَّة مِن البَحث، وهي أَثَرُ الوَلاء والبَرَاء في اجتماع الأُمَّة وتَفرُّقها، ومِنْ ثَمَّ قُوَّتها وضَعْفها، وأَعْتَبِر أنَّ هذه الجُزئيَّة مِن الأَهَمِيَّة بمكان لِدِرَاستِها خاصَّة في عَصْرِنا هذا الذي تَكَادُ تَخْتَفِي فيه تمامًا مَلامِحُ هذه العَقِيدة، وفي ذَاتِ الوَقْتِ هِي مِن الأسبابِ الرَّئِيسةِ في اجتماعِ الأُمَّة وقُوَّتها، ومِن ثَمَّ رِفْعَتها بين الأُمم.

❑ أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:

١. أهميَّة هذا المَوْضوع تَرْجِعُ إلى أهميَّةِ هذه العَقِيدة (الولاء والبراء) مِن حيث إنَّها أَصْلٌ مِن أصول الإسلام، وشَرْطٌ مِن شُروط الإيمان.

٢. أنَّ الولاء والبراء مِن مُقتضيات كلمة التَّوحيد، ولن تتحقَّقَ كلمةُ التَّوحيد بعد توحيدِ الله ومُجَانبة الشرك إلاَّ بتحقيق الولاء لمن يستحقُّه، والبراء ممَّنْ يستحقُّه.

٣. أنَّ الله ﷻ أمرنا بالاجتماع، وعدم التفرُّق، وجعل تحقيق هذه العقيدة من عَوَامل هذا الاجتماع، وغيابها من عوامل التفرُّق.

٤. غياب هذا المفهوم العقدي المهم (الولاء والبراء) عن واقع المسلمين اليوم إلَّا من رحم ربُّك.

٥. انحراف هذه العقيدة عن مسارها الصَّحيح بسبب تَفشِّي دعوات الجاهليَّة الَّتي تدعو إلى القوميَّة، والوطنيَّة، وغير ذلك من المذاهب الهدَّامة الَّتي جعلت انتماء المسلم لأيِّ شيءٍ غير دينه، فتجد الكثير من المسلمين يوالي من يستحقُّ البراء، ويعادي من يستحقُّ الولاء.

٦. أهميَّة عودة هذه العقيدة اليوم لِرَأْبِ الصَّدع، ولَمِّ الشَّمل، ومواجهة الأعداء.

الدِّرَاسَات السَّابقة:

١. **موقف الاتِّجَاه العَقْلي الإِسْلامي المُعَاصر مِن قَضَايا الوَلاء والبَرَاء** لمضاوي بنت سليمان البسام (١٤٣٢هـ) رسالة ماجستير.

تهدف هذه الدِّرَاسة إلى الرَّدِّ على أصحابِ الاتِّجَاه العَقلي الإسلامي المعاصر، حيث اصطلح بعضُهم على تَسْمِية البَرَاءة مِن أعداء الله تَشْوِيهًا لتعاليم الإسلام، وعُدْوان على حُدود الله، فَلا وَلاء، وَلا بَرَاء، ولا تَقْسِيم للنَّاس لُمسلمٍ وكافرٍ بِدَعْوى نَبْذ التَّعَصُّب الدِّيني، والتَّقَارب بين الأديان، وقامت البَاحثة ببيان مَفَاسد هذا الموقف على الأُمَّة مِن تحريفٍ وتبديلٍ في أُصول الدِّين، ومَفَاهيمه، وإِضْعَاف الثِّقَة بهيمنة الدِّين وشموله، وكَذلك إِضْعاف مَفهوم الوَلاء والبَرَاء لَدَى المُسلمين وإِيقاعهم في مَفَاهيم مَغْلُوطة، وغير ذلك مِن مَفَاسد، كإِحْلال رَوَابط غير رابطة الدِّين؛ كالقوميَّة، والوَطنية، والقضاء على عالميَّة الإسلام.

وقد فَصَّلَت البَاحثةُ في بَيَان انحرافِ أصحابِ الاتِّجَاه العَقْلي الإسلامي في قَضَايا الوَلاء والبَرَاء، والرَّدِّ عليهم.

ويختلفُ بَحْثي عن هذا البَحْثِ مِن وُجوه:

- تناول بَحْثي جَوَانب أُخرى غير مَوقف الاتِّجَاه العَقلي الإسلامي أَثَّرَت في عقيدة الوَلاء والبراء تَتَابَعَت على مَرِّ العُصور؛ منها على سبيل المِثَال: النِّفاق- الاختلاف العَقَدي.
- القَضِيَّة الرَّئيسَة في بحثي هو بَيَان أَثَر تحقيق عَقيدة الوَلاء والبَرَاء في اجتماعِ الأُمَّة وتَفَرُّقها.

٢. **الولاء والبراء في الإسلام لمحمد بن سعيد بن سالم القحطاني** (١٤٠٢هـ)، رسالة ماجستير.

تهدف هذه الدِّراسةُ إلى إبراز عَقيدة الوَلاء والبَرَاء كمَفْهوم عَقَديٍّ من لَوَازم كَلمة التَّوْحيد، وأنَّ الوَلاء والبَرَاء هما الصُّورة الفِعلية للتَّطْبيق الوَاقِعي لهذه العَقيدة، وأنَّه لَن تَتحقق كَلِمَةُ التَّوْحيد في الأرض إلا بتحقيقِ الولاء لمن يَسْتحقه والبَرَاء ممن يَستحقه.

وقد قام البَاحث بِبَيان حقيقة الوَلاء والبراء ومُقْتَضَياته وصُوره في الماضي والحَاضر، ودور أَعْدَاء الإسلام وأَسَاليبهم في مُحَاربة المُسلمين فِكْرِيًّا، وإِضْعَاف هذه العقيدةِ، وإلقاء الضَّوْء عليها عَنْ طَرِيقِ وَسَائلِ الإِعْلام، ونَشْر كُتُب المُستشرقين، والعمل على إِضْعَاف وتَمْييعِ عَقيدة المُسلم مما كان له الأثرُ السَّيِّء على عَقيدة الوَلاء والبَرَاء.

ويَخْتَلِفُ بحثي عن هذا البحثِ مِن وُجوه:

- لَمْ يَتَطرَّق البَاحثُ إلى عَوَامل ضَعْف الوَلاء والبَرَاء الأخرى.

• لَمْ يَتطرَّق الباحثُ إلى أَثَر تَحقيق هذه العقيدةِ في اجتماعِ الأُمَّة وتَفَرُّقِها على مَرِّ العُصور، وهذه هي القضية الرئيسة في بَحْثي.

٣. **المُوَالاة والمُعَاداة، لمحماس الجلعود.** (١٩٨٧م)، رسالة ماجستير.

تَهْدِفُ هذه الدِّرَاسة إلى دَعْوة المُسلمين إلى فَهْم عقيدة الوَلاء والبَرَاء فهْمًا صَحيحًا، وأنَّها قضيةٌ مِن قضايا العَقيدة والعبادة، وأصلٌ مِن أصول الدِّين، ومِن ثَمَّ الحِرْص على تحقيقها لا سيما في هذا العَصْر الذي نحن فيه.

وقد بَيَّن البَاحثُ وفَصَّل في حقيقة الولاء والبراء ولَوَازمه، والتَّطبيق العَمَلي للوَلاء والبَرَاء، كما بَيَّن عَوَامل ضَعْف الوَلاء والبراء، وكذلك بَيَّن مَنْهج الوَلاء والبَرَاء مع أَهْلِ الأهواء والبِدَع، وكذا مَنْهج التَّعَامل مع الكُفَّار، وبَيَّن مَظَاهرَ الوَلاء لهم، والعُقوبات المُترتبة على ذلك، وخَتَمَ بواقعِ المُسلمين اليوم مِن مُوَالاة المُؤمنين ومُعَاداة الكافرين، ومَا آلَتْ إليه هذه العقيدةُ.

وَيَخْتَلِفُ بحثي عن هذا البحثِ مِن وُجوهٍ:

• بيان أَثَر عَقيدة الوَلاء والبَرَاء في اجتماع الأُمَّة وتَفُرُّقها، وهي القضيَّة الرَّئيسة في بحثي.

• بيان عَوَامل ضَعْف عَقيدة الوَلاء والبَرَاء على مَرِّ العُصور.

• بيان كيفيَّة إِحْيَاء هذه العقيدةِ، وعَوَامل قُوَّتِها.

• بيان أَثَر تحقيق هذه العَقيدة في اجتماع الأُمَّة سِيَاسِيًّا واقتصاديًّا.

وانطلاقًا مِن ذلك، كان منهجي في الرِّسالة يقومُ على أربعة أُسسٍ:

الأوَّل: دِرَاسة عَقيدة الوَلاء والبَرَاء كأصلٍ مِن أُصُول الدِّين، وشَرْطٍ من

شُرُوط الإيمان.

الثَّاني: استقراء أَثَر هذه العقيدةِ في اجتماع الأُمَّة وتَفرُّقها مِن خَلال دِرَاسة نَمَاذج من التاريخ الإسلامي.

الثَّالث: دراسة عَوَامل ضَعْف هذه العقيدة، وعَوَامل قُوَّتها.

الرَّابع: رُؤية مُستقبليَّة لأثر هذه العقيدة في اجتماع الأُمَّة سياسيًّا واقتصاديًّا.

وتبعًا لذلك قَسَّمتها ستَّة فُصولٍ:

الفصل الأوَّل: مقدمة في الولاء والبراء(دراسة تأصيلية)من خلال دراسة:

١. الولاء والبراء في اللُّغة والاصطلاح.

٢. أدلَّة الولاء والبراء من الكتاب والسُّنَّة.

٣. أقسام النَّاس في الولاء والبراء.

٤. مُوَالاة الكفَّار والأحكام المترتِّبة عليه عند أهل السُّنَّة.

الفصل الثَّاني: نماذج من التاريخ الإسلامي على أثر الولاء والبراء في اجتماع الأُمَّة من خلال دراسة:

١. اجتماع الأُمَّة في عهد أبي بكرٍ ﷺ على البيعة.

٢. اجتماع الأُمَّة على محاربة المرتدِّين.

٣. اجتماع الأُمَّة في عام الجماعة.

٤. اجتماع الأُمَّة في مواجهة الصليبيين.

الفصل الثَّالث: نماذج من التاريخ الإسلامي على أثر ضعف الولاء والبراء في

تفرُّق الأُمَّة، وهزيمتها من خلال دراسة:

١. تفرُّق الأُمَّة في العصر العبَّاسي الثَّاني.

٢. تفرُّق الأُمَّة في العصر الحديث.

الفصل الرَّابع: عوامل ضعف الولاء والبراء على مرِّ العصور من خلال:

١. النِّفاق.

٢. الانحراف العقدي.

٣. الغزو الفكري.

٤. العصبيَّة، واتِّباع الهوى.

٥. الجهل.

الفصل الخامس: كيفيَّة إحياء هذه العقيدة في الأُمَّة، وعوامل قوَّتها من خلال:

١. العلم بالكتاب والسُّنَّة، والاعتصام بهما.

٢. الاجتماع على كلمة التَّوحيد، وتحقيق الأُخوَّة الإيمانيَّة، وترك التفرُّق إلى فرقٍ وأحزابٍ.

٣. مواجهة أهل الأهواء (المنافقون- الفرق المنحرفة- الغزو الفكري والعمل على التَّخلُّص من كلِّ ما خَلَّفه الاحتلال).

الفصل السَّادس: أثر الولاء والبراء في اجتماع الأُمَّة سياسيًّا واقتصاديًّا (رؤية مستقبليَّة) من خلال: .

١. **المبحث الأول:** وحدة الهدف وحسن التخطيط

٢. **المبحث الثاني:** خطوات على الصَّعيد السياسي والاقتصادي.

الفصل الأوَّل
مقدمة في الولاء والبراء

المبحث الأوَّل: الولاء والبراء في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثَّاني: الأدلَّة من الكتاب والسُّنَّة.

المبحث الثَّالث: أقسام النَّاس في الولاء والبراء.

المبحث الرَّابع: الأحكام المتعلِّقة بالولاء والبراء.

المبحث الأوَّل
الولاء والبراء في اللُّغة والاصطلاح

❑ الولاء والبراء في اللُّغة:

تعدَّدت التَّعريفات اللُّغوية لكلمتي الولاء والبراء، وكان لتعدُّدهما أثرٌ واضحٌ في التَّعريفات الاصطلاحيَّة.

الولاء لغةً: مصدر والى يوالي، وهو مأخوذٌ من مادَّة (ولي) الَّتي تدلُّ على القرب، يقال: تباعد بُعْد وَلْيٍ، أي: بعد قربٍ، وجلس ممَّا يليني، أي: يقاربني[(١)].

والموالاة في كلام العرب على وجوهٍ[(٢)]:

الأوَّل قال ابن الأعرابي[(٣)]: أن يتشاجر اثنان، فيدخل ثالثٌ بينهما للصُّلح، ويكون له في أحدهما هوى، فيواليه أو يحابيه.

---

(١) انظر: أبو الحسين، أحمد بن فارس، **مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة: دار الفكر ١٩٦٩م)، مادة (ولي)، ١٤١/٦.

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، أعاد ترتيبه: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد، وهاشم الشاذلي (القاهرة: دار المعارف ١٩٨١م)، مادة (ولي)، م٦/ ج٥٥/ ٤٩٢٢- ٤٩٢٣.

(٣) هو محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي الكوفي، (١٥٠-٢٣١هـ)، راويةٌ، نَاسِبٌ، عَلامة باللغة، مِن أهل الكوفة، له تَصانيف منها: (أسماء الخيل وفرسانها)، و(تاريخ القبائل)، و(النوادر)، و(تفسير الأمثال)، وغيرها. انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط١٥ (بيروت: دار العلم للملايين ٢٠٠٢م)، ١٣١/٦.

الثَّاني: الموالاة: المحبَّة، يقال: وَالَى فُلانٌ فلانًا إذا أحبه.

الثَّالث: التميُّز؛ قال الأزهريُّ[1]: سمعت العرب تقول: وَالَوْا حواشي نعمكم عن جلَّتها، أي: اعزلوا صغارها عن كبارها، يقال: والِيناها فتوالت إذا تميَّزت.

والوليُّ: الصَّديق والنَّصير.

وقيل: التابع المُحب.

وقال أبو العبَّاس في قوله ﷺ: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ**»[2]، أى: من أحبَّني وتولاَّني فَلْيَتَوَلَّه.

وقال الشافعيُّ[3]: يعني بذلك ولاء الإسلام؛ كقوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ}[4].

---

[1] هو محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي (٢٨٢-٣٧٠هـ)، أَحَدُ الأئمة في اللغة والأدب، مولده ووفاته بهراة بخراسان، عني بالفقه، واشتهر به، ثم غَلَبَ عليه التبحر في اللغة العربية، مِن كتبه: (غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء)، و(تفسير القرآن)، وغيرها. انظر: الزركلي، مصدر سابق ٣١١/٥.

[2] صحيح، أخرجه النسائي في «السنن الكبرى»، كتاب الخصائص، باب ذكر خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، حديث رقم: ٨٣٤٣.

[3] هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن نافع الهاشمي القرشي المُطلبي، أبو عبد الله (١٥٠-٢٠٤هـ)، أحدُ الأئمة الأربعة عند أهل السُّنَّة، وإليه نسبة الشافعيَّة كلها، وُلِدَ في غَزَّة بفلسطين، وحَمَل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، وقصد مصر في عام ١٩٩هـ فتُوفِّي بها، بَرَع في الشِّعر واللغة وأيام العرب، ثم أَقبل على الفقه والحديث، وكان ذَكِيًّا مُفرطًا، له تصانيف كثيرة أشهرها: كتاب (الأم) في الفقه، و(المسند) في الحديث، و(الرسالة) في أصول الفقه وغيرها. انظر: الزركلي، مرجع سابق ٢٦/٦.

[4] سورة محمد، الآية: ١١.

وقوله تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِين آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِين كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِهُمْ فِيهَاخَالِدُون}[1]. وليهم في نصرهم على عدوِّهم، وإظهار دينهم على دين مخالفيهم. وقيل: وليهم، أي: يتولى ثوابهم ومجازاتهم بحسن أعمالهم.

❑ **الولاء اصطلاحًا**: الولاية هي النُّصرة، والمحبَّة، والإكرام، والاحترام، والكون مع المحبوب ظاهرًا وباطنًا.

الوليُّ له معانٍ اصطلاحيَّة عديدة، منها:

الوليُّ: هو الَّذي تولاَّه الله بالطاعة، ويتولاه الله بالكرامة[2].

وقيل: الولي: فعيل، بمعنى فاعل: هو مَنْ توالت طاعاته من غير أن يَتخلَّلها عصيانٌ[3].

وقيل: إن لفظ الموالاة مشتقٌّ من الولاء، وهو الدُّنو والتقرُّب، والولاية ضد العداوة، والمؤمنون أولياء الرَّحمن، والكافرون أولياء الطَّاغوت والشَّيطان، لقرب الفريق الأوَّل من الله بطاعته وعبادته، وقُرْب الفريق الثَّاني من الشَّيطان بطاعة أمره،

---

[1] سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

[2] انظر: أبو حيان (البحر المحيط ٥/١٧٥) عن **نضرة النعيم**، إشراف: صالح بن عبد بن حميد وعبد الرحمن بن عبد الرحمن بن ملوح، ط٧، (جدة: دار الوسيلة، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م) ٨/ ٣٦٨٩.

[3] انظر: الزبيدي، محمد مرتضى، **تاج العروس**، ط١، تحقيق: ضاحي عبد الباقي (الكويت: التراث العربي ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ج٤٠ /٢٥٣.

وبُعْدهم عن الله بعصيانه ومخالفته[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٢]: «الولاية: ضد العداوة. وأصل الولاية: المحبَّة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد.

فإذا كان وليٌّ لله هو الموافق المتابع له فيما يحبُّه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه، ويأمر به وينهى عنه،كان المعادي لوليِّه معاديًا له، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ}[٣]؛ فَمَن عادى أولياء الله فقد عاداه، ومَنْ عاداه فقد حاربه. اهـ»[٤].

أوليته، ووليته، والمعنى أي: أدنيتَهُ إلى نفسك، أمَّا التَّولِّي: فهو تقديم كامل المحبَّة والنُّصرة للمتولَّى[٥]، يقال: تولَّاه: اتَّبعه ورضي به[٦]، ومنه قوله تعالى: {وَمَنْ

---

[١] ياسين، محمد نعيم، **الإيمان أركانه، حقيقته، نواقضه**، ط١، (القاهرة: مكتبة السُّنَّة ١٤١٢هـ-١٩٩١م) ص١٧١.

[٢] ابن تيمِيَّة، (٦٦١-٧٢٨هـ، ١٢٦٣-١٣٢٨م). هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ابن أبي محمد: عبد الله تقي الدين، ابن تيمية: الإمام شيخ الإسلام، كان آية في التفسير والأصول، فَصِيح اللسان، كان كثيرَ البَحث في فُنون الحِكمة، دَاعِيًا إلى إصلاح في الدِّين، بَلَغَتْ مُؤلفاته ثلاث مئة مُجَلَّد، منها: السياسة الشرعية، الفتاوى وغيرها. انظر: الزركلي، مصدر سابق، ١٤٤/١

[٣] سورة الممتحنة، الآية: ١.

[٤] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، ط١(بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م) ص١١.

[٥] انظر: الزبيدي، محمد مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ط١، تحقيق ضاحي عبد الباقي (الكويت: التراث العربي ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) ج٢٥٣/٤٠.

[٦] انظر: الزبيدي، مصدر سابق ٢٥٦/٤٠.

يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُم}[1].

❑ **البراء لغةً**: مصدر قولهم: برئت منك، وهو مأخوذٌ من مادة (برأ) الَّتي تدلُّ على التباعد من الشيء ومزايلته، ومن ذلك البرؤ، وهو السَّلامة من السقم، والوصف من ذلك: براء على لغة أهل الحجاز، وأنا بريءٌ منك على لغة غيرهم، وقد جاءت اللُّغتان في القرآن الكريم، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُون}[2]، وقال تعالى: {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَال لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّاكَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}[3].

وقال الراغب: أصل البرء والبراء والتبرؤ: التَّفصِّي (التباعد) ممَّا يُكره مُجَاورته، ولذلك قيل: برأت من المرض، ومن فلانٍ، وتبرأت وأبرأته من كذا، وبرأته.

وقال ابن الأعرابي: برئ إذا تخلَّص، وبرئ إذا تنزَّه وتباعد، وبرئ إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّه وَرَسُولِهِ}[4]، أي: إعذار وإنذار، والبراء والبريء سواء.

وليلة البراء: ليلة تبرؤ القمر من الشمس، وهي أول ليلةٍ من الشَّهر[5].

❑ **البراء اصطلاحًا**: والبراء هو: بغض الطواغيت[1] الَّتي تُعْبد من دون الله تعالى؛

---

[1] سورة المائدة، الآية: ٥١.
[2] سورة الزخرف، الآية: ٢٦.
[3] سورة الحشر، الآية: ١٦.
[4] سورة التوبة، الآية: ١.
[5] انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، مادة: (برأ) م١ /ج٤/ص٢٤١.

من الأصنام المادية والمعنوية: كالأهواء والآراء، وبغض الكفر بجميع مِلَلِهِ وأتباعه الكافرين، ومعاداة ذلك كله[٢].

قال الشيخ السعدي[٣]: «وحيث إنَّ الولاء والبراء تابعان للحب والبغض، فإنَّ أصل الإيمان أن تحبَّ في الله أنبياءه وأتباعهم، وتبغض في الله أعداءه وأعداء رسله».اهـ[٤].

خلاصة ما تقدَّم أنَّ الولاء شرعًا هو: حبُّ الله تعالى ورسوله، ودين الإسلام

---

[١] **الطاغوت**: فَعَلُوت من الطغيان، والطغيان: مجاوزة الحد، وهو الظلم والبغي. فالمعبود من دون الله إذا لم يكن كارهًا لذلك فهو طاغوت. والمُطاع في معصية الله، والمطاع في اتباع غير الهدى ودين الحق هو طاغوت. انظر: ابن تيمية، الفتاوى، ١١٣/٢٨.
وقال ابن القيم: «كُلُّ مَا تَجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع، فالمعبود كالصنم، والمتبوع كالعالم، والمطاع كالأمير. انظر: العثيمين، صالح «القول المفيد على كتاب التوحيد»، ط١، (الرياض: مؤسسة الرسالة ١٤١٩هـ) ١/ ٣٩.

[٢] انظر: الشريف، حاتم عارف، **الولاء والبراء بين الغلو والجفاء، ط٢** (الرياض: دار الصُّميعي ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م) ص٩.

[٣] هو الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي، من قبيلة تَمِيم، وُلِد في بلدة عُنيزة في القصيم، وذلك بتاريخ ١٢ محرم عام ألف وثلاث مئة وسبع من الهجرة النبويَّة، اسْتَرْعَى الأنظارَ مُنذ حَدَاثة سِنِّه بذكائه ورَغبته الشديدة في العلوم، وقد قرأ القرآنَ بعد وَفَاة والده، ثم حَفظه عن ظهر قلب وأَتْقَنَه وعمره أحد عشر سنة، ثم اشتغل بالتعلُّم على علماء بلده، وعلى مَنْ قَدِم بلده من العلماء، فاجتهد وَجَدَّ حتى نال الحظَّ الأوفر مِن كُلِّ فنٍّ من فنون العلم، ولما بلغ من العمر ثلاثًا وعشرين سنةً جلس للتدريس، فكان يتعلم ويُعَلِّم، ويَقضي جميع أوقاته في ذلك حتى إنَّه في عام ألف وثلاث مئة وخمسين صار التدريس ببلده رَاجعًا إليه، ومُعَوَّل جميع الطلبة في التعلم عليه «المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصربن». «أعضاء ملتقى أهل الحديث» ١٥٢/١.

[٤] انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، الفتاوى السعدية، ط٢، (الرياض: مكتبة المعارف ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م)، ٩٨.

وأتباعه المسلمين، ونُصْرة الله تعالى ورسوله، ودين الإسلام وأتباعه المسلمين، والبراء هو بغضُ الكفر وأهله وأتباعه، وأنَّ الولاء والبراء من أعمال القُلُوب، ولكن تظهر مُقتضياتهما على اللِّسان والجوارح.

المبحث الثَّاني: أدلَّة الولاء والبراء من الكتاب والسُّنَّة

❑ أوَّلاً: أدلَّة الولاء والبراء من الكتاب:

لَّما كانت عقيدة الولاء والبراء أصلًا من أصول الدِّين، ومن مقتضيات كلمة التَّوحيد، حرص القرآن على بيان هذه العقيدة وترسيخها في نفوس المؤمنين في أكثر من موضعٍ، وعند تَتبُّع الآيات القرآنيَّة الَّتي تَتحدَّث عن الولاء والبراء، وجدت أنَّها تعددت وتكررت في غير موضع من كتاب الله، وإن دلَّ هذا على شيء فإنَّما يدلُّ على عظم هذه العقيدة وأهميتها، وأنَّها بمثابة مناعة هذه الأُمَّة متى دُمِّرت؛ دُمِّر الجسد كلُّه.

قوله تعالى في وجوب موالاة المؤمنين: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}[1].

---

[1] سورة الأنفال، الآية: ٧٢-٧٣.

وقوله: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[1].

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[2]، وقوله تعالى {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}[3].

قال ابن جرير الطبري[4] **في «تفسيره»**: «ليس لكم أيُّها المؤمنون ناصرٌ إلاَّ الله ورسوله والمؤمنون، الَّذين صِفَتهم ما ذَكر تَعَالى ذِكْرُه، فأمَّا اليهود والنَّصارى الَّذين أمركم الله أن تبرؤوا من ولايتهم، ونَهَاكم أن تَتَّخذوا منهم أَوْلِياء ولا نُصَرَاء، فليسوا لكم أولياء ولا نصراء، بل بعضهم أولياء بعض، ولا تَتَّخذوا منهم وليًّا ولا نصيرًا».

---

[1] سورة التوبة، الآية: ٧١.

[2] سورة المائدة، الآية: ٥١.

[3] سورة المائدة، الآية: ٥٥، ٥٦.

[4] ابن جرير الطبري، تُوفِّي سنة ٣١٠ هجرية. محمد بن جرير بن يزيد الطبري؛ أبو جعفر، الفَقِيه المُفَسِّر المُؤرخ، وُلِد فى آمل بطبرستان، قال عنه الإمام الذهبي: «ثقة، صادقًا، رأسًا في التفسير، إمامًا في الفقه والإجماع والاختلاف، علَّامة في التاريخ، وأيام الناس، عارفًا بالقراءات وباللغة، وغير ذلك، له عِدَّة تصانيف: «جامع البيان فى تفسير القرآن»، و«أخبار الرسل والملوك»، ويعرف بـــ«تاريخ الطبرى». انظر: الذهبي، «سير أعلام النبلاء»، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وأكرم البوشي ط١١، (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٩هـــ-١٩٩٨م)، ٢٦٧/١٤.

وقال في الآية الثَّانية: «وهذا إعلامٌ من الله تعالى ذكره عباده جميعًا -الَّذين تبرؤوا من حلف اليهود وخَلَعوهم؛ رضا بولاية الله ورسوله والمؤمنين، والَّذين تمسَّكوا بحلفهم، وخافوا دوائر السُّوء تدور عليهم، فسارعوا إلى مُوَالاتهم- بأَنَّ مَنْ وثق بالله، وتولَّى الله ورسوله والمؤمنين، ومَنْ على مثل حاله من أولياء الله من المؤمنين، لهم الغلبة، والدَّوائر والدَّولة على مَنْ عاداهم وحادهم؛ لأنَّهم حزب الله، وحزب الله هم الغالبون دون حزب الشيطان»[1].

قال تعالى في وُجُوب البراء من الكفَّار وأهل الكتاب: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ}[2].

قال السعديُّ $: «وهذا نهيٌ من الله تعالى للمؤمنين عن مُوَالاة الكافرين بالمحبَّة، والنُّصرة، والاستعانة بهم على أمرٍ من أمور المسلمين، وتوعد على ذلك، فقال: {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ}، أي: فقد انقطع عن الله، وليس له في دين الله نصيبٌ؛ لأنَّ موالاة الكافرين لا تجتمع مع الإيمان؛ لأنَّ الإيمان يأمر بموالاة الله، وموالاة أوليائه المؤمنين المتعاونين على إقامة دين الله، وجهاد أعدائه، قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}[3]، فمن وَالَى الكافرين من دون

---

[1] انظر: الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط١، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (القاهرة: دار هجر ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ج٨/٥٣١، ٥٣٢.

[2] سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

[3] سورة التوبة، الآية: ٧١.

المؤمنين الَّذين يريدون أن يطفؤوا نور الله، ويفتنوا أولياءه، خرج من حزب المؤمنين، وصار من حزب الكافرين؛ قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُم}[1].

وفي هذه الآية دليلٌ على الابتعاد عن الكفَّار، وعن معاشرتهم، وصداقاتهم، والميل إليهم، والرُّكون إليهم، وأنَّه لا يجوز أن يولَّى كافرٌ ولايةً من ولايات المسلمين، ولا يُسْتعان به على الأمور الَّتي هي مصالح لعُمُوم المسلمين[2].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ}[3].

يقول الشَّيخ السعديُّ $: «أي: اعملوا بمقتضى إيمانكم، من ولاية مَنْ قام بالإيمان، ومعاداة مَنْ عاداه، فإنَّه عدوٌّ لله وللمؤمنين، {تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ}، أي: تسارعون في مودَّتهم، والسَّعي في أسبابها، فإنَّ المودة إذا حصلت، تبعتها النُّصرة والموالاة، فخرج العبد من الإيمان، وصار في جملة أهل الكفران». اهـ[4].

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُم إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[5].

قال ابن جرير: «إنَّ الله -تعالى ذكره- نهى المؤمنين جميعًا أن يتَّخذوا اليهود

---

[1] سورة المائدة، الآية: ٥١.

[2] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن المعلا اللويحق. ط١، (الرياض: دار السلام ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) ج١/ص٢٨٥.

[3] سورة الممتحنة، الآية: ١.

[4] السعدي، مصدر سابق، ج٢/ص٩٧٢.

[5] سورة المائدة، الآية: ٥١.

والنَّصارى أنصارًا وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله، وأمَّا قوله: {بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}، فإنَّه عنى -تعالى ذِكْره- بذلك: أنَّ بعض اليهود أنصار بعضهم على المؤمنين، ويدٌ واحدةٌ على جميعهم، وأنَّ النَّصارى كذلك بعضهم أنصار بعضٍ على مَنْ خالف دينهم وملَّتهم، معرفًا بذلك عباده المؤمنين أنَّ مَنْ كان لهم أو لبعضهم وليًّا، فإنَّما هو وليُّهم على مَنْ خالف ملَّتهم ودينهم من المؤمنين، كما اليهود والنَّصارى لهم حربٌ.

فقال -تعالى ذِكْره- للمؤمنين: فكونوا أنتم أيضًا بعضكم أولياء بعض، ولليهوديِّ والنَّصراني حربًا،كما هم لكم حربٌ، وبعضهم لبعض أولياء؛ لأنَّ مَنْ والاهم فقد أظهر لأهل الإيمان الحرب، ومنهم البراءة، وأبان قطع ولايتهم، ويعني -تعالى ذكره- بقوله: {وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُم}، ومن يتول اليهود والنَّصارى دون المؤمنين {فَإِنَّهُ مِنْهُم}، يقول: فإنَّ مَنْ تولاَّهم ونصرهم على المؤمنين، فهو من أهل دينهم وملَّتهم، فإنَّه لا يتولى متولٍّ أحدًا إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راضٍ، وإذا رَضِيَه ورَضِي دينَه، فقد عَادَى ما خَالَفَه وسَخِطَه، وصار حُكْمُه حُكْمَه. اهـ[1]. الطبريُّ فسَّر الموالاة المطلقة بأنَّها الموالاة على الدِّين.

وقد أخبر الله ﷻ في غير موضعٍ من القرآن أنَّ هناك تلازمًا بين الإيمان، وبين الولاء والبراء، وأنَّ الإيمان بالله والنَّبيِّ مرتبطٌ بعَدَم ولاية الكفَّار، فثبوت موالاتهم يوجب عدم الإيمان؛ لأنَّ عدم اللَّازم يقتضي عدم الملزوم، ومن هذا قوله تعالى: {وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ

[1] ابن جرير، مصدر سابق (٨/٥٠٧- ٨/٥٠٨).

فَاسِقُونَ}[1].

قال ابن تيمية: «فذكر جملةً شرطيةً تقتضي مع الشَّرط انتفاء المشروط، فدلَّ ذلك على أنَّ الإيمان المذكور ينفي اتِّخاذهم أولياء، ويضادُّه، ولا يجتمع الإيمان واتِّخاذهم أولياء في القلب. ودلَّ ذلك أنَّ من اتَّخذهم أولياء ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله، والنبي، وما أنزل إليه». اهـ[2].

ومثل ذلك في التَّلازم بين أصل الإيمان، والولاء والبراء قوله تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُم أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْه وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[3].

يقول ابن عطية[4]: «نَفَتْ هذه الآية أن يُوجَد مَنْ يؤمنُ بالله تعالى حقَّ الإيمان، ويَلتزم شُعَبَه على الكمال يُوادُّ كافرًا أو منافقًا.

ومعنى يوادُّ: يكون بينهما من اللُّطف بحيث يودُّ كلُّ واحدٍ منهما صاحبه...

---

[1] سورة المائدة، الآية: ٨٠-٨١.

[2] ابن تيمية، أحمد، **كتاب الإيمان**، ط٥، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني (عمان: المكتب الإسلامي، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، ص١٤.

[3] سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

[4] هو الإمام العلامة، شيخ المفسرين، أبو محمد؛ عبد الحق ابن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية المحاربي الغرناطي، (٤٨٠هـ-٥٤١هـ)، وكان إمامًا في الفقه، والتفسير، والعربية، قَوِي المشاركة، ذكيًّا فَطِنًا مُدْرِكًا، من أوعية العلم، من مؤلفاته: «المحرر الوجيز» (الذهبي، سير أعلام النبلاء) ط١١، (بيروت: الرسالة١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ١٩ /٥٨٨.

ثمَّ قال: وتحتمل الآية أن يراد بها: لا يُوجد مَنْ يؤمن بالله والبَعْث يُوَادُّ مَن حَادَّ اللهَ مِن حيث هو مُحَادٌّ؛ لأنَّه حينئذٍ يودُّ المحادَّة، وذلك يُوجب ألَّا يكون مُؤمنًا».اهـ[1].

قال ابن تيمية: «فأخبر اللهُ أنَّك لا تَجِد مُؤمنًا يُوَادُّ المُحَادِّين لله ورسوله، فإنَّ نَفْس الإيمان يُنَافي مُوادَّته، كما ينفي أحد الضِّدَّين الآخر، فإذا وجد الإيمان انْتفَى ضدُّه، وهو مُوَالاة أعداء الله، فإذا كان الرَّجل يوالي أعداء الله بقلبِهِ، كان ذلك دليلًا على أنَّ قلبه ليس فيه الإيمان الواجب». اهـ[2].

وهذا إخبارٌ عن الواقع أنَّه لا وجود لمؤمنٍ حق يحبُّ ويوادُّ الكافرين لكفرهم، وإنَّما تكون محبته لهم المحبة الطبيعيَّة الَّتي تكون بين الوالد وولده، والزوج وزوجه الكتابيَّة، والَّتي جوَّزها الشَّرع.

❑ ثانيًا: الأدلَّة من السُّنَّة:

الحديث الأوَّل: عن عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ -جهارًا غير سرٍّ- يقول: «**إنَّ آل أبي -يعني فلانًا- ليسوا بأوليائي، إنَّما وليي الله وصالح المؤمنين**».

زاد عنبسة بن عبد الواحد، عن بيان، عن قيس، عن عمرو بن العاص، قال:

---

[1] ابن عطية، عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط١، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ج٥/٢٨٢.

[2] ابن تيمية، **مجموعة الفتاوى**، تحقيق: عامر الجزار، وأنور الباز، ط٢، (المنصورة: دار الوفاء ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ١٥/٧، وفي ط ابن القاسم ١٧/٧.

سمعت النبيَّ ﷺ قال: «**ولكن لهم رَحِم أَبَلُّها بِبلالِها**»، يعني: أَصِلُها بِصِلَتِها[1].

قال النوويُّ: «معنى الحديث: أنَّ وليِّي من كان صالحًا وإن بعد منِّي نسبه، وليس وليي مَنْ كان غير صالحٍ وإِنْ قرب منِّي نسبه». اهـ[2].

قال القرطبي[3]: «فائدة الحديث انقطاعُ الولاية في الدِّين بين المسلم والكافر، ولو كان قريبًا حميمًا»[4].

قال ابن حجر[5] **في قوله** ﷺ: «**ولكن لهم رَحِم أَبَلُّها بِبلالِها**»: «فكأنَّه قال: أصلها بالمعروف اللاَّئق بها، والبلال بمعنى: البلل، وهو النَّداوة، وأُطلق ذلك على الصِّلة كما أطلق اليَبس على القطيع.

وقال الخطابيُّ وغيره: بللت الرَّحم بلًّا وبللًا وبلالًا، أي: نَدَّيتها بالصِّلة».

---

(1) البخاري- الفتح، كتاب الأدب، باب تبل الرحم ببلالها ١٣/١٠، رقم الحديث ٥٩٩٠.

(2) العسقلاني، ابن حجر، **فتح الباري**، ط٢، (القاهرة: دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م)، ٤٣٥/١٠.

(3) القرطبي: هو الإمام الفقيه العالم المجتهد شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الأندلسي القرطبي، وُلِد سنة ٥٥٦هـ، (الجامع لأحكام القرآن ج١٢/١)، القاهرة: دار القلم للتراث.

(4) العسقلاني، مرجع سابق، ص٤٣٥.

(5) ابن حَجَر العَسْقلاني (٧٧٣هـ- ٨٥٢هـ)، هو شهاب الدين أبوالفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي، الكناني، العسقلاني، الشافعي. من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، مولده ووفاته بالقاهرة، انكب على الحديث، ورحل فى طلبه، وولي القضاء مرة، وتصانيفه كثيرة، منها: «الدرر الكامنة فى أعيان المئة الثامنة»، وأشهرها «الفتح الباري فى شرح صحيح البخارى». «موسوعة الأعلام»، مصدر سابق ١٢٣/١.

اهـ[1].

الحديث الثَّاني: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنتُهُ بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إليَّ ممَّا افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنَّوافل حتَّى أحبَّه، فإذا أحببتُهُ كنت سمعَه الَّذي يسمع به، وبصرَه الَّذي يُبْصر به، ويَدَه الَّتي يُبْطِشُ بها، ورِجْله الَّتي يمشي بها، وإِنْ سألني لأُعطينَّه، ولئن استعاذ بي لأعيذنَّه، وما تردَّدت عن شيءٍ أنا فاعله تردُّدي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أَكْرَه مَسَاءته**»[2].

قوله: «**مَنْ عادى لي وليًّا**»، المراد بوليِّ الله: العالم بالله، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته.

قال ابن هبيرة[3] **في الإفصاح:** «عادى لي وليًّا»، أي: اتَّخذه عدوًّا.

قوله: «**آذنته بالحرب**»:

قال الفاكهاني[4]: «في هذا تهديدٌ شديدٌ؛ لأنَّ مَنْ حاربه اللهُ أهلكه، وهو من

---

(1) العسقلاني، **فتح الباري**، مرجع سابق، ص ٤٣٦.

(2) البخاري- الفتح، كتاب (الرقاق)، باب (التواضع)، ١٣/١١، رقم الحديث ٦٥٠٢.

(3) هو الوزير الكامل، الإمام العادل، أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد بن الحسن بن جهم، الشيباني، الدوري، العراقي الحنبلي، صاحب التصانيف. انظر: الذهبي، «سير أعلام النبلاء»، ط١١، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ج٢٠/٤٢٦.

(4) هو عمر بن أبي اليُمْن علي بن أبي النجا سالم بن صدقة، اللخمي المالكي الأسكندري، أبو حفص تاج الدين، عرف بابن الفاكهاني، وُلِدَ بالأسكندرية سنة ٦٥٤هـ. ومات بها في جمادى الأولى سنة ٧٣٤هـ، شَرَحَ «العمدة»، و«الأربعين»، و«الرسالة»، وله مقدمة في المربية وشرحها. انظر: ابن الملقن، «طبقات الأولياء»، ط٢، تحقيق: نور الدين شريبة، (القاهرة: مكتبة الخانجي ١٤١٥هـ-

المجاز البليغ؛ لأنَّ مَنْ كره مَنْ أحبَّ الله خالف الله، ومَنْ خالف الله عانده، ومَنْ عانده أهلكه، هذا في جانب المعاداة ثَبتَ في جانب المُوَالاة، فمن ولي أولياء الله أكرمه الله».

وقال الطُّوفِيُّ[1]: «لَّما كان ولي الله، مَنْ تولى الله بالطَّاعة والتَّقوى، تَولاَّه الله بالحفظ والنُّصرة، وقَدْ أجرى الله العادة بأَنَّ عدوَّ العدوِّ صديقٌ، وصديقَ العدوِّ عدوٌّ، فعدوُّ وليِّ الله عدوُّ الله، فمَنْ عاداه كان كمَنْ حاربه، ومَنْ حاربه فكأنَّما حارب الله».

المبحث الثالث: أقسام الناس في الولاء والبراء

قد زلَّ بعض المسلمين في باب الولاء والبراء ما بين مُغالٍ وجافٍ، ويرجع ذلك إلى عدم فَهْم حقيقة الولاء والبراء فهمًا سليماً، وأَهْلُ السُّنَّة والجماعة يخالفون -فيما يجب للنَّاس من حقِّ الولاء والبراء- أهلَ البدع من الخوارج[2] والمرجئة[1]،

١٩٩٤م) ص٥٦٦.

[1] هو سليمان بن عبد القَوي بن عبد الكريم بن سعيد، الطُّوفي، الصَّرصري، ثم البغدادي، الفقيه الأصولي، المتفنن، نجم الدين، أبو الربيع. وُلِدَ سنة بضع وسبعين وسبع مئة بقرية «طوفي» من أعمال «صرصر»، وحفظ بها «مختصر الخرقي» في الفقه، و«اللمع» في النحو لابن جني، وتردد إلى صرصر. وقرأ الفقه بها على الشيخ زين الدين علي بن محمد الصرصري الحنبلي النحوي، ويعرف بابن البوقي. وكان فاضلًا صالحًا. (ذيل طبقات الحنابلة)، ٣٢٩/١.

[2] **الخوارج:** يُعرفهم الشهرستاني بأنهم: «كُلُّ مَن خَرَج على الإمام الحَقِّ الذي اتَّفَقت عليه الجماعةُ، سواء كان الخروج في أيَّام الصَّحَابة على الأئمة الرَّاشدين أو غيرهم من التابعين لهم بإحسان». اهـ. وهم من أوائل الفرق التي ظهرت في تاريخ الإسلام، إلا أنها انقسمت إلى عِدَّة فِرَق تَجَاوزت العِشرين فرقة، ومن أُصولهم تَكفير مرتكب الكبيرة، ورَتَّبُوا على ذلك استحلال قتل المسلمين.

فيقسمون النَّاس فيما يجب من الولاء والبراء إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأوَّل: مَنْ يحبُّ محبةً خالصةً لا مُعَادَاة معها، وهم المؤمنون الخُلَّص من الأنبياء والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين، وفي مُقدِّمتهم رسول الله ﷺ، فإنَّه تجب مَحبَّته أعظم من محبَّة النَّفس، والولد، والوالد، والنَّاس أجمعين، ثمَّ زوجاته أُمَّهات المؤمنين، وأهل بيته الطَّيِّبين، وصحابته الكرام، خصوصًا الخلفاء الرَّاشدين، وبقيَّة العشرة، والمهاجرين والأنصار، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، ثمَّ بقيَّة الصَّحابة ﭫ أجمعين، ثمَّ التَّابعون والقرون المفضلة، وسلف هذه الأُمَّة وأئمَّتها، كالأئمَّة الأربعة، ثمَّ المؤمنون الأَمْثَل فالأَمْثَل[٢].

قال ابن تيمية $: «فأمَّا الحمدُ والذمُّ، والبغض، والموالاة، والمعاداة، فإنَّما تكون بالأشياء الَّتي أنزل بها سلطانه، وسلطانه كتابه، فمَنْ كان مؤمنًا، وجبت موالاته من أيِّ صنفٍ كان؛ قال تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا

ومِن عقائدهم الأساسية: وُجوب الخروج على الأئمة المسلمين لارتكاب الفِسق أو الظُّلم.

ومن عقائدهم: إنكار الشفاعة، وغير ذلك. انظر تفصيل ذلك: الجهني، مانع، «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب»، ط٥ (الرياض: دار الندوة العالمية ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ١٠٥٣/٢.

[١] **المرجئة**: هي إحدى الفرق الكلامية التي تَنتسب إلى الإسلام، ذات المَفَاهيم والآراء العَقديَّة الخَاطئة في مفهوم الإيمان، والتي لم يَعُد لها كيانٌ واحدٌ، إذ انتشرت مَقَالتهم في كثير مِن الفِرق، فمنهم مَن يقول: الإيمان قولٌ باللسان وتَصديق بالقلب فقط، وبعضهم يقصره على قول اللسان، والبعض الآخر يَكتفي بتعريفه بأنَّه التصديق، وغَالَى آخرون منهم فقالوا: إنَّه المعرفة. انظر تفصيل ذلك: المصدر السابق، ١١٤٤/٢.

[٢] الفوزان، صالح بن فوزان، **الولاء والبراء وفي الإسلام** ط٣، (القاهرة: مكتبة السُّنَّة ١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، ص٣٤، ٣٥.

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}[1].

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}[2]، وقال: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}[3].

القسم الثَّاني: مَنْ يُبْغض ويُعادي بُغْضًا ومُعَاداةً خَالِصَين لا محبَّة ولا موالاة معهما، وهم الكفَّار الخُلَّص من الكفَّار، والمشركين، والمنافقين، والمرتدِّين، والملحدين على اختلاف أجناسهم؛ كما قال تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}[4].

وقال سبحانه عائبًا على بني إسرائيل: {تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}[5].

قال ابن تيمية $: «ولْيَعْلَم أنَّ المُؤمن تَجب مُوالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب مُعَاداته وإنْ أعطاك وأحسن إليك؛ فإنَّ الله سبحانه بعث الرُّسُل، وأنزل الكُتُب ليكون الدِّينُ كلُّه لله، فيكون الحبُّ لأوليائه، والبغض

---

[1] سورة المائدة، الآية: ٥٥-٥٦.
[2] سورة المائدة، الآية ٥١.
[3] سورة التوبة، الآية ٧١.
[4] سورة المجادلة، الآية: ٢٢.
[5] سورة المائدة، الآية ٨٠، ٨١. وانظر الفوزان، مرجع سابق، ص٣٦.

لأعدائه[1]، والإكرام لأوليائه، والإهانة لأعدائه، والثَّواب لأوليائه، والعقاب لأعدائه». اهـ.

القسم الثَّالث: مَنْ يحبُّ من وجهٍ، ويبغض من وجهٍ، فيجتمع فيه المحبَّةُ والعداوةُ، وهم عُصَاة المؤمنين؛ يحبُّون لما فيهم من الإيمان خلافًا للخوارج والمعتزلة الَّذين يُخْرجونهم من الإسلام، ويبغضون لما فيهم من المعصية الَّتي هي دون الكفر والشِّرك، وخلافًا للمرجئة الَّذين يجعلون إيمانهم كاملًا مهما فعلوا من المعاصي، وتركوا من الفرائض.

يقول ابن تيمية $: «ومَنْ كان فيه إيمانٌ، وفيه فجورٌ، أُعْطِيَ من الموالاة بحسب إيمانه، ومن البغض بحسب فجوره، ولا يخرج من الإيمان بالكليَّة بمجرد الذُّنوب والمعاصي كما يقول الخوارج والمعتزلة، ولا يجعل الأنبياء والصِّدِّيقون والشُّهداء والصَّالحون بمنزلة الفُسَّاق في الإيمان والدِّين، والحب والبغض، والموالاة والمعاداة؛ قال تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} إلى قوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}[2]، فجعلهم إخوةً مع وجود الاقتتال والبغي. اهـ[3].

ومَحبَّتهم تقتضي مُنَاصحتهم والإنكار عليهم؛ فلا يجوز السُّكوت على معاصيهم، بل ينكر عليهم، ويُؤمَرون بالمعروف، ويُنْهون عن المنكر، وتُقَام عليهم الحدود والتعزيرات حتَّى يكفُّوا عن معاصيهم، ويتوبوا من سَيِّئاتهم، لكن لا يبغضون بغضًا خالصًا، ويتبرأ منهم كما تقوله الخوارج في مرتكب الكبيرة الَّتي هي دون

---

(١) ابن تيمية، **الفتاوى**، ١١٨/٢٨، وفي ط ابن القاسم ٢٠٩/٢٨.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩، ١٠.

(٣) انظر: ابن تيمية، الفتاوى، ١٢٩/٢٨-١٣٠، وفي ط. ابن القاسم ٢٢٨/٢٨-٢٢٩.

الشِّرك، ولا يحبُّون ويوالون حبًّا وموالاةً خالصين كما تقول المرجئة، بل يعتد في شأنهم، كما هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكذلك قوله: «**مَنْ غشَّنا ليس منَّا**»[2]، ونحو ذلك لا يجوز أن يُقَال فيه: ليس من خيارنا كما تقوله المرجئة، ولا أن يُقَال: صار من غير المسلمين فيكون كافرًا كما تقوله الخوارج، بل الصَّواب أنَّ هذا الاسم المضمر ينصرف إطلاقه إلى المؤمنين الإيمان الواجب الَّذي به يستحقُّون الثَّواب بلا عقاب، ولهم الموالاة المطلقة، والمحبَّة المطلقة، وأنَّ لبعضهم درجات في ذلك بما فَعَله من المستحبِّ، فإذا غَشَّهم لم يكن منهم حقيقة لنقص إيمانه الواجب الَّذي به يستحقُّون الثَّواب المطلق بلا عقاب، ولا يجب أن يكون من غيرهم مطلقًا، بل معه من الإيمان ما يستحقُّ به مشاركتهم في بعض الثواب، ومعه من الكبيرة ما يستحقُّ به العقاب. اهـ»[3].

وقال $: «إذا اجتمع في الرجل الواحد خيرٌ وشرٌّ، وفجورٌ وطاعةٌ، وسُنَّةٌ وبدعةٌ، استحقَّ من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحقَّ من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشَّرِّ، فيجتمع في الشَّخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا؛ كاللصِّ الفقير تُقْطع يده لسرقته، ويعطى من

---

[1] انظر الفوزان، مرجع سابق ٣٨. وانظر: السناني، عصام، **حقيقة الولاء والبراء في الكتاب والسُّنَّة**، ط٢، (الكويت: مكتبة الإمام الذهبي ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م)، ٨٩- ٩٦.

[2] مسلم، كتاب الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْس مِنَّا**»، حديث رقم ١٠١، (صحيح مسلم بشرح النووي، ط٣ تحقيق: عصام الصبابطي)، (القاهرة: دار الحديث ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ج١/٣٨٥.

[3] ابن تيمية، **الفتاوى**، ١٥٩/١٩، وفي ط. ابن القاسم ٢٩٤/١٩.

بيت المال ما يكفيه لحاجتِهِ، هذا هو الأصل الَّذي اتَّفق عليه أهل السُّنَّة والجماعة، وخَالَفهم الخوارج والمعتزلة ومَنْ وافقهم عليه، فلم يجعلوا النَّاس إلاَّ مستحقًّا للثَّواب فقط، وإلاَّ مستحقًّا للعقاب فقط.

وأَهْلُ السُّنَّة يقولون: إنَّ الله يُعذِّب بالنَّار من أهل الكبائر مَنْ يعذبه، ثمَّ يخرجهم منها بشفاعة مَنْ يأذن. اهـ[1].

وقال أيضًا $: «ولهذا كان السَّلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضًا موالاة الدِّين، لا يُعَادون كمُعَاداة الكفَّار، فيقبل بعضهم شهادةَ بعضٍ، ويأخذ بعضهم العلمَ عن بعضٍ، ويَتوَارثون ويتناكحون، ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعضٍ، مع ما كان بينهم من القتال والتَّلاعن، وغير ذلك. اهـ[2].

فقد يجتمع في شخصٍ واحدٍ خصالٌ تحب بعضها، وتكره بعضها، فإنَّ هذه الخصال لا بُدَّ أن تتفاوت في الخير والشَّرِّ، حسب أهميَّتها وكثرتها، فمِنْ ترك الواجبات ما يكون كفرًا صريحًا، ومنها ما يكون كبيرةً من الكبائر، ومنها ما هو من صغائر الذُّنوب، وفعل المحرمات بهذا التَّرتيب كذلك، فلكلِّ مرتبةٍ حقُّها من الموالاة والمعاداة.

قال ابن أبي العِزِّ[3]: «فالمسلمُ تُحبُّه لإسلامه، ثمَّ يزداد الحبُّ ويقوى كلُّ ما

---

[1] ابن تيمية، **الفتاوى**، ١١٨/٢٨ وفي ط. ابن القاسم ٢١٠/٢٨.

[2] ابن تيمية، **الفتاوى**، ١٧٨/٣ وفي ط. ابن القاسم ٢٨٥/٣.

[3] هو الإمام العلامة صدر الدين، أبو الحسن علي بن علاء الدين بن علي بن شمس الدين أبي عبد الله محمد بن شرف الدين أبي البركات محمد بن عز الدين أبي العز صالح بن أبي العز الدِّمَشقي، الصالحي، الحنفي، المعروف بابن أبي العِزِّ (٧٣١هـ-٧٩٢هـ)، (العدوي، شرح العقيدة الطحاوية، ط٢)، (المنصورة: دار ابن رجب ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م) ص١١.

يزداد تَمسُّكه وعطاؤه للإسلام والمسلمين، وتبغضه لمعصيته، وتزداد العداوة كُلَّما زاد في عصيانه وضلاله، فتحبُّه على قَدْر ما معه من الخير، وتبغضه على قدر ما معه من شرٍّ، وهذا مقتضى العدل، فالحب والبُغض للنَّاس عامَّةً، وللمسلمين خاصةً، يجب أن يكون بحسب ما فيهم من خصال الخير والشَّرِّ، فإنَّ العبد يجتمع فيه سبب الولاية، وسبب العداوة، والحب والبغض، فيكون محبوبًا من وجهٍ، مبغوضًا من وجهٍ آخر، والحكم في ذلك للغالب منهما. اهـ[1].

ومن خلال ما سبق يمكن أن نقول: لقد وضع أهل السُّنَّة قاعدةً ذهبيةً قائمةً على اعتقادهم في زيادة الإيمان ونقصانه، مفادها: أنَّ العبد المسلم يجتمع فيه طاعةٌ ومعصيةٌ، والولاء والبراء يكون بقدر ما معه.

وأنَّ معرفة المسلم بحقيقة الولاء والبراء تجعله ينطلق في تعامله مع الناس مِن فهمٍ ثابتٍ وتَصوُّرٍ صحيحٍ، فيعاملهم على أَسَاس قربهم وبُعْدهم من الله، فكُلَّما كان الإنسانُ إلى الله أقرب، كانت موالاتُهُ ومحبته ومناصرته في الله أعظم وأَوْلَى، وكُلَّما انحرف الإنسان عن طاعة الله ﷻ أبغضه المؤمن على قَدْر انحرافه، وعاداه على قَدْر بُعْده من الله بشرط ألاَّ يكون ذلك خاضعًا لأغراضٍ شخصيةٍ، ومنافعَ خاصة، وإنما يجب أن يتَّخذ هذا الموقف من منطلق الحبِّ في الله، والبغض في الله مجردًا عن أَيِّ اعتباراتٍ ماديَّةٍ أخرى[2].

فإذا اجتمع في شخصٍ واحدٍ خصالٌ تُحَبُّ بعضُها، وتُكره بعضُها، فإنَّ هذه

---

[1] ابن أبي العز، القاضي علي بن علي، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق: عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م)، ج٢/٥٨٢.

[2] انظر: الجلعود، محماس، **الموالاة والمعاداة**، ط٢ (القاهرة: دار الكتب المصرية ١٩٩٢م)، ج ٢/ ٤٥٨.

الخصال لا بدَّ أن تتفاوت في الخير والشرِّ، ولكلِّ مرتبةٍ حقُّها من الموالاة والمعاداة، فأهل السُّنَّة والجماعة يوالون أهل الإيمان والصَّلاح ولاءً كاملًا، ويحبُّونهم وينصرونهم نصرةً كاملةً، ويَتبرَّؤون من أهل الكفر والنِّفاق، ويعادونهم، عداوةً وبغضًا كاملين.

وأمَّا أصحاب الشَّائبتين ممن خلطوا عملًا صالحًا، وآخر سيئًا، فيوالونهم بحسب ما معهم من إيمانٍ وتقوى وصلاح، ويُعَادونهم بحسب ما معهم من المعاصي والفُجُور.

المبحث الرابع: موالاة الكفار والأحكام المترتبة عليه عند أهل السُّنَّة

الحبُّ والبغض، أو الولاء والعداء، صفاتٌ فطريةٌ في النفس البشريَّة، ولكن يؤاخذ الإنسان على متعلقاتهما، فإنْ وافق الحب والبغض أمر الله في ذلك، أثيب الإنسانُ عليهما، وإنْ خالف الإنسانُ أمرَ الله في صفة الحبِّ والبغض، استحقَّ العقابَ على ذلك، وعلى هذا فإنَّ الحب والبغض تابعان للتكليف الشَّرعيِّ، وداخلان تحت مفهوم الثَّواب والعقاب[1].

وقَدْ قسم أَهْلُ العلم موالاةَ الكفَّار إلى أقسامٍ، كلٌّ منها يختلف عن الآخر في الحكم وتنزيله.

وأصل هذا الحكم الشَّرعيِّ يستند إلى قاعدةٍ كليةٍ خالف فيها أهل السُّنَّة طائفةَ الخوارج والمعتزلة، ومَنْ وافقهم، وهي أنَّها لا يلزم من قيام شعبةٍ من شُعَبِ الكفر

---

[1] انظر: الشاطبي؛ أبو إسحاق، إبراهيم بن موسى، **الموافقات**، ط٢، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان (القاهرة: دار ابن عفان، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦م)، ج٢/١٨٤-٢٠٠ .

في مسلمٍ أن يُسمَّى كافرًا[1].

قال الشَّيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب[2]: «ولفظ الظُّلم، والمعصية، والفسوق، والفجور، والموالاة والمعاداة، والرُّكون، والشِّرك، ونحو ذلك من الألفاظ الواردة في الكتاب والسُّنَّة، قد يراد بها مُسمَّاها المطلق، وحقيقتها المطلقة، وقَدْ يُرَاد بها مطلق الحقيقة، والأوَّل هو الأصل عند الأُصوليِّين، والثَّاني: لا يُحْمل الكلام عليه، إلاَّ بقرينةٍ لفظيةٍ أو معنويةٍ. اهـ[3].

وقال: «وكذلك الكفر أيضًا: ذو أصلٍ وشُعَب، فكما أنَّ شُعَب الإيمان: إيمان، فشُعَب الكفر كفرٌ، والمعاصي كلُّها من شُعَبِ الكُفْر، كما أنَّ الطَّاعات كلها من شُعَب الإيمان، ولا يُسوَّى بَيْنهما في الأسماء والأحكام.

وفرقٌ بين مَنْ ترك الصَّلاة، أو الزَّكاة، أو الصِّيام، أو أشرك بالله، أو استهان بالمصحف، وبَيْن من يسرق ويزني، أو يشرب أو ينهب، أو صَدَر منه نوع موالاة كما جرى لحاطب.

فمَنْ سوَّى بين شعب الإيمان في الأسماء والأحكام، أو سَوَّى بين شعب الكفر

---

[1] انظر: السناني، عصام بن عبد الله، **حقيقة الولاء والبراء في الكتاب والسُّنَّة**، ط٢ (الكويت: مكتبة الإمام الذهبي ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، ص٢٦٢.

[2] هو العلامة عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولد ١٢٢٥هـ في مدينة الدرعية، كان إلى جانب ما اتصف به من العلم والفضل قوي الشخصية، صادق اللهجة، مخلصًا لدينه ووطنه (آل الشيخ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله، مشاهير علماء نجد وغيرهم، ط٢)، (الرياض: دار اليمامة ١٣٩٤هـ)، ص٩٣.

[3] النجدي، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، ط٦ (١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ١/٤٧٠.

في ذلك، فهو مخالفٌ للكتاب والسُّنَّة، خارجٌ عن سبيل الأُمَّة، داخلٌ في عموم أهل البدع والأهواء. اهـ[1].

النُّصوص الَّتي تبيِّن آراء أهل العلم في تفاوت أنواع موالاة الكفار:

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية $: «فمَنْ كان من الأُمَّة مواليًا للكفَّار من المشركين، أو أهل الكتاب ببعض أنواع المُوَالاة ونحوها، مثل: إتيانه أَهْل الباطل، واتِّباعهم في شيءٍ من مقالهم وفعالهم الباطل، كان له من الذَّمِّ والعقاب والنِّفاق بحسب ذلك، وذلك مثل مُتَابعتهم في آرائهم وأعمالهم، كنحو أقوال الصَّابئة وأفعالهم من الفلاسفة ونحوهم، المخالفة للكتاب والسُّنَّة، ونحو أقوال اليهود، والنَّصَارى، وأفعالهم المخالفة للكتاب والسُّنَّة، ونحو أقوال المجوس والمشركين، وأفعالهم المُخَالفة للكتاب والسُّنَّة. اهـ[2].

قال الشَّيخ عبد اللَّطيف بن عبد الرحمن: «مُسمَّى الموالاة يقع على شُعَبٍ متفاوتةٍ، منها ما يوجب الردَّة وذَهَاب الإسلام بالكليَّة، ومنها ما دون ذلك من الكبائر والمحرَّمات. اهـ[3].

وقال الشَّيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوَهَّاب[4] مُجِيبًا عن

---

[1] المرجع سابق ١/٤٧٨- ٤٧٩.

[2] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٨/١١٤، ط ابن القاسم ٢٨/٢٠١.

[3] النجدي، **الدرر السنية**، مرجع سابق، ٨/٣٤٢.

[4] هو الحافظ المحدث الفقيه المجتهد: الشيخ سليمان ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، ولد ١٢٠٠هـ، كان آية في العلم، والحفظ، والذكاء، برع في الفنون، وكانت له اليد الطولى في

سؤالٍ في الموالاة: «إن كانت الموالاة مع مساكنتهم في ديارهم، والخروج معهم في قتالهم، ونحو ذلك، فإنَّه يحكم على صاحبها بالكفر، كما قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}[1]، وإن كانت الموالاة لهم في ديار الإسلام إذا قدموا إليهم، ونحو ذلك، فهذا عاصٍ آثمٌ متعرضٌ للوعيد، وإنْ كان موالاتهم لأجل دنياهم، يجب عليه من التَّعزير بالهجر والأدب ونحوه ما يزجر أمثاله، وإن كانت الموالاة لأجل دينهم، فهو مثلهم، ومَنْ أَحَبَّ قومًا حُشِر معهم. اهـ[2].

المسألة الأولى: متى يكون الولاء لغير المسلمين كفرًا أكبر مخرجًا من الملة؟

هي الموالاة المطلقة التَّامَّة المرتبطة بالدِّين، ويُعبِّر عنها بعض أهل العلم بالتولِّي، ويكون فاعله كافرًا مرتدًّا خارجًا عن الإسلام.

قال الشَّيخ عبد الرحمن السعدي في تفسير قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[3]:

وذلك الظُّلم بحسب التولِّي، فإن كان توليًا تامًّا، كان ذلك كفرًا مخرجًا عن دائرة الإسلام، وتحت ذلك من المراتب ما هو غليظٌ، وما هو دونه. اهـ[4].

الحديث ورجاله. بقلم الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ (تيسير العزيز الحميد ص٢١).

[1] سورة المائدة، الآية: ٥١.

[2] الدرر السنية، مرجع سابق ٨/١٥٩-١٦٠.

[3] سورة الممتحنة، الآية: ٩.

[4] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، مصدر سابق، ج٢/٩٧٨.

وقال الطَّاهر بن عاشور[1]: «والمُوَالاة تكون بالظَّاهر والباطن، وبالظَّاهر فقط، وتَعْتورها أحوالٌ تتبعها أحكامٌ.

وَقَد استخلصت من ذلك ثمانية أحوالٍ:

الحالة الأولى: أن يتَّخذ المسلم جماعة الكفر، أو طائفته، أولياءَ له في باطن أمره؛ ميلًا إلى كفرهم، ونواءً لأهل الإسلام، وهذه الحالة كفرٌ، وهي حال المنافقين. اهـ[2].

قال ابن عَطِيَّة عند قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}[3]: «ومَنْ تولاَّهم بمعتقده ودينه فهو منهم في الكفر واستحقاق النِّقمة، والخلود في النَّار، ومن تَولاَّهم بأفعاله من العضد ونحوه دون معتقدٍ، ولا إخلالٍ بإيمانٍ، فهو منهم في المقت، والمذمَّة الواقعة عليهم وعليه. اهـ[4].

قال الشَّيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ: «وأمَّا قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}، وقوله تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

---

[1] هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، (١٢٩٦هـ-١٣٩٣هـ)، رئيس المُفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، عُيِّن عام ١٩٣٢م شيخًا للإسلام، مَالِكيًّا، له مصنفات مطبوعه من أشهرها: «مقاصد الشريعة الإسلامية»، و«التحرير والتنوير»، وغيرها. انظر: الزركلي، الأعلام، مصدر سابق ١٧٤/٦.

[2] ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م) ٢١٧/٣.

[3] سورة المائدة، الآية: ٥١.

[4] انظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ج٢/٢٠٤.

يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}[1]، وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[2]، فقَدْ فسرته السُّنَّة، وقيَّدته، وخَصَّته بالموالاة المطلقة العامة. اهـ[3].

وقَسَّم الشَّيخ الفوزان[4] الموالاة إلى خمسة أقسام مختلفة الأحكام، فقال: «**القسم الأوَّل**: مظاهرتهم ومعاونتهم على المسلمين مع محبَّة ما هم عليه من الكفر والشِّرك والضَّلال، فهذا القسم لا شكَّ أنَّه كفرٌ أكبر مخرجٌ من الملَّة، فمَنْ ظاهرهم، وأعانهم، وساعدهم على المسلمين مع محبَّة دينهم، وما هم عليه، والرِّضا عنهم، وهو مختارٌ، فإنَّه يكون كفرًا أكبر مخرجًا من الملَّة على ظاهر قوله تعالى: {فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}. اهـ[5].

ويَترتَّب على ما سبق:

١- المُوَالاة التَّامَّة المطلقة المرتبطة بالدِّين، ويعبِّر عنها أهل العلم بالتولِّي، حكمها الكفر المخرج من الملَّة.

---

[1] سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

[2] سورة المائدة، الآية: ٥٧.

[3] **الدرر السنية**، مرجع سابق ١/٤٧٤.

[4] هو فضيلة الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان بن عبد الله، من آل فوزان، من أهل الشماسية الوداعين، من قبيلة الدواسر، وعضو في هيئة كبار العلماء، وعضو في المجمع الفقهي بمكة المكرمة التابع للرابطة، وعضو في لجنة الإشراف على الدعاة في الحج، إلى جانب عمله عضوًا في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

[5] الفوزان، صالح بن فوزان، شرح نواقض الإسلام، ط٣، (الرياض: مكتبة الرشد ١٤٢٥هـ) ص١٥٩.

٢- أنَّ المُوالاة الَّتي تكون في الباطن، وهي حبُّ أهل الكفر، وحبُّ ظهورهم وانتصارهم على المسلمين كموالاة المنافقين، هي كذلك كفرٌ أكبر مخرجٌ من الملَّة.

٣- أنَّ مَنْ أحبَّ الكافرين وما ما هم عليه من الكفر والشِّرك، وأعانهم على المسلمين مختارًا غير مكرهٍ، فهذا كافرٌ كفرًا أكبر، مخرجًا من الملَّة.

المسألة الثَّانية: متى يكون الولاءُ لغير المسلمين كبيرةً غير مخرجةٍ من الملَّة؟

هي المُوَالاة المقيدة أو الخاصَّة الَّتي لا يكفر مرتكبها، وهي مُوَالاة الكفَّار لغرضٍ دنيويٍ مع سلامة الاعتقاد، وبغض الكفر وأهلِهِ، أو إعانتهم، ويكون الحامل له على ذلك مصلحةً شخصيةً، أو خوفًا، أو عداوةً دنيويةً بينه وبين مَنْ يقاتله الكفَّار من المسلمين، فهذه كبيرةٌ من الكبائر لا تخرج صاحبها من الإسلام؛ لأنَّ مجرَّد النُّصرة العمليَّة للكفَّار على المسلمين دون عقيدة القلب لا يُكفَّرُ بها؛ لاحتمال أن يكون ذلك عن ضعف إيمانٍ، وعدم محبَّة الكفر[1].

قال ابن عَطِيَّة في «المحرر الوجيز» عند قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}: «ومَنْ تولاَّهم بمعتقده ودينه، فهو منهم في الكفر، واستحقاق النِّقمة والخلود في النَّار، ومَنْ تَولاَّهم بأفعاله من العضد ونحوه دون معتقدٍ ولا إخلالٍ بإيمانٍ، فهو منهم في المقت والمذمَّة الواقعة عليهم وعليه». اهـ[2].

---

[1] انظر السناني، عصام بن عبد الله، حقيقة الولاء والبراء في الكتاب والسُّنَّة، ط٢ (الكويت: مكتبة الإمام الذهبي ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

[2] ابن عطية، مرجع سابق.

وقال الشَّيخ صالح الفوزان: «**التَّولِّي على قسمين: الأوَّل:** تَولِّيهم من أجل دينهم، وهذا كفرٌ مخرجٌ من الملَّة. **الثَّاني:** تَولِّيهم من أجل طمع الدُّنيا مع بُغْض دينهم، وهذا محرمٌ، وليس بكفرٍ. اهـ»[1].

ومن الأمور الَّتي لا يكفر صاحبها: التَّجسُّس لصالح الكفَّار كما فعل حَاطِب ابن أبي بَلْتَعَة:

قال ابن العربي[2] **في تفسير أول سورة الممتحنة في المسألة الرابعة:** «من كثر تَطلُّعه على عورات المسلمين، ويُنبه عليهم، ويُعرِّف عدوهم بأخبارهم، لم يكن بذلك كافرًا إذا كان فعلُهُ لغرضٍ دنيويٍّ، واعتقاده على ذلك سليم، كما فعل حاطب بن أبي بلتعة حين قصد بذلك اتِّخاذ اليد، و لم ينوِ الرِّدَّة عن الدِّين». اهـ[3].

وقال ابن حجر في شرح حديث حاطب ﷺ قوله: «(فقال عمر: دَعْني يا رسول الله أضرب عنقه)، إنَّما قال ذلك عمرُ مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطبٍ فيما اعتذر به، لما كان عند عمر من القوَّة في الدِّين، وبغض مَنْ ينسب إلى النِّفاق، وظن أنَّ مَنْ خالف ما أمره به رسول الله ﷺ استحقَّ القتل، لكنه لم يجزم بذلك، فلذلك

---

[1] الفوزان، صالح، شرح نواقض الإسلام، مرجع سابق ١٧٢.

[2] هو الإمام العلامة الحافظ القاضي، أبو بكر، محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي (٤٦٨هـ-٥٤٣هـ)، صاحب التصانيف، كان ثاقب الذهن، عذب المنطق، كامل السُّؤدد، وَلي قضاء إشبيلية، فحُمدت سياسته، وكان ذا شدة وسطوة، فعُزل، وأقبل على نشر العلم وتدوينه. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط١١)، (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ج١٩٧/٢٠.

[3] ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله أحكام القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٣١هـ-٢٠٠م)، ج١٦٤/٤.

استأذن في قتلِهِ، وأطلق عليه منافقًا؛ لكونه أبطن خلاف ما أظهر، وعُذْر حاطب ما ذكره؛ فإنَّه صنع ذلك متأولًا أَنْ لا ضرر فيه، وعند الطبريِّ من طريق الحارث عن عليٍّ في هذه القصَّة، (فقال: «أليس قد شهد بدرًا؟». قال: بلى، ولكنه نكث، وظاهر أعداءك عليك». اهـ[1].

وقال: «وقَدْ نقل الطَّحاويُّ الإجماعَ على أنَّ الجاسوس المسلم لا يُبَاح دمه، وقال الشَّافعيَّة والأكثر: يُعزَّر، وإنْ كان من أهل الهيئات يُعْفى عنه، وكذا قال الأوزاعيُّ وأبو حنيفة: يُوجَع عقوبةً، ويُطال حَبسُه». اهـ[2].

وقال ابن القيم[3]: «وفيها أنَّ الكبيرة العظيمة ممَّا دون الشِّرك قد تكفر بالحسنة الكبيرة الماحية، كما وقع التَّجسُّس من حاطبٍ مُكَفرًا بشهوده بدرًا، فإنَّ ما اشتملت عليه هذه الحسنة العظيمة من المصلحة، وتَضمَّنته من محبَّة الله لها، ورضاه بها، وفرحه بها، ومباهاته للملائكة بفاعلها، أعظم ممَّا اشتملت عليه سيئة التَّجسُّس من المفسدة، وتَضمَّنته من بغض الله لها، فغلب الأقوى على الأضعف، وأزاله، وأبطل مقتضاه[4]. اهـ.

---

[1] ابن حجر، **فتح الباري**، كتاب التفسير، باب: {لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ}، ٥٠٢/٨.

[2] المرجع السابق.

[3] هو الإمام المحقق الأصولي الفقيه النحوي، صاحب الذهن الوقاد،، والتآليف الكثيرة، شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، المشهور بابن قيم الجوزية، (٦٩١-٧٥١هـ) انظر: بدائع الفوائد، تحقيق: محمد الإسكندراني (بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م)، ص٦.

[4] ابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ط ٢٧ (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م)، ٤٢٣/٣-٤٢٤.

ويَترتَّب على ما سبق:

١- أنَّ الموالاة المُقيَّدة وهي مُوَالاة الكفَّار لمصلحةٍ دنيويةٍ مع سلامة الاعتقاد، وبُغْض دينهم، فهذا محرمٌ وليس بكفرٍ مخرجٍ من الملَّة.

٢- أنَّ التَّجسُّس لصالح الكفَّار إنْ كان بسبب غرضٍ دنيويٍّ مع سلامة الاعتقاد، وبغض الكافرين يعتبر كبيرةً من الكبائر، ولا يخرج من الملَّة.

المسألة الثالثة: متى يكون موالاة غير المسلمين في الظاهر جائز؟

الموالاة الواقعة في الظَّاهر للضَّرورة، مع بغضهم وبغض دينهم في الباطن، واعتقاد بطلان ما هم عليه، فهذِهِ جاء بها البيان القرآنيُّ في قوله تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً}[١].

قال ابنُ كثير[٢]: «{إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً}، أي: إلاَّ مَنْ خاف في بعض البلدان أو الأوقات من شَرِّهم، فله أَنْ يتَّقيهم بظاهره لا بباطنه ونيَّته،كما قال البخاريُّ عن أبي الدَّرداء أنَّه قال: «إنَّا لنكشر في وجوه أقوامٍ، وقلوبنا تَلْعنهم»[٣].

---

[١] سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

[٢] هو الإمام الحافظ المحدث، المؤرخ، الثقة، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القرشي، الدمشقي، الشافعي (٧٠١هـ-٧٧٤)، حافظ، مؤرخ، فقيه، من كتبه (البداية والنهاية) في التاريخ، و(شرح صحيح البخاري)، ولم يكمله، و(طبقات الفقهاء للشافعية)، و(تفسير القرآن العظيم) وغيرها، انظر: الزركلي، مصدر سابق، ١/٣٢٠.

[٣] البخاري، كتاب (الأدب)، باب (المداراة مع الناس)، وهذا الأثر وصله ابن أبي الدنيا وإبراهيم الحربي في (غريب الحديث). للمزيد انظر: العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، م١٠/ص٥٤٥.

وقال الثَّوريُّ: قال ابن عبَّاس: «ليس التقيَّة بالعمل، إنَّما التَّقيَّة باللِّسان، وكذا رَوَاه العوفي عن ابن عباس: إنَّما التقيَّة باللسان. وكذا قال أبو العالية، وأبو الشعثاء، والضحاك، والربيع بن أنس. ويُؤيِّد ما قالوه: قولُ الله تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ}»[1]. اهـ[2].

وقال أبو بكر ابن العربي عند قوله تعالى: {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً}: «فيها قولان؛ أحدهما: إلاَّ أن تخافوا منهم، فإنْ خفتم منهم فسَاعدُوهُمْ ووالوهم، وقُولُوا ما يصرف عنكم من شَرِّهم وأَذَاهم بظاهرٍ منكم لا باعتقادٍ؛ بَيَّن ذلك قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ}». اهـ[3].

قال ابن القيم $ في قوله تعالى: {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً}: «ومعلومٌ أنَّ التُّقاة ليست بمُوالاةٍ، ولكن لما نَهاهُمْ عن مُوَالاة الكفَّار اقتضى ذلك معاداتهم، والبراءة منهم، ومُجَاهرتهم بالعدوان في كلِّ حالٍ، إلاَّ إذا خافوا من شرِّهم، فأباح لهم التقيَّة، ليست التقيَّة موالاةً لهم. اهـ[4].

وقال الشَّيخ الفوزان: «يجوز للمسلمين أن يُدَاروا الكفَّار إذا خشي المسلمون

---

[1] سورة النحل، الآية: ١٠٦.

[2] ابن كثير، إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: هاني الحاج، (القاهرة: المكتبة التوفيقية ٢٠٠٩م)، مجلد ١ ج٢/٢٣.

[3] ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، **أحكام القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٣١هـ-٢٠٠م)، ج١/٢٩٧.

[4] ابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله محمد، **بدائع الفوائد**، تحقيق: محمد الإسكندراني وعدنان درويش، ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م)، ٣/٣٨٤.

من شرِّ الكفَّار، فإنَهم يُدَاروهم؛ قال تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ}[1]، يعني الَّذي يتولَّى الكفَّار بالمحبَّة، والمناصرة، والمظاهرة، فقَدْ تَبرَّأ الله منه. {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً}، وهي المُدَاراة إذا خشي على المسلم من شَرِّهم، وليس هذا من المُوَالاة، بل هو من دفع الضَّرر عن المسلمين، فنحن نُدَاريهم بأَنْ ندفع شرَّهم بأَنْ نعطيهم من المال دفعًا لشرِّهم، أو ما يريدون من أُمُور الدُّنيا، وليس هذا من الموالاة، وإنَّما هو من المداراة لدَرْء شرِّهم. اهـ[2].

ويترتَّب على ما سبق: أنَّ المُوَالاة الَّتي يقصد منها اتِّقاء شرِّ الكافرين، والَّتي يعبر عنها بالمُدَاراة فهي مباحةٌ، ولا تدخل في الموالاة المحرَّمة.

المسألة الرابعة: متى يكون حُبُّ غير المسلمين مَعفوًّا عنه؟

الحبُّ الطبيعيُّ: هو الخارج عما سبق؛ كحبِّ الوالد لولده الكافر؛ كحبِّ نوحٍ ﷺ لولده، أو الولد لوالديه الكافرين، أو الرجل لزوجه الكتابيَّة، أو المرء لمن أحسن إليه وأعانه من الكفَّار، فهذا الحبُّ مباحٌ ما دام لم يُؤثِّر في بغضه لكفر الكافرين، وفسق الفاسقين، ومعصية العاصين.

والدَّليل على أنَّ الحبَّ الطبيعيَّ للكافر قد لا يؤثر في كمال الإيمان لكونه مباحًا بالشَّرط الآنف ذِكْره: قوله تعالى عن نبيِّه في وصف حاله مع عَمِّه أبي طالب الَّذي مات على الكفر: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ

---

[1] سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

[2] الفوزان، صالح، شرح نواقض الإسلام، مرجع سابق، ص ١٦٨.

أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}[1].

فأَثْبتَ الله تعالى على نَبيِّه ﷺ محبَّة عمِّه الكافر، و لم يَعْتب عليه هذه المحبَّة، ولا لَامَه عليها، فدلَّ ذلك على عَدَم مخالفتها لكمال الإيمان[2]، وكذلك ما ورد عن شَفَقة نوحٍ ﷺ على ابنه كما في قوله تعالى: {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ}[3].

وخلاصة ما تقدَّم: أنَّ الحبَّ القلبيَّ الَّذي ينقض الولاء والبراء، وينفي أساس الإيمان، هو: حبُّ الكافر لكفره، وأمَّا الحبُّ القلبيُّ الَّذي لا يصل إلى حدِّ النقض، لكنَّه ينقص الإيمان، ويدلُّ ذلك على ضعفٍ في معتقد الولاء والبراء، فهو: محبَّة الشَّخص لفسقِهِ، أو لمعصيةٍ يقترفها، فهذا إثْمٌ ولا شكَّ، ولكنه لا يصل إلى درجة الكفر؛ لكونه لا ينافي أصلَ الإيمان، إذْ لا يزال في المسلمين مَنْ يحبُّ المعاصي، ويقترفها، و لم يكفرهم أحدٌ من أَهْل السُّنَّة.

وهذا الحبُّ قَدْ يكون كبيرةً من كبائر الذُّنوب، وقَدْ لا يكون كذلك، بحسب حال المحبوب ومعصيته، فمَنْ أحبَّ محبوبًا لارتكابه الكبائر، فهذا الحبُّ كبيرةٌ، ومن أحبَّه لصغيرةٍ يرتكبها، فلا يزيد إثْمُهُ على إثم مَن ارْتكَبها.

ومِمَّا سبق يَتبيَّن: أنَّ مناطَ التَّكفير في باب الولاء والبراء هو على عَمَل القلب وضابط الموالاة المُخْرجة عن الدِّين بأَنْ يتولاَّهم رضًى بدينهم، أو يعينهم بأيِّ إعانةٍ محبةً لظهور دينهم على المسلمين، أو يُصحِّح مذهبهم، أو يشكَّ في كفرهم.

---

[1] سورة القصص، الآية: ٥٦.

[2] انظر: الشريف، حاتم، الولاء والبراء بين الغلو الجفاء، مرجع سابق ص٦٠.

[3] سورة هود، الآية ٤٥.

وختامًا نقول: إنَّ الولاء والبراء عقيدةٌ وأصلٌ من أصول الدين، وأنَّهما شرطٌ في الإيمان يجب أن يَظهر لازِمُهما وأثرُهما على مُعْتَقِدِها، فيحب ما يحبُّه مولاه، ويبغض ما يبغضه مولاه، ويَظهر أثر تلك المحبَّة في قوله وفعله.

الفصل الثاني

نماذج من التاريخ الإسلامي على أثر الولاء والبراء في اجتماع الأمة

المبحث الأول: اجتماع الأمة في عهد أبي بكر ة على البيعة.

المبحث الثاني: اجتماع الأمة على محاربة المرتدين.

المبحث الثالث: اجتماع الأمة في عام الجماعة.

المبحث الرابع: اجتماع الأمة في مواجهة الصليبيين.

تمهيد: أمر الله ﷻ المسلمين بالاجتماع وعدم التفرق، وجعل لذلك سبلًا، منها هذه العقيدة: (الولاء والبراء)، والتي تعدُّ من أعظم هذه السُّبل لاجتماع الأُمَّة، ومتى عظمت في نُفُوس المسلمين وقويت، كان لها عظيمُ الأثر في اجتماع الأمَّة، وعزَّتها، ولقد تعرَّضت الأمَّة على مرِّ العصور إلى محنٍ وفتنٍ فكان لهذه العقيدة كبير الأثر في احتواء تلك المحن والفتن، والتَّغلُّب عليها.

المبحث الأوَّل: اجتماع الأمَّة في عهد أبي بكر على البيعة

جَسَّد المهاجرون والأنصار مفهومَ الولاء والبراء للنُّصُوص أكبر تجسيدٍ في اجتماعهم على خلافة أبي بكرٍ، حيث أحدثت وفاة النَّبيِّ ﷺ صدمةً في نفوس المسلمين، وبرزت قضيَّة الحفاظ على إنجازاته من دينٍ ودولةٍ، وبالتَّالي مسألة الخلافة الَّتي طرحت على بساط البحث فور إعلان خبر الوفاة، ذلك أنَّه لم يَرِدْ في القرآن نصٌّ صريحٌ يُحدِّد أسس انتخاب خليفة رسول الله ﷺ.

وفيما يلي نعرض لبعض الأحداث الَّتي تُبيِّن بوادر الاختلاف فيما بين المهاجرين والأنصار، والَّذي تلاشى بمجرَّد رجوعهم للنُّصُوص مُسلِّمين راضين ولاءً لله وللرسول ﷺ: بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم تخلفت الأنصار في سقيفة بني ساعدة[1] للتَّباحث في مسألة الخلافة، وقَدْ رَشَّحوا سَعْدَ بن عبادة زعيم الخزرج

[1] سقيفة بني ساعدة بالمدينة، وهي ظُلَّةٌ كانوا يَجلسون تحتها. وأما بنو سَاعِدة، الذين نُسِبت إليهم السقيفة، فهم حيٌّ من الأنصار.

ليتولَّى أمر المسلمين[1]، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقال عمر لأبي بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار[2].

ففي الصَّحيح من حديث عبد الله بن عباس ﷺ فيما يرويه من خطبة عمر ﷺ الَّتي جاء فيها قوله: (إنَّه قدكان من خبرنا حين تَوفَّى اللهُ نَبيَّه ﷺ، أنَّ الأنصار خالفونا، واجتمعوا بأَسْرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنَّا عليٌّ والزبير ومَنْ معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكرٍ، فقلتُ لأبي بكرٍ: يا أبا بكر، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نُريدُهُمْ، فلمَّا دنونا منهم، لقينا منهم رجلان صالحان، فذكرا ما تمالأ عليه القوم، فقالا: أين تريدون يا معشرَ المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم ألاَّ تَقْربوهم، اقضوا أمركم. فقلت: والله لنأتينَّهم. فانطلقنا حتَّى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجلٌ مزمِّلٌ بين ظهرانيهم، فقلت: مَنْ هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عُبَادة، فقلتُ: مَا لَهُ؟ قالوا: يوعك. فلما جلسنا قليلًا، تشهَّد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو أهله، ثمَّ قال: أمَّا بعد، فنحن أنصار الله، وكتيبة الإسلام، وأنتم -معشر المهاجرين- رهط[3]، وقَدْ دفَّت دافة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، وأن يحضنونا من

---

(١) انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢ (القاهرة: دار المعارف ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م) ٢١٨/٣.

(٢) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، أشرف على التحقيق: مصطفى العدوي، ط١ (المنصورة: دار ابن رجب ١٤٢٥-٢٠٠٥م)، م٣/ ج٥ ص٣٥٣.

(٣) أي: عددكم قليل بالنسبة للأنصار.

الأمر[1]. فلما سكت أردت أن أتكلم -وكنت قد زَوَّرْتُ[2] مقالة أعجبتني أريد أن أُقدِّمها بين يدي أبي بكرٍ- وكنت أداري منه بعض الحدِّ، فلما أردت أن أتكلَّم، قال أبو بكرٍ: على رسلك. فكرهتُ أن أغضبه، فتكلَّم أبو بكرٍ، فكان هو أَحْلم منِّي وأوقر، والله ما ترك من كلمةٍ أعجبتني في تزويري إلاَّ قال في بديهته مثلها، أو أفضل منها حتَّى سكت. فقال: ما ذكرتم فيكم من خيرٍ فأنتم له أهلٌ، ولن يُعْرف هذا الأمر إلاَّ لهذا الحيِّ من قريش، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا، وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرَّجلين، فبايعوا أيهما شئتم. فأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح، وهو جالس بيننا فلم أكره ما قال غيرها، كان والله أن أُقدَّم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحبَّ إليَّ من أن أتأمَّر على قومٍ فيهم أبو بكر، اللهم إلاَّ أن تسوِّل إليَّ نفسي عند الموت شيئًا لا أجده الآن،فقال قائلٌ من الأنصار: أنا جُذيلها المحكَّك، وعُذيقها المرجَّب[3]، منَّا أميرٌ ومنكم أميرٌ يا معشر قريش، فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات حتَّى فرقتُ من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكرٍ، فبسط يده، فبايعتُهُ وبايعه المهاجرون، ثمَّ بايعته الأنصار[4].

---

[1] أي: يخرجونا من أمر الخلافة.

[2] أي: هيأت وحسنت.

[3] **الجذيل**: هو عود ينصب للإبل الجربى لتحتك به، والمحكك الذي يحتك به كثيرًا، أراد أن يستشفى برأيه. **والعذيق**: هو النخلة، **والمرجب** من رجب النخلة إذا جعل لها ما تعتمد عليه لكثرة حملها، يعني أنا الذي يعتمد عليَّ لكفاءتي، وجودة رأيي. هامش «مصنف عبد الرزاق» (٥/٤٤٤) نقلًا عن الحميدي، عبد العزيز بن عبد الله، **التاريخ الإسلامي مواقف وعبر**، ط١ (الإسكندرية: دار الدعوة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) ٩/٢٢.

[4] **البخاري**، كتاب (الحدود)، باب (رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت)، رقم الحديث: ٦٨٣٠.

وفي روايةٍ لأحمد: «... فتكلَّم أبو بكرٍ ﷺ، فلم يترك شيئًا أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم إلاَّ ذكره، وقال: ولَقَدْ علمتم أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لو سَلَك النَّاس واديًا، وسلكت الأنصار واديًا، لسلكتُ وادي الأنصار»، ولقد علمت يا سعد أنَّ رسول الله ﷺ قال وأنت قاعدٌ: «**قريشٌ وُلاة هذا الأمر، فبر النَّاس تبعٌ لبرهم، وفاجر النَّاس تابعٌ لفاجرهم**»، فقال له سعدٌ: صدقت، نحن الوُزَراء، وأنتم الأُمَراء»[1].

من رواية الإمام أحمد يَتَّضح لنا كيف استطاع الصِّدِّيق أن يدخل إلى نفوس الأنصار، فيقنعهم بما رآه هو الحق، من غير أن يُعرِّض المسلمين للفتنة، فأثنى على الأنصار ببيان ما جاء من فَضْلهم من الكتاب والسُّنَّة، ثمَّ تَوصَّل أبو بكرٍ من ذلك إلى أنَّ فضلهم وإن كان كبيرًا لا يعني أَحقيَّتهم في الخلافة؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قد نصَّ على أنَّ المهاجرين من قريش هم المقدمون في الأمر، وأبان أَنَّ العرب لا يَعْترفون بالسِّيادة إلاَّ للمسلمين من قريشٍ، لكون النَّبيِّ ﷺ منهم، ولَّما استقرَّ في أذهان العرب من تعظيمهم واحترامهم. اقتنع الأنصار وبذلك تَوحَّد صفُّ المسلمين[2].

ومِمَّا سبق يبرز دور الولاء والبراء في اجتماع الصَّحابة على خلافة أبي بكرٍ:

---

[1] صحيح لغيره، رجاله ثقات رجال الشيخين، **مسند أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (القاهرة: مؤسسة قرطبة) باب (مسند أبي بكر الصديق)، ١/٥ حديث رقم ١٨.

[2] الحميدي، عبد العزيز بن عبد الله، **التاريخ الإسلامي مواقف وعبر**، ط١ (الإسكندرية: دار الدعوة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) ٢٤/٩ بتصرف.

فبالنَّظر في حديث عمر ﷺ، وما حَدَث بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة يظهر أنَّ الخلاف كاد أن يدبَّ بين المهاجرين والأنصار، وذلك لسببين، **أهمُّها**: أنَّ النَّبيَّ ﷺ تُوفِّي و لم يوصِ أو يُعيِّن خليفةً له صراحةً.

ثانيًا: أنَّ موضوع الإمامة في قريش كان غائبًا عن أذهان الأنصار في ذلك الوقت؛ لأنَّ دينهم المتين يمنعهم من أن يخالفوا أوامر النَّبيِّ ﷺ، فرجعوا إلى النُّصوص الَّتي منها حديث معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحدٌ إلاَّ أكبَّه الله في النَّار على وجهه ما أقاموا الدِّين**»[(١)].

وهذا ما أكَّدوه في بيعتهم لرسول الله ﷺ: «على السَّمع والطَّاعة، والصَّبر على الأثرة، وألاَّ ينازعوا الأمر أهله، إلاَّ أن يروا كفرًا بواحًا عندهم من الله فيه برهانٌ»[(٢)].

وهذا إنَّما يدلُّ على ولاء الأنصار للنُّصوص، وليس لهوًى، أو عصبيةٍ.

وأمَّا اجتماعهم على خلافة أبي بكرٍ، فقد أجمع أهل السُّنَّة والجماعة سلفًا وخلفًا على أن أحقَّ الناس بالخلافة بعد النَّبيِّ ﷺ: أبو بكرٍ الصِّدِّيق ﷺ لفضلِهِ وسابقتِهِ، ولتقديم النَّبيِّ ﷺ إيَّاه في الصَّلوات على جميع الصَّحابة.

وقَدْ فهم أصحابُ النَّبيِّ ﷺ مراده -عليه الصَّلاة والسَّلام- من تقديمه في

---

(١) **البخاري**، كتاب الأحكام، باب الأمراء من قريش، حديث رقم ٧١٣٩.

(٢) **البخاري**، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «**سترون بعدي أمورًا تنكرونها**»، حديث رقم ٧٠٥٦.

الصَّلاة، فأجمعوا على تقديمه في الخلافة، ومتابعته، وكانوا لأوامره ممتثلين، ولم يعارض أحدٌ في تقديمه.

وممن نقل الإجماعَ عن الصَّحابة في هذا الأمر ابنُ تيمية[١]، وابنُ كثير[٢]، وابنُ حَجَر[٣]، والنَّوَويُّ[٤]، وابنُ حزم[٥][٦].

إنَّ ممَّا سبق في حديث عمر ﷺ يدلُّ على حب الأنصار لله ورسوله، وتقديمهم تلك المحبَّة على كلِّ عصبيةٍ وهوى، حيث إن سعد بن عبادة ﷺ قد بايع أبا بكرٍ ﷺ بالخلافة في أعقاب النقاش الَّذي دار في سقيفة بني ساعدة؛ إذ إنَّه نزل عن مقامه الأوَّل في دعوى الإمارة، وأذعن للصِّدِّيق بالخلافة[٧]، فتتابع القوم على البيعة، وبايع سعدٌ، وتحقَّق إجماع الأنصار على بيعة الخليفة أبي بكرٍ[٨]، ولم يثبت النَّقل الصَّحيح

---

[١] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **منهاج السنة**، تحقيق: محمد رشاد سالم، (الرياض: دار الفضيلة، ١٤٢٤هـ)، ج١/٣٢٦.

[٢] ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، م٣/ج٥/٣٥٦-٣٥٨.

[٣] العسقلاني، ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ط٢، تحقيق: محب الدين الخطيب (القاهرة: دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، ١٣/٧ ص ٢٨.

[٤] النووي، **شرح صحيح مسلم**، مصدر سابق، ج١٦٩/٨.

[٥] هو أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي (٣٨٤هـ-٤٥٦هـ)، وُلِد بقرطبة، كان ينهض بعلوم جمة، ويجيد النقل، ويحسن النظم والنثر، صاحب تصانيف، منها: المحلى، الفصل في الملل والنحل، وغيرها. (سير أعلام النبلاء ١٨٤/١٨).

[٦] ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق: أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، ط١ (القاهرة: دار ابن هيثم ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، ٢٢٢/٢.

[٧] عبد الهادي، جمال، **استخلاف أبي بكر** ص٥٠-٥٣ نقلًا عن الصلابي، علي محمد، **أبو بكر الصديق شخصيته وعصره**، ط١ (القاهرة: دار ابن حزم ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨)، ص١١١.

[٨] الصَّلابي، علي محمد، **أبو بكر الصديق شخصيته وعصره**، ط١ (القاهرة: دار ابن حزم ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م) ص١١٢.

أيَّة أزمات، لا قليلة ولا كثيرة، ولكن الأخوَّة الإسلاميَّة ظَلَّت كما هي، وتُبيِّن أنَّ وَلاَءهم لله ورسوله علا فوق أيِّ هوًى أو عصبية.

المبحث الثَّاني: اجتماع الأمَّة في مواجهة المرتدين

الحَدَثَان البَارِزَان في خلافة أبي بكرٍ ﷺ، هما: الرِّدَّة، وبداية الفتوح الإسلاميَّة خارج نطاق الجزيرة العربيَّة، وكان لكلٍّ منهما تأثيره الخاص على مستقبل الدَّعوة الإسلاميَّة والعرب. وتُطْلق جميع المصادر على التَّطوُّرات الَّتي حصلت على أطراف الجزيرة العربيَّة بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ، وما نَجمَ عنها من انتفاضة القبائل بحركة الرِّدَّة، أو بالارتداد عن الإسلام[1]، وقد مَثَّلَت تحديًّا كبيرًا لهيبة الدولة الإسلاميَّة النَّاشئة من خلال محاولة وضع حدٍّ لنفوذها على مناطقَ متعددةٍ في الجزيرة العربية.

كانت سياسة النَّبيّ ﷺ العامَّة تتَّجه نحو توحيد العرب تحت راية الدِّين الإسلاميِّ في مؤسسةٍ تتخطَّى النظام القبليَّ، واستطاع بفضل التأييد الإلهي وسلوكه المثالي، تأسيسَ جماعةٍ دينيةٍ سياسيةٍ جسدت كيان دولةٍ.

فدخل العرب بعامة في هذا الدِّين، وانضووا تحت لوائه، ودانوا لرسوله بالزَّعامتين؛ الدِّينيَّة والسياسيَّة، لكن حركة الرِّدَّة بَيَّنت ضعفَ بعض هذا الكيانِ خاصة في الأطراف، وهَشَاشة دخول بعض القبائل العربيَّة في الإسلام، وأن تجذر العادات والتَّقاليد القبليَّة في بعض النُّفوس كان أقوى من رابطة الدِّين.

---

[1] انظر: الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الأمم والملوك**، مرجع سابق ج٣/ ص٢٢٥-٢٤٢.

وكان للعامل الأجنبيِّ دورٌ في تحريك البواعث الَّتي أدَّت إلى انتفاضة العرب وردَّتهم، ذلك أنَّ إرسال النَّبيِّ ﷺ الكتب إلى الملوك والأمراء المجاورين، ومن بينهم عاهل الفرس، وإمبراطور الرُّوم، يدعوهم فيها إلى الإسلام، دَفَع هؤلاء إلى العمل على إثارة الفتنة في بلادٍ ليس بها من أسباب الوحدة غير الدِّين الجديد.

وهَكَذا، أتاحت وفاة النَّبيِّ الفرصة أمام ضِعَافِ الإيمان والمنافقين وأعداء قريش من العرب؛ إظهار ما يخافون من نَوَايا انفصاليَّة، ونزعات استقلاليَّة، فكانت حركة الرِّدَّة أوَّل صدمةٍ للمجتمع الإسلاميِّ النَّاشئ، والمجابهة الأولى لأبي بكرٍ[1].

❑ **أسباب الردة: إنَّ الرِّدَّة الَّتي قامت بها القبائل بعد وفاة رسول الله ﷺ لها أسبابٌ، منها:** الصَّدمة بموت رسول الله ﷺ، ورقة الدِّين والسقم في فهم نُصُوصه، والحنين إلى الجاهليَّة، ومقارفة موبقاتها، والتَّفلُّت من النظام، والخروج على السُّلطة الشرعيَّة، والعصبيَّة القبليَّة، والطمع في الملك، والتَّكسُّب بالدين، والشُّح بالمال، والتَّحاسد، والمؤثرات الأجنبيَّة؛ كدور اليهود، والنَّصَارى، والمجوس[2].

❑ **أصنافها:**

قال الخطابيُّ[3]: إنَّ أهل الرِّدَّة كانوا صنفين: صنفًا ارتدوا عن الدين، ونابذوا

---

(1) انظر: طقوش، محمد سهيل، **التاريخ الإسلامي الوجيز**، ط٥ (بيروت: دار النفائس ١٤٣٢هـ-٢٠١١م) ص٧٠-٧٢ بتصرف.

(2) الصلابي، **أبو بكرالصديق؛ شخصيته وعصره**، ص١٧٩.

(3) هو الإمام العلامة، الحافظ اللغوي، أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، صاحب التصانيف، وُلِد سنة بضع وعشرة وثلاث مئة، ت٣٨٨هـ. (سير أعلام النبلاء: ٢٣/١٧).

الملة، وعادوا إلى الكفر، وهذه الفرقة طائفتان:

إحداهما: أصحاب مسيلمة من بني حنيفة وغيرهم الَّذين صَدَّقوه على دعواه في النُّبوَّة، وأصحاب الأسود العنسي، ومن كان من مستجيبيه من أهل اليمن وغيرهم، وهذه الفرقة بأَسْرها منكرةٌ لنبوَّة سيدنا محمد ﷺ، مدعية النبوَّة لغيره.

والطَّائفة الأخرى ارتدُّوا عن الدِّين، وأنكروا الشَّرائع، وتركوا الصَّلاة والزَّكاة وغيرها من أمور الدِّين، وعادوا لما كانوا عليه في الجاهليَّة، والصِّنف الآخر هم الَّذين فرَّقوا بين الصَّلاة والزَّكاة، فأقرُّوا بالصَّلاة، وأنكروا فرض الزكاة، ووجوب أدائها إلى الإمام[1].

ولاء أبي بكرٍ الصِّدِّيق ﷺ وموقفه من المرتدين: اختلف الصَّحابة فيما بينهم في وجوب مقاتلة المرتدين فبينما رأى أبو بكرٍ الصِّدِّيق وجوب مقاتلة المرتدين، أشار بعض الصَّحابة -ومنهم عمر ﷺ- على الصِّدِّيق بأن يترك مانعي الزكاة ويتألفهم حتَّى يتمكَّن الإيمان من قلوبهم، ثمَّ بعد ذلك يزكُّون، فامتنع الصِّدِّيق عن ذلك وأباه[2].

فعن أبي هريرة ﷺ قال: لما تُوفِّي رسول الله ﷺ، وكان أبو بكرٍ ﷺ، وكَفَر مَنْ كَفَر من العرب، فقال عمر ﷺ: كيف نقاتل النَّاس وقَدْ قال رسول الله ﷺ: «أمرتُ أن أقاتل الناس حتَّى يقولوا: لا إله إلاَّ الله، فمَنْ قالها فقد عَصَم مني ماله، ونفسه، إلاَّ

---

[1] النووي، **شرح صحيح مسلم**، ٢٣٦/١.

[2] انظر: ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، مصدر سابق ٩٩/٧.

بحقه، وحسابه على الله»[1].

فقال: والله، لأقاتلنَّ مَنْ فرَّق بين الصَّلاة والزَّكاة، فإنَّ الزَّكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا[2] كانوا يُؤدُّونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها.

وفي روايةٍ: والله لو منعوني عقالًا[3]، كانوا يُؤدُّونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه.

قال عمر: فوالله، ما هو إلاَّ أن قد شرح الله صدر أبي بكرٍ، فعرفت أنَّه الحقُّ[4]، ثمَّ قال عمر بعد ذلك: والله لقد رَجَح إيمان أبي بكرٍ بإيمان هذه الأمَّة جميعًا في قتال أهل الرِّدَّة[5].

وفعلًا كان رأي أبي بكرٍ في حرب المرتدِّين رأيًا ملهمًا، وهو الرأي الَّذي تُمْليه طبيعة الموقف، ولولا الله ثمَّ هذا القرار الحاسم من أبي بكرٍ لتغيَّر وجه التَّاريخ، ولعادت الجاهليَّة تعيث في الأرض فسادًا[6].

---

[1] البخاري، كتاب الإيمان، باب ({وإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم})، حديث رقم: ٢٥.

[2] الأنثى من ولد المعز.

[3] هو الحبل الذي يعقل به البعير.

[4] **البخاري**، كتاب الزكاة، باب (وجوب الزكاة)، حديث رقم: ١٤٠٠.

[5] باشميل، محمد أحمد، حروب الردة (دار الفكر ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، ص٢٤، نقلًا عن الصلابي ص١٨٢.

[6] التميمي، عز الدين، **الشورى بين الأصالة والمعاصرة**، (دار البشير)، ص٨٦ نقلًا عن الصلابي، **أبو بكر الصديق شخصيته وعصره** ص١٨٢ بتصرف.

لقَدْ تجلَّى ولاؤه وفهمه الدَّقيق للإسلام، وشدَّة غَيْرته على هذا الدِّين، وبقاؤه على ما كان عليه في عهد نبيِّه في قوله عندما امتنع كثيرٌ من قبائل العرب أن يدفعوا الزكاة إلى بيت المال، أو منعوها مطلقًا، وأنكروا فرضيتها: قد انقطع الوحي، وتمَّ الدين، أينقص وأنا حيٌّ؟[1].

لقد كان موقف أبي بكرٍ ﷺ الَّذي لا هوادة فيه، ولا مساومة فيه، ولا تنازل موقفًا ملهمًا من الله، ويرجع إليه الفضل الأكبر -بعد الله تعالى- في سلامة هذا الدِّين وبقائه على نقائه وصفائه وأصالته، وقد أقرَّ الجميع وشهد التاريخ بأن أبا بكرٍ قد وقف في مواجهة الرِّدَّة الطَّاغية، ومحاولة نقض عُرَى الإسلام عروةً عروةً- موقف الأنبياء والرسل في عصورهم، وهذه خلافة النبوة التي أدَّى أبو بكرٍ حقَّها، واستحقَّ بها ثناء المسلمين ودعاءهم إلى أن يرثَ الله الأرضَ وأهلها[2].

وكذلك يتجلَّى ولاء الصِّدِّيق ﷺ للنَّبيِّ ﷺ، وحرصه على تنفيذ أوامره بعد وفاته ﷺ في إلحاحه على بَعْث جيش أسامة الَّذي كان النَّبيُّ ﷺ حريصًا عليه كلَّ الحرص، عازمًا على ذلك كلَّ العزم، وقَدْ خرج جيشُ أسامة حتَّى نزل الجرف من المدينة على فرسخ، ولحق الرسول ﷺ بالرَّفيق الأعلى، فلَمْ يبرح، وأمر أبو بكر بتجهيزه تحقيقًا لرغبة رسول الله ﷺ في ساعةٍ عصيبةٍ دقيقةٍ لم يَرَ أحدٌ من المصلحة خروجه من المدينة خوفًا من غارة المرتدين، وغزو الأعداء للمدينة، ولكنه لم يمتنع

---

[1] انظر: الندوي، أبو الحسن علي، **المرتضى**، ط٣ (دمشق: دار القلم، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م) ص٧٠.
[2] المرجع السابق، ص٧٢.

عن ذلك، وكان من بركة اتباعه وولائه لله ولرسوله أثرٌ كبيرٌ على المرتدين، فقد أعرب عن ذلك أبو هريرة ﷺ، وعَبَّر عن هذه الحقيقة خيرَ تعبيرٍ، فقد روى عنه أبو الأعرج، أنَّه قال: «والله الَّذي لا إله إلاَّ هو، لولا أن أبا بكر استخلف ما عُبِدَ الله»، ثمَّ قال الثَّانية، ثمَّ قال الثَّالثة، ثمَّ ذكر قصةَ توجيه جيش أسامة، فقال: «فوجه جيش أسامة، وقال: ما رددت جيشًا وجهه رسول الله ﷺ، ولا حللت لواءً عقده رسول الله ﷺ، فجعل أسامة لا يمرُّ بقبيلٍ يريدون الارتداد إلاَّ قالوا: لولا أنَّ لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتَّى يلقَوا الرُّوم، فلقوا الروم، فهزموهم وقتلوهم، ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام»[1].

ثمَّ عَقَد أبو بكرٍ ﷺ عدَّة ألوية لمواجهة المرتدين، انطلقت تلك الألوية الَّتي عقدها الصِّدِّيق ترفرف عليها أعلام التَّوحيد، مصحوبةً بدعواتٍ خالصةٍ من قلوبٍ تُعظِّم المولى ﷻ، وتَشرَّبت معاني الإيمان، ومن حناجر لم تلهج إلاَّ بذكر الله تعالى، فاستجاب الله -جلَّ وعلا- هذه الدَّعوات النقيَّة، فأنزل عليهم نصره، وأعلى بهم كلمته، وحَمَى بهم دينه، حتَّى دانت جزيرة العرب للإسلام في شهورٍ معدودةٍ[2].

لقَدْ ظهر معدن الصِّدِّيق النفيس في محنة الرِّدَّة على أجلى صورةٍ للقائد المؤمن الَّذي يفتدي قومه، فخرج للجهاد ثلاث مراتٍ متتالياتٍ وهو في الستين من عمره، وهذا يدلُّ على تواضعه الجمِّ، واهتمامه الكبير بمصلحة الأمَّة، وتجرُّده من حظِّ

---

[1] انظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، مصدر سابق ٩٣/٧.

[2] انظر: الحميدي، **التاريخ الإسلامي**، مرجع سابق ٥١/٩.

النفس.

وممَّا سبق تجلَّى ولاؤه ﷺ في القضاء على الفتنة الَّتي لو استمرَّت وتوسَّعت لَّما قامت للإسلام قائمةٌ، ولا بقيت له باقيةٌ، وقَدْ قتل من الكفَّار والمشركين والمرتدِّين في خلافة أبي بكرٍ في العراق، وفي جزيرة العرب، ما ينيف على خمسين ألفًا[1].

وكان كما يقول ابن كثيرٍ في صدقٍ وبلاغةٍ: «ردَّ شارد الدِّين بعد ذهابه، ورجَّع الحقُّ إلى نصابه، وتَمهَّدت جزيرة العرب، وصار البعيدُ الأقصى كالقريب الأدنى. اهـ»[2].

وقال محمد بن إسحاق[3]: «لَّما تُوفِّي رسول الله ﷺ ارتدَّت العرب، واشرأبت اليهوديَّة والنَّصرانيَّة، ونجم النِّفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في اللَّيلة الشَّاتية، لفَقْد نَبيِّهم، حتَّى جمعهم الله على أبي بكرٍ ﷺ. اهـ»[4].

وظهر أيضًا ولاء أصحاب رسول الله ﷺ، فلم يَتخلَّفوا عن نداء الجهاد، ولم يَخْرجوا عن أمر أبي بكرٍ طالما أنَّ فيه تنفيذًا لأمر الله ورسوله ﷺ، ومن ذلك:

وَلاء عدي ﷺ: في إنكاره على قومه رِدَّتهم، وما قام به في دعوتهم إلى الانضمام

---

[1] انظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، ١٢٩/٧.

[2] المرجع السابق ١٣١/٧.

[3] هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، وقيل: ابن كوثان، العلامة الحافظ الأخباري أبو بكر. وقيل: أبو عبد الله القرشي المطلبي مولاهم المدني، صاحب السيرة النبوية (٨٠هـ-١٥١هـ). (سير أعلام النبلاء ٣٣/٧).

[4] ابن كثير، **مرجع سابق** ٩٢/٧.

إلى جيش المسلمين، فكان دخولُ طيئ في جيش خالد أوَّل وهنٍ أصيب به الأعداء، فكتب الله النصرَ لجيش المسلمين[1].

ولاء الأنصار ﷺ: لقَدْ كان للأنصار مواقفُ عظيمةٌ، وإقدامٌ منقطع النظير في حروب الرِّدَّة، وخصوصًا باليمامة، وقد شهد للأنصار بالإقدام والصَّبر في ذلك اليوم «مجاعة بن مرارة» الحنفي عند الخليفة أبي بكرٍ، فقال: يا خليفة رسول الله، لم أر قط أصبر لوَقْع السُّيوف ولا أصدق كرَّة من الأنصار، فلقد رأيتني وأنا أطوف مع خالد بن الوليد أعرفه قتلى بني حنيفة، وإنِّي لأنظر إلى الأنصار وهم صَرْعى، فبكى أبو بكرٍ حتَّى بَلَّ لحيته[2].

وممَّا سبق يظهر أثر وَلاَء الصَّحابة ﷺ في جهادهم أعداءهم لتكون كلمة الله هي العليا، وتحقيق عبادة الله وحده، وإقامة حُكْم الله ونظام الإسلام في الأرض، ودَفْع عُدْوان المرتدِّين، وبهذا الجهاد تحقَّق إعزاز المسلمين، وإذلال المُرتدِّين، ورجع النَّاس إلى دين الله، واستطاعت القيادة الإسلاميَّة بزعامة الصِّدِّيق ﷺ أن تجعل من الجزيرة العربيَّة قاعدةً للانطلاق لفتح العالم أجمع[3]، فقد تَوحَّدت شبه الجزيرة العربيَّة بفضل الله، ثمَّ جهاد الصحابة مع الصديق تحت راية الإسلام لأوَّل مرَّة في

---

(1) **الطبري**، مرجع سابق، ٢٥٤/٣.

(2) الكلاعي، سليمان بن موسى، **الاكتفاء**، تحقيق: محمد كمال الدين، ط١ (بيروت: عالم الكتب ١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، ٦٥/٣.

(3) الصلابي، **فقه التمكين في القرآن الكريم**، ط١ (دمشق: دار ابن كثير ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ص٦٣٠ بتصرف.

تاريخها بزوال الرُّؤوس، أو انتظامها ضمن المدِّ الإسلامي، وبسطت عاصمة الإسلام (المدينة) هَيْمَنتها على رُبُوع الجزيرة، وأصبحت الأمَّة تسير بمبدإٍ فكان الانتصار انتصارًا للدعوة الإسلاميَّة، ولوحدة الأمَّة بتضامنها وتَغلُّبها على عوامل التفكُّك والعصبيَّة[1].

ولقَدْ رأينا هذا الولاء واضحًا في أبهى صوره في هذه الجيوش الَّتي تحرَّكت في زمان عمر وعثمان، وما أرادت بعملها وجهادها إلاَّ وجه الله، يَكُونون في القيادة، فيعملون وينقلون إلى الجنديَّة، فيجدون، ولعلَّ خير مثالٍ على هذا خالد بن الوليد ﷺ وعن إخوانه من الصَّحابة أجمعين.

المبحث الثالث: عام الجماعة ٤١هـ

بدأت الفتنةُ تُطِلُّ في صفوف المسلمين بمقتل أمير المؤمنين عثمان ﷺ، واستمرَّت في خلافة عليٍّ ﷺ، ومَرَّت الأمَّة الإسلامية بمحنٍ وشدائد بدءًا بموقعة الجمل، وانْتهَتْ بمقتل علي ﷺ على يد الخارجي عبد الرَّحمن بن ملجم، ثمَّ بيعة أهل الكوفة لابنه الحسن ﷺ.

بقي الحسن بعد البيعة نحوًا من أربعة أشهرٍ خليفة بالعراق، وما وراءها من خراسان بلا منازعٍ، وأحبَّه النَّاس وأطاعوه، ويظهر من خلال المبايعة أنَّه كان يُفكِّر

---

[1] الصلابي، علي، **أبو بكر الصديق شخصيته وعصره**، مرجع سابق، ص٢٦٩.

في الصُّلح مع معاوية ﷺ، لكنَّه لم يُبْده لهم[1]، فقَدْ كان الحسن ﷺ ذَا خلقٍ يَجْنح إلى السِّلم، وكَرَاهة الفتنة، ونبذ الفُرْقة، وكان يملك رؤيةً إصلاحيةً، واضحة المعالم، خضعت لمراحل، وبواعث، وتغلب على العوائق، وكتبت فيها شروط، وتَرتَّب عليها نتائج، وأصبح هذا الصُّلح من مفاخر الحسن بن عليٍّ ﷺ[2].

قال ابن تيمية $: «وهذا يُبيِّن أنَّ الإصلاح بين الطَّائفتين كان محبوبًا ممدوحًا يحبه الله ورسوله، وأنَّ ما فعله الحسن من ذلك كان من أعظم فضائلِهِ ومناقبِهِ الَّتي أثنى بها عليه النَّبيُّ ﷺ، ولو كان القتال واجبًا أو مستحبًّا، لم يُثْنِ النَّبيُّ ﷺ على أحدٍ بترك واجبٍ أو مستحبٍّ». اهـ[3].

ولاء الحسن ﷺ: سار الحسن إلى معاوية يريد الشام، ورأى أنَّ الصالح العام في جمع الكلمة وترك القتال -وهذا من ولائه ﷺ للمسلمين حفظًا لدمائهم- وكان معاوية ﷺ يُدْرك أنَّ الحسنَ ﷺ أكره النَّاس للفتنة، فتراسلا، ثمَّ تمَّ الاتِّفاقُ على الصُّلح، وتنازل الحسنُ عن الخلافة، وسلم الأمر لمعاوية، لا عن جبنٍ، ولا عن تَنصُّلٍ من المسؤولية الَّتي أَوْلاه إيَّاها مَنْ بايعه، وإنما إشفاقًا على المسلمين، وصيانةً لدمائهم.

---

(1) طويلة، عبد الوهاب عبد السلام، **الحسن بن علي وعام الجماعة**، ط١ (القاهرة: دار السلام ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، ص١٥٠.

(2) الصلابي، علي بن محمد، **الحسن بن علي بن أبي طالب شخصيته وعصره**، ط١ (بيروت: دار المعرفة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ص٣٠٨.

(3) ابن تيمية، **منهاج السنة**، مرجع سابق، ١٦٢/٣.

وبهذا الصلح وهذا الاتِّفاق، آلت الخلافةُ إلى معاوية، وظهر ما أخبر به النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ ابني هذا سيِّد، ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[1].

إنَّ ولاء الحسن للإسلام والمسلمين، وصلحه مع معاوية ﷺ من الأحداث العظام في تاريخ الأمَّة الإسلاميَّة، حيث إنَّ من ثمار هذا الصُّلح حقن دماء المسلمين، وجمع كلمتهم على إمامٍ واحدٍ بعد سنواتٍ من الفرقة، فقد آثر ﷺ حقنَ دماء المسلمين، واجتماعهم على أي مكانةٍ أو منزلةٍ أو جاهٍ، فولاؤه ﷺ كان للإسلام والمسلمين، وقد سُمِّي ذلك العام: عام الجماعة؛ لاجتماع المسلمين بعد الفرقة، وانقطاع الحروب بينهم، وتَفرُّغهم للفتوح، ونشر الدعوة.

المبحث الرابع: أثر الولاء والبراء في اجتماع الأمَّة في الفتوحات الإسلامية ومواجهة أعداء الأمَّة

إنَّ المُتأمِّل لتاريخ الأمَّة الإسلاميَّة بعد الصَّحابة يرى أنَّه كُلَّما كانت الأمَّة مدركةً لعقيدة الولاء والبراء، فإنَّها تكون في غاية السُّمو والرِّفعة، لكنَّها تكون في انحطاطٍ وهوانٍ حينما تتخلَّى عنها، وكأنَّ هذه العقيدة هي رُمَّانة الميزان الَّتي تُحدِّد متى يرتفعون، ومتى يهبطون، وقد رأينا ذلك واضحًا في خذلان كثيرٍ من أمراء المسلمين، وتسليمهم أرض الإسلام للصَّليبيِّين كما فعل الفاطميُّون، وغيرهم، وكذلك المغول وما فعلوه، وفي المقابل رأينا استرداد الأرض المنهوبة، ورأينا العزَّة في

---

[1] **البخاري**، كتاب (الفتن)، باب (قول النبي ﷺ للحسن بن علي: «**إن ابني هذا لسيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»)، حديث رقم: ٧١٠٩.

أبهى صورها على يد عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي.

❑ **تجلي عقيدة الولاء والبراء في مواجهة الصَّليبيِّين:** غزت الشَّرقَ العربيَّ الإسلاميَّ في أواخر القرن الرابع الهجري، الحادي عشر الميلادي جموعٌ أوروبيةٌ لاتينيةٌ عرفت بالصليبيين، فتنافست مع أمراء الأتراك وأتابكتهم[1] في تجزئة بعض أطراف الخلافة، وطبعت المنطقة بطابعٍ خاصٍّ طيلةَ قرنين من الزمن.

استغلَّ الصَّليبيُّون تدهور أوضاع المسلمين وانقسامهم، فسَعَوْا إلى توسيع رقعة نفوذهم، وكان مُلُوك المسلمين عاجزين عن نصرة دينهم[2]؛ نتيجةً لذلك أخذت فكرة المقاومة والجهاد تُبْعث من جديدٍ، واتَّسع انتشارها بين عامَّة المسلمين الَّذين تألَّموا مما يشاهدون حولهم من فتورٍ وانقسامٍ سياسيٍّ يَحُول دون النِّضال ضد الصِّليبيِّين، ومن البديهيِّ ألاَّ يستطيع المسلمون في بلاد الشام مكافحة الصَّليبيِّين دون إشراك المسلمين في منطقة الجزيرة والموصل، وهي غنيةٌ بالرِّجال والموارد.

وشيئًا فشيئًا انطلقت فكرة الجهاد من الموصل، وحلب، ثم دمشق، وغدت الظُّروف السِّياسيَّة والعسكريَّة تُحتِّم ظهور أميرٍ قويٍّ يتمكَّن من القضاء على تنازع الأمراء المحليين، ويُوحِّد إماراتهم في جبهةٍ إسلاميةٍ واحدةٍ، ثمَّ يَتصدَّى للصَّليبيِّين،

---

[1] نشأ الأتابكة في البلاط السلجوقي (السلاجقة قبائل ذات أصول تركية، كان لها نفوذ في عهد الخلافة العباسية) نتيجة للنظام الذي استحدثه القائم على شراء المماليك الأتراك، وإدخالهم في خدمة القصور السلطانية، وبخاصة فيما يتعلق بتربية أبنائهم، بالإضافة إلى تولي الوظائف العامة. انظر: طقوش، سهيل، التاريخ، مصدر سابق، ص١٤٩

[2] انظر: ابن الأثير، **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية في الموصل**، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، ط١(القاهرة: دار الكتب الحديثة)، ص٣٢-٣٤.

وقَدْ تَيسَّر لأتابكة الموصل أن يقوموا بهذا الدَّور[1]، وكان هذا الأمير هو عماد الدين زنكي.

ويتجلَّى ولاء عماد الدين زنكي[2] للإسلام والمسلمين في حرصه على وحدة الأمَّة: كان عماد الدين زنكي حريصًا على الوحدة، وبَذَل في سبيل تحقيق ذلك الغالي والنَّفيس، فيعطي هذا، ويقطعه ويوليه، ويضع يده في يد آخر نظير قيادةٍ مشتركةٍ للأُمَّة، ويتزوَّج زواجًا يهدف إلى توحيد إمارتين، ويَتغاضَى عن إيذاءٍ من السُّلطان مسعود أو غيره؛ لكي لا يمزِّق الصفَّ المسلم، ويحاصر مدينةً رَفَضت الوحدة، ويهب حياته من أوَّلها لآخرها تحقيقًا لهذه الأمنيَّة الغالية: وحدة المسلمين، حتَّى مات وقد ترك كيانًا كبيرًا موحدًا يضمُّ بين طياته الموصل، وحلب، وحران، ونصيبين، وحمص، وحماة، وبعلبك، وقد تَعَامل في كلٍّ ذلك مع السَّلاجقة، والعبَّاسيين، والأراتقة، والتركمان، والعرب، وبني منقذ، وبني الدانشمند، وغيرهم[3].

لقَدْ أرسل عماد الدين زنكي رسالةً إلى السلطان مسعود[4][1] -وكان في

---

[1] انظر: طقوش، **التاريخ الإسلامي**، مصدر سابق، ص١٤٩-١٩٥.

[2] هو الملك عماد الدين الأتابك (الأتابك: هو الذي يُرَبِّي أولاد الملوك) زنكي ابن الحاجب، قسيم الدولة آقسنقر ابن عبد الله التركي صاحب حلب، كان بطلًا شجاعًا مِقدامًا، عظيم الهيبة، لا يَقَر ولا يَنام، افتتح عدة مدائن، ودَوَّخ الفرنج . الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ١٨٩/٢٠

[3] السرجاني، **الحروب الصليبية**، ط١ (القاهرة: مؤسسة اقرأ ٢٠٠٨) ص٥٢١ بتصرف.

[4] هو السلطان مسعود بن السلطان محمد ابن السلطان ملكشاه السلجوقي. نشأ بالموصل مع أتابك مودود، ثم مع خوش بك صاحب الموصل، فلما مات والده، حَسَّنَ له خوشبك الخروج على أخيه

بغداد آنذاك- يستحثُّه على إرسال جيشٍ كبيرٍ لنجدة المسلمين في حلب والشام.

وهذا يحمل دلالاتٍ كبيرةً مهمةً، فعماد الدين زنكي يَتناسَى في لحظةٍ خلافاته مع السلطان مسعود من أجل مصلحة المسلمين، ويتناسى أنَّ السُّلطان مسعودًا كان يدبر منذ سنتين مؤامرةً لاغتياله، ويتناسى أنَّ السُّلطان مسعودًا مشغولٌ منذ سبع سنوات (أي: منذ وفاة السُّلطان محمود سنة (٥٢٥هـ) في صراعاتٍ دنيويةٍ لا وزنَ لها، إنَّه يتناسى كلَّ هذه الأمور ليضمَّ قوته إلى قوة السُّلطان مسعود لدفع الخطر عن المسلمين، وليس هذا فقط! بل إنَّ القاضي كمال الدين الشهرزوري ذكر في منتهى الصَّراحة لعماد الدين زنكي أنَّ السُّلطان مسعودًا إذا جاء بجيشه إلى الشام، فإنَّه سيضمها إلى أملاكه هو، وستضيع زعامة عماد الدين زنكي، فردَّ عماد الدين زنكي ردًّا عجيبًا إذ قال: «إنَّ هذا العدو قد طمع في البلاد، وإن أخذ حلب لم يبقَ في الشَّام إسلامٌ، وعلى كل حالٍ فالمسلمون أَوْلى بها من الكفَّار».

إنَّ هذه الروح العجيبة، وهذا التَّجرُّد الجميل لمن أقوى أسباب نَصْر عماد الدين زنكي، وشتَّان بين رجلٍ يعمل لله، وآخر يعمل لنفسهِ ومصالحِهِ، فولاء عماد الدين زنكي $ كان للإسلام والمسلمين، ولم يكن لحبِّ السُّلطة أو جاه، وبهذا الولاء

محمود، فالتقيا فانكسر مسعود، ثم تنقلت به الأحوال، واستقل بالسلطنة في سنة ٥٢٨هـ، وقَدِم بغداد، قال عنه ابن الأثير: كان كثير المزاح، حسن الخلق، كريمًا، عفيفًا عن أموال الرعية، من أحسن السلاطين سيرة، وألينهم عريكة . الذهبي، مصدر سابق، ٣٨٤/٢٠.

(١) ابن الأثير، **الكامل** في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، ٣٠٣/٩.

وهذه الرُّوح استطاع $ أن يجمع المسلمين تحت رايته لمواجهة الصَّليبيين، وورث ذلك من بعده ابنه نور الدين محمود $.

ولاء نور الدين محمود[1]: اتَّسم نور الدين محمود، في نظر معاصريه وعند الأجيال اللاَّحقة، بسمةٍ كبرى هي حميته الدِّينيَّة المتأججة، وولاؤه للإسلام، واستطاع أن يبثَّ ذلك بين المسلمين، وصمَّم إلى جانب هذه الحميَّة على إعادة الوحدة الرُّوحيَّة للإسلام، وذلك بتعزيز المدارس السُّنيَّة، وأعلن أنَّ النَّصر مرهونٌ بوحدة المسلمين السياسيَّة، وهذا معناه عزل الأمراء المتقاعسين عن الجهاد، أو المتعاونين مع الصَّليبيِّين.

وكانت أتابكية دمشق تقف حجرَ عثرة أمام محاولاته لتحقيق الوحدة الإسلاميَّة، ونجح بعد عدَّة محاولات في ضمِّ دمشق عام ٥٤٩هـ-١١٥٤م[2]، محققًا بذلك وحدة المسلمين في بلاد الشَّام تحت زعامته، وتجلَّى ولاء نور الدِّين محمود للإسلام والمسلمين في شعوره بالمسؤوليَّة عن كلِّ ما يَتعلَّق ببلاد المسلمين،

---

[1] هو الملك العادل، نور الدين، محمود بن الأتابك، قسيم الدولة أبي سعيد زنكي ابن الأمير الكبير آق سنقر، التركي السلطاني الملكشاهي، صاحب الشام، كان حامل رايتي العدل والجهاد، قَلَّ أن ترى العيون مثله، حَاصَرَ دِمشق، ثم تَمَلَّكها، وبقى بها عشرين سنة، كان بطلًا شجاعًا، وافر الهَيبة، حسن الرمي، ذا تعبُّد وتخوُّف وَوَرَع، بنى دار العدل، وأنصف الرعيَّة، ووقف على الضعفاء والمُجاورين، وأمر بتكميل سور المدينة النبوية. قال عنه ابن الجوزي: جاهدَ وانتزع من الكفار نَيِّفًا وخمسين مدينة وحِصْنًا. انظر: الذهبي، مصدر سابق ٢٠/٥٣١.

[2] ابن الأثير، **التاريخ الباهر**، مرجع سابق ص١٠٧.

ودمائهم، وأعراضهم حتَّى لو كانوا من غير رعيَّته، فهو يشعر بمسؤوليَّته عن بلاد المسلمين طالما كان في استطاعتِهِ مُسَاعدتهم[1].

ومِن شِدَّة وَلائه للإسلام والمسلمين يَشعر بالمسؤوليَّة تجاههم أن تُهْدر دماؤهم، أو تُهَان كرامتُهم، أو أن تُغزى أرض المسلمين وتُقطع، فحينما عَلِمَ عام ٥٤٤هـ بتحالف الصليبيين قال: لا أنحرف عن جهادهم، وكتب إلى زعماء دمشق: إنَّني ما قصدتُ بترولي هذا المترل طالبًا لمحاربتكم، وإنَّما دعاني إلى هذا الأمر كثرة شكاية المسلمين بأنَّ الفلاحين أُخِذَتْ أموالهم، وشُتِّتْ نِسَاؤهُمْ وأطفالهم بيد الفرنج، وانعدام النَّاصر لهم، فلا يَسَعني مع ما أعطاني الله، وله الحمد من الاقتدار على نصرة المسلمين، وجهاد المشركين، وكثرة المال والرِّجال، ولا يحلُّ لي القُعُود عنهم، والانتصار لهم؛ مع مَعْرفتي بعَجْزكم عن حفظ أعمالكم، والذَّبِّ عنها، والتقصير الَّذي دعاكم إلى الاستصراخ بالفرنج على محاربتي، وبَذْلكم لهم أموال المساكين والضُّعفاء من الرعيَّة، ظلمًا لهم، وتعديًا عليهم، وهذا ما لا يرضي الله تعالى، ولا أحدًا من المسلمين[2].

وممَّا سبق يتبيَّن أثر ولاء نور الدين محمود من خلال حرصه على المسلمين من أن تحتلَّ بلادهم، أو تهتك أعراضهم، وغَيْرته على سائر بلاد المسلمين، وحرصه على وحدتهم، وقَدِ اسْتَطاع -بفضل الله- توحيد مصر والشَّام، وجمع كلمة المسلمين،

---

[1] انظر: الصلابي، علي، **نور الدين محمود: شخصيته وعصره**، ط١ (القاهرة: مؤسسة اقرأ ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ص٢٨.

[2] طقوش، تاريخ الزنكيين في الموصل والشام، (بيروت: دار النفائس)، ص٤٠٧، نقلًا عن: الصلابي، **نور الدين محمود شخصيته وعصره**، مرجع سابق ص٢٩.

والقضاء على الدَّولة الفاطميَّة الشِّيعيَّة في مصر، ونَشْر المذهب السُّني فيها.

ولاء صلاح الدين الأيوبي[1]: تجلَّى ولاء صلاح الدِّين الأيوبي في انتهاجه سياسة عماد الدِّين زنكي، ونور الدين محمود في توحيد العالم الإسلامي، والتَّصدِّي للصَّليبيِّين[2] بهدف إخراجهم من المنطقة، ونجح في هزيمة الصَّليبيِّين، وفتح بيت المقدس ٥٨٣هـ الَّذي يعدُّ الفتح الثَّاني لبيت المقدس حيث حازَ شرف الفتح الأوَّل أمير المؤمنين عمر ﷺ.

تتمة الفصل: وقبل أن أختم هذا الفصل فمما يجدر الإشارة إليه ولا يفوتنا ذكره: محنة الإمام أحمد ابن حنبل فهو يُعَدُّ أُمَّة في تَصَدِّيه[3] لفتنة خلق القرآن في أيام المأمون، ثم المعتصم، ثم الواثق، وما أصابه من الحبس الطويل والضرب الشديد، والتهديد بالقتل بسوء العذاب وأليم العقاب، وقلة مُبَالاته بما كان منهم من ذلك

---

[1] هو السلطان الكبير، الملك الناصر، صلاح الدين، أبو المظفر، يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان بن يعقوب، الدويني، ثم التكريتي المولد، ولد ٥٣٢هـ، تَمَلَّك بعد نور الدين، واتَّسَعت بلاده، وكان خليقًا بالإمارة، مَهِيبًا، شُجاعًا حَازمًا، مجاهدًا كثير الغزو، عالي الهمة، كانت دولته نَيِّفًا وعشرين سنة. انظر: الذهبي، مصدر سابق ٢٧٨/٢١.

[2] انظر: ابن الأثير، الكامل، مرجع سابق، ١٥٢/١٠-١٥٤.

[3] وكان الذين ثَبَتوا على المحنة، فلم يُجِيبوا بالكلية أربع: هم أحمد بن حنبل، وهو رئيسهم، ومحمد بن نوح بن ميمون، ومات في الطريق حين ذهب هو وأحمد إلى المأمون، ونُعيم بن حَمَّاد الخُزَاعي، وقد مات في السجن، وأبو يعقوب البويطي، وقد مات في سجن الواثق، وأحمد بن نصر الخزاعي. انظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، ٤٧/١١.

إليه، وصَبْره عليه، وتمسكه بما كان عليه من الدين القويم والصراط المستقيم[1].

وهذا مِن ولائه $ للإسلام وللمسلمين إذ خشي $ من فتنة الناس -بالقول بخلق القرآن- وآثَرَ تَحَمل كل ما تَعَرَّض له من أَذى حِسْبةً لله وحده وولاءً لدينه، وقد شُبِّه بِسَلَفِه من الصَّحَابة الكرام -الخلفاء الراشدين- وتَصَدِّيهم للفتن، وجمعهم للأمة على الحق بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، فكان خير خلف لخير سلف، فقد قال عنه المُزني[2]: «أحمد بن حنبل يوم المحنة، وأبو بكر يوم الردة، وعمر يوم السقيفة، وعثمان يوم الدار، وعلي يوم صفين». اهـ[3].

خاتمة: ممَّا سبق يظهر أثر عقيدة الولاء والبراء على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان، حيث ظهر ذلك جليًّا في عدَّة مواقف، منها اجتماعهم في بيعة أبي بكرٍ ﷺ، واجتماعهم في مُحارَبة المرتدين، وكذلك في عام الجماعة.

كما تَجلَّت هذه العقيدة فيما بعد في رجالٍ صدقوا ما عَاهَدوا الله عليه، فأخذوا على عاتقهم مهمَّة توحيد الأمَّة بعد تَفرُّقها ومواجهة أعدائها من الصليبيين،

---

[1] انظر تفصيل ذلك: ابن كثير، مرجع سابق، ١١/٤٢-٤٤.

[2] هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني (١٧٥- ٢٦٤هـ)، صاحب الإمام الشافعي مِن أهل مصر، كان زاهدًا عالمًا مجتهدًا قوي الحجة، وهو إمام الشافعيين، من كُتُبه: (الجامع الكبير) و(الجامع الصغير) و(المختصر) و(الترغيب في العلم)، قال عنه الشافعي: المُزَني ناصر مَذهبي. انظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق ج١/٣٢٩.

[3] انظر: ابن كثير، مرجع السابق ١١/٤٨.

وبذلوا في سبيل ذلك أموالهم وأنفسهم، وكانوا خيرَ خلفٍ لخيرِ سلفٍ ﷺ أجمعين.

الفصل الثالث

نماذج من التاريخ الإسلامي على أثر ضعف الولاء والبراء في تفرق الأمَّة وهزيمتها

المبحث الأول: تفرُّق الأمَّة في العصر العباسي الثَّاني.

المبحث الثَّاني: تفرُّق الأمَّة في العصر الحديث.

تمهيد

قَسَمَ الإسلامُ العَالَمَ البشريَّ إلى قسمين، أولياء الله، وأولياء الشَّيطان، وأنصار الحقِّ، وأنصار الباطل، ولم يشرع حربًا ولا جهادًا إلاَّ ضد أنصار الباطل وأولياء الشيطان أينما كانوا، ومَنْ كانوا، فقال ﷻ: {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}[1]، فإذا عرفت الأمَّة عدوَّها، وعرفت خطره وقوَّته، كان ذلك مشغلةً لها عن كلِّ حربٍ، وعداوةٍ، وشحٍّ، ومنافسةٍ، وأحقادٍ وهميةٍ.

وهكذا جعل رسول الله ﷺ من قبائل العرب المتعادية الَّتي كانت سُيُوفهم تقطر من دمائهم؛ كالأوس والخزرج في المدينة، وبني عدنان وبني قحطان في الجزيرة، والأجناس المتباينة في العالم، جعلهم أُمَّةً واحدةً، ومعسكرًا واحدًا إزاء الكفر والجاهليَّة؛ إذ جعل لها في خارجها ما تكرهه وتُعَاديه، وهو الباطل والطَّاغوت، ووكلاؤُهُ وأنصارُهُ، وشغلها بحربه، فنسيت أَحْقَادها وتراثها، ولم تتذكَّرها إلاَّ لَمَّا انصرفت عن عَدوِّها، وتَشاغَلت عن قتالِهِ ومعاداتِهِ، فكانت حروبٌ داخليةٌ وفتنٌ[2].

ومن ثَمَّ تفرُّقٌ وضعفٌ في جسد الأمَّة الَّذي كان له كبير الأثر على كيان الدَّولة الإسلاميَّة من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب.

---

[1] سورة النساء، الآية: ٧٦.

[2] الندوي، أبو الحسن، **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، ط٢ (القاهرة: مكتبة السنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، ٢٩١-٢٩٣ بتصرف.

المبحث الأوَّل: تفرق الأمَّة في العصر العباسي الثاني

❑ **المطلب الأوَّل: ضعف الخلافة العباسيَّة، وتفرُّق الأمَّة إلى دويلاتٍ مستقلةٍ (عصر نفوذ الترك ٢٣٢هـ-٣٣٤هـ/ ٨٤٧م-٩٤٥م):** لقَدْ كان لاختيار المعتصم للعنصر التُّركي، وتمكينه لهم في الأرض، وخصهم بالنُّفوذ، وتقليدهم قيادة الجيوش، الأثر في مستقبل هؤلاء، ومستقبل الخلافة العباسيَة[1]، حيث اختار منهم قوادًا لشَجَاعتهم، وسَلَّمهم زمام ملك آبائه العرب، وأزال العرب عن قيادة الجيوش، وأسقط أسماءهم من الدَّواوين، واعتزَّ بهؤلاء المجلوبين.

فجعل بذلك بنيه تحت سلطان هؤلاء، يَتصرَّفون فيهم كما يشاءون، ولم يكن لهم أنسابٌ معروفةٌ. حتَّى قال المؤرخِّون: «إنَّ المعتصم وحده يَتحمَّل تبعة أكثر ما حلَّ بالعبَّاسيِّين من بعده من اضطراب أمرهم، وضعف سلطانهم، وما حلَّ بالأمَّة العربيَّة من غَلَبة هؤلاء على الأمر[2]، ولو أنَّ المعتصم جعل الولاء والبراء معيارًا لاختيار بطانته وجنده ومَنْ يثق بهم، وليست الشَّجَاعة وحدها؛ لجنَّب الدَّولة العباسيَّة ما حلَّ بها من ضعفٍ وتفرقٍ.

وكانت بداية ضعف العصر العبَّاسي الثَّاني (عصر نفوذ الترك ٢٣٢-٣٣٤هـ) بخلافة المُتوكِّل، وانتهى بخلافة المستكفي، واتسم بضعف الخلافة، وسُقُوط هيبتها

---

[1] انظر: طقوش، **التاريخ الإسلامي**، ص١٦٨.

[2] السرجاني، راغب، **الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي**، ط٧ (القاهرة: مؤسسة اقرأ ٢٠٠٧م)، ٢٨٢/١.

شيئًا فشيئًا حتَّى تجرَّأ أمراء الأطراف على الانفصال عنها، وأَحْكم الأتراك قبضتهم على أجهزة الدَّولة.

ومنذ عهد المُتوكِّل، بدأ الانحلالُ يَتسرَّب إلى جسمها بفعل ازدياد نُفُوذهم، تَقلَّصت نتيجة ذلك رُقْعة الدَّولة، فاقتصر حكم الخلفاء على العراق، وبعض مناطق فارس والأهواز، وتَولَّت الدُّول الانفصاليَّة مسؤوليَّة الدِّفاع عن العالم الإسلامي، كلٌّ في ناحيتها، وتبقى مناطق الثُّغور كوحداتٍ تقوى وتضعف وفقًا لتطورات العالم الإسلاميِّ[1].

وقَدْ تجلَّى ضعف الولاء والبراء في قيام العداوات بين هذِهِ الدُّويلات المنشقَّة عن الخلافة، فكلُّ دويلةٍ تحاول على حساب الأخرى أن تزيدَ من ملكها، وأَنْ تهيمنَ سُلْطتها على مَنْ حولها، وقد وَصَل الذلُّ والحقدُ المجنون ببعض هذه الدُّويلات أن استعانت بالصَّليبيِّين، وقاتلت المسلمين تحت صُلْبان الفرنج ورايَاتهم[2].

وقَدْ لاقَى المسلمون من هذا التَّفرُّق، ومن هذه الدُّويلات الكثير من الويلات والمَصَائب والشُّرُور، حيث سفكت الدِّماء، وهتكت الأعراض، ونهبت الأموال، كلُّ ذلك من أجل إشباع نَهمَة حفنةٍ من الحكَّام الانتهازيِّين الَّذين لا همَّ لهم إلاَّ اللَّهث والتَّكَالب، والوصول إلى مقاعد الحكم، ولو كان ذلك على طرقٍ مفروشةٍ بدماء المسلمين وأشلائهم.

وقَدْ مكَّن هؤلاء الحكَّام باقتتالهم وتحاربهم لأَعْداء الإسلام، وأعطوهم بذلك الفرصة السَّانحة الَّتي طالما كانوا يَتحيَّنونها، فكان ذلك الصِّراع الدَّامي الَّذي استمرَّ

---

[1] انظر: طقوش، سهيل، **التاريخ الإسلامي**، مرجع سابق، ١٧٢.

[2] انظر: ابن كثير، مصدر سابق١١/٢٥٨.

عشرات السِّنين جزاءً للمسلمين الَّذين تنازعوا فيما بينهم، فتوقفت ريحهم، وفشلت دويلاتهم، واصطلوا بنيران الحروب، ولهيب المعارك، كما هو بينٌ في التاريخ من حملات الصَّليبيين المتتالية على المسلمين، ومن مجيء التَّتار الهمج، وما ارتكبوه من فظائع وجرائم تَقشعرُّ لسماعها الأبدان[1].

وفيما يلي نشير إلى بعض المواقف الَّتي جسدت ضعف ولاء كثيرٍ من الخلفاء العبَّاسيِّين ممَّا كان له كبير الأثر على ضعف الأمَّة وتفرقها:

أوَّلًا: حرص بعض الخلفاء على أن يكون أقرب النَّاس إليه هم من اتَّسموا بالشَّجاعة، ولم يجعل -إلى جانب الكفاءة- الولاء للإسلام والمسلمين هو معيار اختيار بطانته.

ثانيًا: ما كان من بعض الخلفاء من الاحتماء بالعَصبيَّات، أو الأجناس الأخرى من أجل كرسي الخلافة، حتَّى وَصَل بعضهم لقتل أبيه[2].

ثالثًا: تحكُّم الجنس التُّركي في تعيين الخليفة ممَّا أدَّى إلى اشتعال الحرب بين أخوين من البيت العبَّاسي[3]، وبدلًا من الاجتماع معًا ضدَّ التُّرك، ومحاولة لمِّ الشَّمل، ورأب الصَّدْع الَّذي أَصَاب الدَّولة العباسيَّة، إلاَّ أنَّ حبَّ الجاه والسُّلطة، واتِّباع الهوى وضعف الولاء لله، ورسوله، وللإسلام، كان أيضًا أسباب ضعف

---

[1] انظر: الزهراني، علي بن بخيت، **الانحرافات العقدية والعلمية وآثارهما في حياة الأمَّة**، ط٢(مكة المكرمة: دار طيبة ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م)، ٧٤/١.

[2] مثل ما فعل المنتصر حينما تعاون مع الأتراك لقتل أبيه من أجل كرسي الخلافة.

[3] ما كان من المعتز تجاه المستعين، فبينما حاول المستعين التخلص من نفوذ الأتراك، فترك سامراء، واحتمى بأهل بغداد، سارع الأتراك إلى خلعه، وبايعوا المعتز، ونشبت الحرب بين كل من المستعين والمعتز.

الدَّولة العباسيَّة.

رابعًا: ما كان من تَقوْقع الدَّولة العباسيَّة في مشاكل الدَّولة الدَّاخليَّة، ولو أنَّهم وجهوا طاقة الأمَّة نحو الجهاد ضد الصَّليبيِّين، لتغيَّر أمر الحركات الهدَّامة الَّتي قدَّر الله لها أن تظهر وتنتشر.

لكن العبَّاسيِّين غزوا في عقر دارهم؛ فذلوا، ولم يَرْفعوا راية الجهاد ضدَّ العدو الخارجي، فارتفعت راية العصيان الدَّاخلي، وكان بإمكانهم أن يَشْغلوا الأجناس المختلفة الَّتي ضمتها الدَّولة في هذه الحروب الجهاديَّة المستمرَّة ضدَّ الغزاة والوثنيَّات المختلفة، ولكنَّهم لم يفعلوا، فتحركت النَّعرات القوميَّة الجاهليَّة لتفتُّت الدَّولة، وتقسم جسمها تحت راياتٍ مختلفةٍ ليست لها بالإسلام صلةٌ[1].

خامسًا: وُجُود الرَّوافض في قَلْب الأمَّة الإسلاميَّة، وفي عاصمة الخلافة، ممَّا مَكَّنهم أن يكون لهم دورٌ في الدَّولة، وهم لا يدينون إلاَّ لمذهبهم، حتَّى ولو على حساب أَهْل السُّنَّة، وقَدْ ظهر هذا واضحًا فيما فعله ابن العلقمي، ونصير الدين الطوسي مع هولاكو عدوِّ الإسلام.

وكانت هذه الأسباب الَّتي ذكرناها وغيرها من أقوى الأسباب في سقوط دولة الخلافة، وسقوط بغداد بعد ذلك.

❑ **المطلب الثَّاني: سقوط بغداد (٦٥٦هـ)**: كان سقوط بغداد من أبرز صُوَر ضعف الولاء والبراء حيث تَولَّى كِبَره ابن العلقمي الشِّيعي الرَّافضي الَّذي

---

[1] عويس، عبد الحليم، **أوراق ذابلة من حضارتنا**، ط١(القاهرة: مؤسسة اقرأ ١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، ص١٠٦ بتصرف.

تَولَّى التَّتارَ الكفرةَ، ودَبَّر لهم دُخُول بغداد وإسقاطها، لما يضمره من حقدٍ وغلٍّ على أهل السُّنَّة، والخلافة العباسيَّة.

يقول ابن كثير حاكيًا عن هولاكو: «ووصل إلى بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة الظَّالمة الغاشمة، ممَّن لا يؤمن بالله واليوم الآخر، فأَحَاطوا ببغداد بناحيتها الشَّرقيَّة والغربيَّة، وجنود بغداد في غاية القلَّة ونهاية الذِّلَّة، لا يبلغون عشرة آلاف فارس، وهُمْ في غاية الضَّعف... **إلى أن قال:** «ومَالُوا على البلد، فقتلوا جميع مَنْ قدروا عليه من الرِّجال، والنِّساء، والولدان، والمشايخ، والكهول، والشُّبَّان، ودخل كثيرٌ من النَّاس في الآبار وأماكن الحُشُوش، وقني الوسخ، وكمنوا كذلك أيامًا لا يظهرون، وكان الفئامُ من النَّاس يجتمعون في الحانات، ويُغْلقون عليهم الأبواب، فتفتحها التَّتار إمَّا بالكسر، أو بالنَّار، ثمَّ يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي المكان، فيقتلونهم في الأسطحة، حتَّى تجري المياذيب من الدِّماء في الأزقَّة؛ فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون»[1].

أثر ضعف الولاء والبراء في هزيمة الأمَّة: كان ابن العلقمي رافضيًّا خبيثًا، رديء الطَّويَّة على الإسلام وأهله، وقَدْ حصل له من التَّعظيم والوجاهة في أيام المستعصم ما لم يحصل لكثيرٍ ممَّن قبله من الوزراء، ثمَّ مالأ على الإسلام وأهله للتَّتار أصحاب هولاكوخان، حتَّى جاءوا فجاسوا خلال الدِّيار، وكان أمرًا مفعولًا[2]، ولم يكن التَّتار ليقدموا على اجتياح بغداد_ بعد إرادة الله _لولا ابن العلقمي الرَّافضي

---

[1] انظر: ابن كثير، مصدر السابق ٢٨٧/١٣.

[2] انظر: ابن كثير، مرجع سابق، ٢٩٧/١٣.

الَّذي انْسلَخ بولائه عن المسلمين، وأخذ على عاتقه إضعاف جند الخلافة، وتقليص عَدَدهم، ثمَّ مناصرة هولاكو على الإسلام والمسلمين، الَّذي كان من عاقبتِهِ، إسقاط بغداد، وإسقاط الخلافة العباسيَّة.

❑ **المطلب الثَّالث: سقوط الأندلس(٨٩٧هـ-١٤٩٢م)**: إنَّ سقوط الأندلس لم يكن دفعةً واحدةً، ولكنَّه مرَّ بمراحل، فمنذ سُقُوط الخلافة الأمويَّة في الأندلس عام ٤٢٢هـ، قامت على أنقاضهم مجموعة دويلات هزيلة في الأندلس، عرف عهدها بعهد مُلُوك الطَّوائف الَّذي كان من أكثر عهود المسلمين في الأندلس تَفكُّكًا، وضعفًا، وانحدارًا نحو الهاوية، حيث انفرط عِقْدُ البلاد، وتقاسمته نحو ستَّة وعشرين دولة تتفاوت فيما بينها في الحجم والقوَّة والضَّعف، حتَّى كان لكلِّ مدينةٍ تقريبًا حاكمها المستقل مُتَّخذًا لقب الملك، أو الأمير، أو الوالي، أو القاضي تبعًا لحجم المنطقة، أو المدينة الَّتي يحكمها[1].

ويَنْقسم هؤلاء الأُمَراء إلى بربر، وصقالبة، وعرب.

ويَتجلَّى ضَعْف الولاء والبراء الَّذي أدَّى إلى سقوط الأندلس في عدَّة مواقف:

أوَّلًا: في مُوَالاة الكفَّار: من ذلك ما فعله كثيرٌ من ملوك الطَّوائف في الحروب القوميَّة بينهم الَّتي لم يخمد أُوَارها طيلة السَّنوات الَّتي حكموا فيها، ولقَدْ ترك هؤلاء الملوك المستذلُّون الضِّعاف الملوك النَّصارى يعيثون بهم، ويَتقدَّمون في بلادهم، وَانْشَغلوا هم بحُرُوبهم الدَّاخليَّة، وباستعداء النَّصَارى ضدَّ بعضهم البعض، وتَسَابقوا

---

[1] انظر: طقوش، محمد سهيل، **تاريخ المسلمين في الأندلس**، ط٣ (بيروت: دار النفائس ١٤٣١هـ-٢٠١٠م) ص ٤٢٧.

على كسب النَّصَارى، وامتهنوا في ذلك كرامتهم وكرامة الإسلام، فدَفَعوا الجزية، وتنازلوا طوعًا عن بعض مدنهم للنَّصَارى[١]، وحاربوا في جيوش النَّصَارى ضدَّ المسلمين من إخوانهم في المُدُن الأخرى من أرض الأندلس الإسلاميَّة[٢].

ثانيًا: الانحراف العقدي، والصِّراع على السُّلطة: فبعد أن استقرَّت دولة المرابطين في الأندلس فترةً من الزَّمن، واستطاع زعيمهم[٣] أن يستردَّ كثيرًا من المدن الأندلسيَّة إلاَّ أنَّ ظهور دولة المُوحِّدين بقيادة زعيم[٤] اشتطَّ وانحرف عن المنهج الصَّحيح، من أجل تحقيق أهدافه، وكُفْر مَنْ لم يؤمن بما يقول، ويعتنق ما يدعو إليه، واستباح دمه حتَّى ولو كان من أتباعه، فكفر دولة المرابطين، وأَوْجَب جهادها، وشنَّ حملةً إعلاميةً كاذبةً ضد دولة المرابطين السُّنية الَّتي أقامت كيانها على مذهب أهل السُّنَّة والجماعة.

---

[١] مثل ما فعل المعتمد بن عباد مع ألفونسو على أن يساعد ملك قشتالة المُعتمد في حروبه ضد سائر أعدائه من الأمراء المسلمين.

[٢] مثل: ابن الأحمر مؤسس مملكة غرناطة الَّذي هادن ملك قشتالة الصليبي، وعقد معه الصلح لمدة عشرين سنة، وسَلَّم له عدة مدن، واعترف له بالطاعة، وتَعَهَّد بأن يُؤدِّي إليه جزية سنوية، وأن يعاونه في حروبه ضد المسلمين!

[٣] حيث سارع زعيم المرابطين (يوسف بن تاشفين) لنجدة المسلمين في الأندلس، وقد نجح المرابطون في إيقاف الزحف النصراني، وحققوا انتصارًا كبيرًا على النصارى في معركة الزلاقة ٤٧٩هـ، وأذلوا كبرياء ألفونسو، واستردوا كثيرًا من مدن الإسلام، وكان من أثر هذا الانتصار مَد عُمر الإسلام في الأندلس فترة من الزمن.

[٤] لقد كان ابن تومرت أقرب ما يكون إلى المعتزلة والشيعة، ولقَدْ كان أحد أتباعه لما كتب تاريخ ابن تومرت لا يُسمِّيه إلاَّ الإمام المعصوم، وليس قربه من هؤلاء بأقل من قربه من الأشاعرة؛ بل أخذ شيئًا من الخوارج، لا سيما في التساهل في الدماء.

فطعن في عقيدتهم، ووصفهم بأنَّهم مُجسِّمون وكفَّار لا تجوز طاعتهم، ولا الولاء لهم، بل يجب جهادهم، ولهذا قاتلَ المُوحِّدين المرابطين قتالَ المسلمين للكُفَّار حسب اعتقادهم، وما ذلك إلاَّ بسبب أنَّ ابن تومرت قد نَحَا في حربه للمرابطين منحًى فكريًّا عقديًّا غَالَى فيه حتَّى أصبح العداءُ للمرابطين اتِّجاهًا فكريًّا[1].

ولقَدْ وَصَفه لفيفٌ من المُؤرِّخين بأنَّه منتحلٌ ومبتدعٌ، وانْبرَى له شيخ الإسلام ابن تيمية بهَدْم عقيدتِهِ بمَعَاول الحقِّ، والحُجَج والبراهين[2].

ثالثًا: ضعف رابطة العقيدة بين كثيرٍ من مُلُوك الأندلس: فبعد سُقُوط دولة المُوحِّدين بدأت حركة ما يُسمَّى بالاسترداد الصَّليبي تسوق المسلمين المُفكَّكين، المتناطحين بالألفاظ، المقسمين في ولائهم بين مُلُوك النَّصارى، فلم يعد يجمعهم جامعٌ من خلافةٍ إسلاميةٍ جامعةٍ، أو من عقيدةٍ تشتعل بها أعماقهم، ويَبْحثون عن رفعها أكثر ممَّا يبحثون عن رفعة أنفسهم، ولذا؛ فقَدْ تبع سقوط المُوحِّدين التَّمهيد لسقوط كثيرٍ من مدن الأندلس.

خاتمة: كانت هناك أسباب عديدة أَسْهَمتْ في سقوط الأندلس، منها: تَفكُّك وحدة الشمال الإفريقي، والانغماس في الشَّهوات، والرُّكُون إلى الدَّعَة والتَّرف، والاختلاف والتفرُّق بين المسلمين، والتَّخاذل عن نصرة مَنْ يحتاج إلى نصرةٍ، وغدر النَّصارى ونقضهم للعهود، وإلغاء الخلافة الأمويَّة وظهور عصر الطَّوائف، إلاَّ أنَّ

---

[1] الهرفي، سلامة محمد سلمان، **دولة المرابطين** (دار الندوة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ص١٢٤ نقلًا عن الصلابي، علي بن محمد، **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين**، ط٤ (بيروت: دار المعرفة ١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، ص٣١٦.

[2] انظر: ابن تيمية: **الفتاوى**: ٢٦٥/١١، مرجع سابق.

موالاة النَّصارى والثِّقة بهم، والتَّحالف معهم قَدْ بلغ ذروته.

واضطرب بسبب ذلك مفهوم الولاء والبراء، والحب في الله والبغض في الله، فحبُّ الجاه عند هؤلاء الملوك جعلهم يقاتلون بعضهم بعضًا، ويؤثرون تَولِّي النَّصارى لمصالحهم الشخصيَّة بعيدًا عن مصلحة الأمَّة والإسلام، وكذلك حب ابن تومرت للسُّلطة جعله يستبيح دماء المرابطين المسلمين، ومَنْ تَبَعهم وعاملهم ككُفَّار.

وكان لقتاله إيَّاهم كبير الأثر على ضَعْف الأندلس في ذلك الوقت، وطمع النَّصَارى في استرداد بعض الممالك، فغياب عقيدة الولاء والبراء بين هؤلاء الملوك والحُكَّام، وتَولِّي النَّصارى كان هو الغالب على هؤلاء، وكان من أكثر أسباب سقوط الأندلس، ولو أَنَّهم رجعوا إلى قوله تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}[1].

واجتمعوا جميعًا في مواجهة الممالك النَّصرانيَّة، واجتمعوا تحت راية الإسلام، وتركوا ما يُفرِّقهم من نزعاتٍ جاهليةٍ، وهوى لما ذهبت ريحهم وسقطت الأندلس.

المبحث الثاني: تفرق الأمَّة في العصر الحديث ١٧٩٨م

المطلب الأوَّل: سقوط آخر خلافة إسلامية (الخلافة العثمانية)١٣٤٢هـ-١٩٢٤م:

إنَّ أسباب سقوط الخلافة العثمانيَّة كثيرةٌ، جامعها: فساد المعتقد والابتعاد عن تحكيم شرع الله، فلقَدْ كان في ابتعاد أواخر سَلاَطين الدَّولة العثمانيَّة عن شرع الله آثار على الأمَّة الإسلامية، فمنذ وفاة السُّلطان العثماني سليمان القانوني عام ٩٧٤هـ، والَّذي اتفق المؤرِّخون على أنَّ عظمة الدَّولة العثمانيَّة انتهت بوفاته،

[1] سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

منيت الخلافة العثمانيَّة بسلاطين ضعف فيهم سلطانُ الدِّين[1]، وبالتَّالي الولاء والبراء، ممَّا انعكس ذلك على الأمَّة، فقد أصيبت بانحرافٍ شديدٍ في مفاهيم دينها؛ كمفهوم الولاء والبراء، ومفهوم العبادة، وَانْتشرَتْ مظاهر الشِّرك والبدع والخرافات.، فلَقَدْ كانت الدَّولة العثمانيَّة في بداية أمرها تسير على شرع الله ملتزمةً بمنهج أهل السُّنَّة في مسيرتها الدَّعويَّة والجهاديَّة، وظهر أثر ذلك على الأمَّة من العزِّ والتَّمكين، والأمن والاستقرار، والعزِّ والشَّرف، والنَّصر والفتح[2].

إنَّ الشُّعور بالترابط بين المسلمين كان قويًّا، وكانت عقيدة الولاء والبراء سليمةً إلى حدٍّ كبيرٍ في نفوس العامَّة، فكان المسلم في الشام -مثلًا- يحبُّ أخاه المسلم في مصر، وكان المسلم يَتنقَّل من أيِّ بلدٍ شاء إلى أيِّ بلدٍ شاء، لا تعوقُهُ عوائقُ، ولا تحول دون تَنقُّله حواجز، ولا يشعر بأنَّه غريبٌ؛ لأنَّه مهما حلَّ أو أقام فهُوَ بين إخوانه المسلمين[3]؛ لذلك كَبُرَ على أعداء الإسلام من اليهود والنَّصَارى أَنْ يروا تلك العقيدة جدارًا صلبًا، وحاجزًا قويًّا يقف أمام مُخطَّطاتهم ومحاولاتهم في القضاء على المسلمين ودينهم، ولِذَا أَخَذوا يَعْملون على تحطيم ذلك الجدار عن طريق صَنَائعهم وعُمَلائهم في البلاد الإسلاميَّة، وفي الدَّولة العثمانيَّة مِمَّنْ بأيديهم

---

[1] أُصِيب البَلاط العثماني والدوائر الحاكمة في الدولة بفساد شديد خلال المدة الواقعة بين وَفَاة السُّلطان سليمان القانوني، وتولية السلطان مصطفى الرابع العرش عام ١٢٢٢هـ-١٨٠٧م. انظر: طقوش، التاريخ الإسلامي، مصدر سابق، ص٣٧١.

[2] انظر: الصلابي، على محمد، **الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط**، ط٦، (بيروت: دار المعرفة ١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، ص٥٣٢.

[3] **انظر**: الزهراني، علي بن بخيت، **الانحرافات العقدية والعلمية وآثارهما في حياة الأمَّة**، ط٢ (مكة المكرمة: دار طيبة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م)، ص١٤٣ بتصرف.

مقاليد الأُمُور من السَّلاطين والباشوات[1]، فقَدْ ولَّى هؤلاء الحُكَّام وُجُوههم شطر أعداء أُمَّتهم، وخرقوا هذا السِّياج المنيع الَّذي أقامته عقيدة الولاء والبراء، مُتَحدِّين بذلك شُعُوبهم، غير آبهين بمستنكرٍ أو ساخطٍ، وظلُّوا يعملون دائبين على تخطِّي هذا السِّياج وتحطيمه في نفوس شعوبهم، واجتثاثه بالكليَّة ممَّا كان كبير الأثر فيما بعد على شعوبهم[2].

ويتجلَّى أثر ضعف الولاء والبراء في سقوط الخلافة في عدَّة أمورٍ، نذكر منها:

أولًا: ما حدث مع السُّلطان العثمانيِّ محمود الثاني (ت١٨٣٩م) الَّذي تزعم حركة الإصلاح المقلدة للمنهج الأوروبي، حيث عمل على مسخ عقيدة الولاء والبراء، وحاول طمسها في النُّفوس[3].

ثانيًا: ما حدث من استعانة الدَّولة العثمانيَّة بضباطٍ دانوا بالولاء لروسيا من قبل، وظلَّت الدَّولة غافلةً عن هذه الحقيقة، وبالتَّالي كان لروسيا عيونٌ في جيش السُّلطان الجديد تُزوِّدها بأدقِّ المعلومات والخطط[4]، وكَمْ من هزيمةٍ ساحقةٍ تلقتها الدولة العثمانية من روسيا، وكان من أسبابها تَسرُّب المعلومات الهامَّة عن طريق هؤلاء، وهذا مثالٌ بارزٌ على استهانة بعض السَّلاطين العثمانيين بعقيدة الولاء

---

[1] انظر: الزهراني، **الانحرافات العقدية**، مرجع سابق، ص١٤٥ بتصرف.

[2] المرجع السابق، ١٤٨ بتصرف.

[3] انظر: البحراوي، محمد عبد اللطيف، **حركة الإصلاح في عصر السلطان محمود الثاني**، ط١ (القاهرة: دار التراث، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م)، ص٢١٤.

[4] المرجع السابق ٢٤٧.

والبراء[1].

ثالثًا: ما كان من سلاطين الدَّولة العثمانيَّة وباشواتها من مُوَالاة الكافرين، والرُّكُون إليهم، واتِّخاذهم بطانةً من دون المؤمنين، والعمل على إضعاف عقيدة الولاء والبراء في الأمَّة: من هؤلاء: «محمد علي»، وذريته من بعده، حيث فتن بالغرب، وتابع سياستهم، وسار على خُطَاهم، وما فتئ خلال مدَّة حكمه يتولَّى الكفَّار ويُصَانعهم، ويُعْلي من شأنهم، ويقوم باتِّباعهم والاقتباس من نظمهم وقوانينهم، والسَّير في رِكَابهم، مع شدَّة بطشه وتنكيله بالمسلمين، واستهانته بهم؛ فقَدْ تَخطَّى عقيدة الولاء والبراء، وَضَربها في الصَّميم، ليُرْضي الصَّليبيِّين، وليخضع أُمَّته وشعبه المسلم للمخطَّطات اليهوديَّة، فقد اعتاد أن يكون أغلب المحيطين به من النَّصَارى واليهود الَّذين تغلغلوا في حكومته وبلاطه، خصوصًا نصارى الأرمن من أعداء الملَّة الَّذين هم خاصَّته وجلساؤه وأهل مشورته، وشركاؤه في اختلاس أموال الدَّولة ونهب خيراتها[2].

وقَدْ أظهر الجبرتي[3] ألمه وتأسُّفه لما وصل إليه حال الكفَّار، والمكانة الَّتي تَبوَّءوها في عهد «محمد علي»، وأنَّهم صاروا أعيان النَّاس، ويَتقلَّدون المناصب الرَّفيعة، ويلبسون ثياب الأكابر، ويركبون البغال والخُيُول المسومة، وأمامهم وخلفهم العبيد، والخدم، وبأيديهم العصي يطردون النَّاس، ويفرجون لهم الطُّرق[4].

---

[1] انظر: الزهراني، **الانحرافات العقدية**، مرجع سابق ١٥١/١ بتصرف.

[2] المرجع السابق، ١٦١/١بتصرف.

[3] هو عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ صاحب كتاب: «عجائب الآثار في التراجم والأخبار».

[4] الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن، **عجائب الآثار**، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ط١ (القاهرة: دار الكتب المصرية ١٩٩٨)، ٤٨٩/٤.

إنَّ هذه السِّياسة التدميريَّة الَّتي نهجها محمد علي، والَّتي فرضت قهرًا على المسلمين كانت تنفيذًا للمُخطَّط الصَّليبي الَّتي عجزت الحملة الفرنسيَّة عن تنفيذه بسبب اضطرارها للرَّحيل، وهو أمر أَكَّده المُؤرِّخ الإنجليزي «أرنولد توينبي» في قوله: «كان محمد علي ديكتاتوريًّا، أمكنه تحويل الآراء النابليونيَّة إلى حقائق فَعَّالة في مصر»[1].

رابعًا: اليهود والنَّصارى؛ كجماعات الدونما والماسونية، كان لهم دورٌ كبيرٌ في إضعاف الخلافة العثمانيَّة، وكان من أَدَواتهم بعثهم لما يُسمَّى بالنزعات العنصريَّة: القوميَّة الطورانيَّة للترك، والقوميَّة الكرديَّة، والبربريَّة، وعشرات القوميَّات المعروفة الأخرى، وجرُّوا هؤلاء جميعًا إلى ترك الخلافة العثمانيَّة في محنتها، بل جَرُّوا إلى ضرب الخلافة، والتجمُّع ضدها تحت قيادات قوميَّة عميلة للجمعيَّات اليهوديَّة، وقَدْ نجح بعض أفراد هذه القيادات في تبوؤ مناصب كبرى، وبالتَّالي في ضرب العثمانيِّين والإسلام في الصَّميم[2].

وَانْتهَى الأمر بإلغاء الخلافة الإسلاميَّة، وإعلان الجمهوريَّة التُّركية في ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٣م، وتَدَاعت تركيا وسقطت، فلم تقم لها قائمةٌ، وتَدَاعى بعدها ومعها العالم الإسلاميُّ بلدًا بلدًا، وفَكَّتْ أواصر الحبِّ والوحدة، ونال العربُ حَظَّهم من كلِّ ما أصاب العالم الإسلامي[3].

إنَّ جهود النَّصَارى، واليهود، والعلمانيَّة ما كانت لتؤثِّر في الدَّولة العثمانيَّة إلاَّ

---

[1] انظر: **قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين** ١٨٢، نقلًا عن الصلابي.

[2] انظر: عويس، **دراسة لسقوط ٣٠ دولة إسلامية**، مرجع سابق، ١٦٢ .

[3] انظر: المرجع السابق، ١٧٢-١٧٤.

بعد أن انحرفت عن شرع الله، وانغمسَ سلاطينها في التَّرف الشَّهوات والتَّطلُّع إلى الزَّعامة والحفاظ عليها، والسَّعي لها، وطلب أسباب العيش الهنيء، وقد مضت سُنَّة الله في المترفين الَّذين أبطرتهم النِّعمة، وابتعدوا عن شرع الله بالهلاك والعذاب.

وكذلك الانقلابات الَّتي يقف وراءها اليهود مستترين في شعارات الشُّيوعيَّة، أو الحريَّة، أو القوميَّة، أو الوطنيَّة ما كانت لتؤثِّر في الخلافة الإسلاميَّة إلاَّ حين فقدت الأمَّة هُويَّتها، وضعفت وشيجة العقيدة الَّتي تجمعهم، وتلاشى الولاء الَّذي يربطهم، فمَنْ لم تجمعه وشيجة الإسلام، فرَّقته الشِّعاراتُ الكاذبة.

خاتمة الفصل: إنَّ الجامع بين كلٍّ من ضعف الخلافة العباسيَّة وتَفرُّقها، وسقوط بغداد والأندلس والخلافة العثمانيَّة هو التَّنازع على السُّلطة، وموالاة الكفار، والانشغال بالتَّرف عن الجهاد، وهكذا ضاعت البلاد، ونكب العباد، وتَسلَّط الكفار بأناسٍ أَهْمَلوا مصالح الأمَّة، وجَرُّوا بلادهم وشعوبهم إلى هاوية الاحتلال، بخلافاتهم الدُّنيويَّة ومُوَالاتهم للكفَّار، واستعانتهم بهم.

الفصل الرابع

عوامل ضعف الولاء والبراء على مر العصور، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: النفاق.

المبحث الثاني: الانحراف العقدي.

المبحث الثالث: الغزو الفكري.

المبحث الرابع: العصبية واتباع الهوى.

المبحث الخامس: الجهل.

تمهيد: لقد كان لضعف الولاء والبراء عواملُ كثيرةٌ تتابعت على مرِّ العصور، منها ما كان له دورٌ ثانويٌّ أو مرحليٌّ؛ كحب الجاه والسُّلطة، في تأثيره على هذه العقيدة، ومنها ما كان دوره جوهريًّا وبينٌ، مثل: النِّفاق، والانحراف العقدي اللَّذان يعدَّان من أكبر العوامل المؤثِّرة في ضعف الولاء والبراء، ويليهما عواملُ أخرى لها كذلك أثرٌ فعالٌ لا يمكن تجاهلها، وسوف نتناول في هذا الفصل هذه العَوَامل في محاولةٍ لاستقراء أثرها على العقيدة الإسلاميَّة لا سيَّما الولاء والبراء على مرِّ العصور منذ ظهورها، وحتَّى وقتنا هذا.

المبحث الأوَّل: النفاق

إنَّ العدوَّ الأكبر الَّذي يجب أن نحذرَ منه أشدَّ من غيره ليس العدوَّ الظَّاهر الَّذي نعلم عداوته، ولكنَّه العدو الَّذي يَتستَّر خلف قناع الصَّداقة الَّذي يُظْهر غير ما يُبْطن، الَّذي حذَّرنا الله منه حيث قال جلَّ وعلا: {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}[1]، هؤلاء هم المنافقون.

يقول ابن القيِّم $ في «طريق الهجرتين» وهو يتحدَّث عن قول الله تعالى: {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ}: «ومثل هذا اللَّفظ يقتضي الحصر، أي: لا عدوَّ إلاَّ هم، ولكن لم يرد هاهنا حَصْر العداوة منهم، وأنَّه لا عدوَّ للمسلمين سواهم، بل هذا من باب إثبات الأولويَّة والأحقيَّة لهم في هذا الوصف، وأنَّه لا يتوهَّم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهرًا، وموالاتهم لهم ومخالطتهم إيَّاهم أنَّهم ليسوا بأعدائهم، بل هم أحقُّ بالعداوة ممَّن باينهم في الدَّار، ونصب لهم العداوة، وجَاهَرهم بها؛ فإنَّ ضرر هؤلاء

[1] سورة المنافقون، الآية: ٤.

المخالطين لهم، المعاشرين لهم -وهُمْ في الباطن على خلاف دينهم- أشدُّ عليهم من ضرر مَنْ جاهرهم بالعداوة، وألزم وأدوم؛ لأنَّ الحربَ مع أولئك ساعةٌ أو أيَّامٌ ثمَّ تنقضي، ويعقبه النَّصر والظَّفر، وهؤلاء معهم في الدِّيار والمنازل صباحًا ومساءً، يدلُّون العدوَّ على عوراتهم، ويتربَّصون بهم الدَّوائر، ولا يمكنهم مُنَاجزتهم، فهم أحقُّ بالعداوة من المباين المجاهر، فلهذا قيل: {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ}، لا على معنى أنَّه لا عدوَّ لكم سواهم، بل على معنى أنَّهم أحقُّ بأن يكونوا لكم عدوًّا من الكفَّار المجاهرين. اهـ[1].

وقال في «مدارج السَّالكين»: «قد هَتَك الله سبحانه أستارَ المنافقين، وكشف أسرارهم في القرآن، وجلَّى لعباده أُمُورهم؛ ليكونوا منها ومن أهلها على حذرٍ، وذكر طوائفَ العالم الثَّلاثة في أوَّل سورة البقرة: المؤمنين، والكفار، والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آياتٍ، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آيةً؛ لكثرتهم وعُمُوم الابتلاء بهم، وشدَّة فتنتهم على الإسلام وأهلِهِ، فإنَّ بليَّة الإسلام بهم شديدةٌ جدًّا؛ لأنَّهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته، وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كلِّ قالبٍ يظنُّ الجاهل أنَّه عِلْمٌ وإصلاحٌ، وهو غاية الجهل والإفساد.

فلِلّه كَمْ من معقَلٍ للإسلام قد هَدَمُوه؟! وكم من حِصنٍ له قد قلعوا أساسه وخرَّبوه؟! وكم من عَلَمٍ له قد طَمَسوه؟! وكم من لواءٍ له مرفوع قَدْ وضعوه؟!

---

[1] ابن القيم، **طريق الهجرتين**، تحقيق: بشير محمد عيون، ط٢ (دمشق: مكتبة دار البيان ١٤١٩هـ-١٩٩٨)، ص٤١٤.

وكم ضربوا بمعاول الشُّبه في أصول غِرَاسِهِ ليقلعوها؟! وكم عَمُّوا عيون موارده بآرائهم ليدفنوها ويقطعوها؟! فلا يزال الإسلامُ وأهلُهُ منهم في محنةٍ وبليَّةٍ، ولا يزال يطرقه من شُبَههم سَرِيَّةٌ بعد سريَّةٍ، ويزعمون أنَّهم بذلك مصلحون {أَلا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لاَّ يَشْعُرُونَ}[1]، {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ}. اهـ[2].

قال الشَّيخ عطية سالم في تتمة «أضواء البيان»: «فيه ما يشعر بحصر العداوة في المنافقين مع وُجُودها في المشركين واليهود، ولكن إظهار المشركين شركَهم، وإعلان اليهود كُفْرَهم مَدْعاة للحذر طبعًا، أمَّا هؤلاء فادِّعاؤهم الإيمان وحلفهم عليه، قد يوحي بالرُّكون إليهم ولو رغبةً في تأليفهم، فكانوا أَوْلَى بالتَّحذير منهم لشدَّة عداوتهم، ولقوَّة مُدَاخلتهم مع المسلمين، ممَّا يمكنهم من الاطِّلاع على جميع شُئونهم. اهـ[3].

وكذلك حَذَّر النَّبيُّ ﷺ أُمَّته من هؤلاء المنافقين، فعن أبي عثمان الهندي قال: كنتُ عند عمر بن الخَطَّاب ﷺ فسمعتُهُ يقول في خطبتِهِ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**أخوف ما أخاف على أُمَّتي جدال المنافق عليم اللِّسان**»[4].

---

[1] سورة البقرة، الآية: ١٢.

[2] سورة الصف، الآية: ٨. ابن القيم، **مدارج السالكين**، تحقيق: عماد عامر (القاهرة: دار الحديث ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥)، ٢٨٣/١.

[3] سالم، عطية محمد، **تتمة أضواء البيان**، ط١ (القاهرة: دار الحديث ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م)، ١٦١/٨.

[4] صحيح: الإحسان في تقريب **صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، كتاب (العلم)، باب (ذِكر ما كان يتخوف ﷺ على أمته جدال المنافق)، حديث رقم: ٨٠، وصححه الألباني في «صحيح الجامع

فالنفاق خطره في خفائِهِ واستتاره، ولقَدْ كان له كبيرُ الأثر في إثارة الفتن منذ عهد النَّبيِّ ﷺ، وحتَّى وقتنا هذا، فقد أَخَذ المنافقون على عاتقهم مهمَّة القضاء على الإسلام، مُتَّخذين في سبيل تحقيق ذلك تأييد كلِّ طريقٍ يعارض طريقَ الإسلام، ولا يهتدي بهَدْيه في كلِّ مجالات الحياة: السِّياسيَّة، والثَّقافيَّة، والاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، وغير ذلك، وكذلك مُتَّخذين أعداء الإسلام أولياء وإِن اختلفت عَقَائدهم من يهوديَّةٍ ونصرانيَّةٍ وشيوعيَّةٍ طالما أنَّهم يشتركون جميعًا في هدفٍ واحدٍ، وهو القضاء على الإسلام، ولن يكون ذلك إلاَّ بإضعاف العقيدة الإسلاميَّة في نُفُوس المسلمين، ومن ثَمَّ إضعاف الانتماء إلى الإسلام وأهله، والقضاء على الولاء والبراء لدى المسلم.

واتخذوا في سبيل إضعاف الولاء والبراء عدَّة أُمُورٍ، منها:

أوَّلًا: عن طريق إشاعة الفاحشة: لَّما رأى المنافقون وإخوانهم من أعداء الدِّين أنَّ المجتمع المسلم مهما أصابته المحنُ والحروبُ ما زالت عقيدتُهُ قويةَ البنيان لا تتأثَّر بأيِّ محنةٍ، رأى هؤلاء أنَّ السَّبيل الأول هو إضعاف هذه العقيدة، أو تمييعها، من ذلك ما يفعله كثيرٌ من العَلمانيِّين من محاربة أيِّ قيمٍ ومبادئٍ إسلاميَّةٍ، ووصمها بالتَّخلُّف، والرَّجعيَّة، والإرهاب الفكريِّ، إلى غير ذلك من المصطلحات الَّتي يَتفنَّنون في نشرها في المجتمع المسلم حتَّى يستطيعوا من خلال ذلك نَشْر أفكارهم المنحرفة، وإشاعة الفاحشة والرَّذائل في المجتمع، وتزيينها، ووصفها بالتَّحضُّر، والمدنيَّة، والحريَّة، فيصلوا بذلك إلى قلب الموازيين في تحسين المنكر، وتزيينه، وتقبيح

الصغير» حديث رقم: ٢٣٩.

المعروف، ووصمه بالرجعيَّة والتخلُّف، كما قال ﷻ: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}[1].

يقول الشَّيخ السعديُّ في تفسير هذه الآية: «لأنَّهم اشتركوا في النِّفاق، فاشتركوا في تولِّي بعضهم بعضًا، وفي هذا قطعٌ للمؤمنين من ولايتهم. ثمَّ ذكر وصف المنافقين العام الَّذي لا يخرج منه صغيرٌ منهم، ولا كبيرٌ، فقال: {يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ}، وهو: الكفر، والفسوق، والعصيان، {وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ}، وهو: الإيمان، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصَّالحة، والآداب الحسنة، {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}، حَصَر الفسقَ فيهم؛ لأنَّ فِسْقَهم، أعظم من فسق غيرهم، بدليل أنَّ عذابهم أشدُّ من عذاب غيرهم، وأنَّ المؤمنين قد ابْتُلُوا بهم، إذ كانوا بين أظهرهم، والاحتراز منهم شديد». اهـ[2].

فحبُّ المنافقين لانتشار الفاحشة بين المؤمنين يَدْفعهم إلى محاربة الفضيلة، وتزيين المنكرات، ومخاطبة الشَّهوات والغرائز؛ وبالتَّالي إغراق المجتمع في بؤرة الفاحشة؛ رؤيةً وسماعًا، بل وفعلًا، ومن ثم يغفل شباب المسلمين عن معالي الأمور، وعن دينهم وعقيدتهم وعبادتهم[3]، وبالتَّالي يَضْعف إيمانهم، ويضعف بذلك الولاء للدِّين.

ثانيًا: محاربة الصَّحوة الإسلاميَّة بتشويه صورة المُتمسِّكين بالإسلام في

---

[1] سورة التوبة، الآية: ٦٧.

[2] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، مرجع سابق، ٢٩٤/١.

[3] الشدي، **النفاق وأثره**، مرجع سابق، ٤٥١. بتصرف

المجتمعات الإسلاميَّة: سَعَى المنافقون إلى محاربة الصحوة الإسلامية بتشويه صورة المُتمسِّكين بها، الدَّاعين إليها، وسَلَكوا في سبيل تحقيق ذلك كلَّ الوسائل والإمكانات المسخَّرة لهم، وسَلَّطوا آلة الإعلام الضَّخمة لتشويه صورة دُعَاة الإسلام، وعلماء الإسلام في أَذْهَان أفراد المجتمعات المسلمة ابتداءً بتَسْميتهم لهم بـــ(المتطرِّفين، المتشدِّدين، والأصوليِّين، والإرهابيين... إلخ)، ووصولًا إلى افتعال الأكاذيب، واختلاق الفِرَى عن المتمسِّكين بالإسلام بما ينفِّر ويبغض النَّاس فيهم، وانتهاءً بتلفيق التُّهم الباطلة لهم، ووصمهم بكلِّ نقيصةٍ[1]، ولا شكَّ أنَّ ذلك المجتمع مع الوقت سيضعف عنده سلطان الدِّين والولاء للدِّين، وللصَّحوة الإسلاميَّة.

ولقَدْ حرص المنافقون في كل عصر لا سيما في العصر الحديث على استخدام كل ما من شأنه يخدم مُخطَّطاتهم، مثل وسائل الإعلام (المرئي والمقروء)، فلقد فطن أهل النِّفاق إلى أهميَّة استخدام هذه الوسائل في صياغة عُقُول المجتمعات، ولا سيَّما النَّاشئة من الشَّباب والفتيات، وبث المفاهيم المخالفة للمعتقد السَّليم، والدِّين الصَّحيح، والتَّشكيك في كثيرٍ من الثَّوابت الشَّرعيَّة الَّتي لا تقبل جدلًا، والدَّس على أهل الإسلام ودعاته، وتشويه صورتهم عبر هذه الوسائل المختلفة زورًا وبهتانًا، أو تضخيمًا لصغير الخطأ، ودقيق الزَّلل، وإثارة لنقمة المجتمع ضدَّهم، وضدَّ ما يحملونه من طرحٍ إسلاميٍّ، ثمَّ تشويهه من قبل القائمين على هذِهِ الوسائل، مع سعيهم الدائم في إشاعة الفواحش، ونشر الانحلال وألوان الفساد في المؤمنين؛ فأتاحت لهم فرصةً ذهبيَّةً لإفساد المجتمع، وإشاعة الرَّذيلة عبر هذه الوسائل الَّتي تدخل كلَّ بيتٍ، ويَطَّلع

---

[1] انظر: الشدي، **النفاق وأثره**، مرجع سابق، ص٣٩٤ بتصرف.

عليها كلُّ شابٍّ وفتاةٍ[1].

خاتمة: سَعَى المنافقون في العصر الحديث في محاربة الصَّحوة الإسلاميَّة عن طريق بثِّ الأراجيف، ونَشْر الشائعات حول أهداف المُتمسِّكين بالإسلام، فيَتحقَّق هدفُ هؤلاء من إضعاف سلطان الدِّين في المجتمع، وتمييعه، ومن ثَمَّ ضعف الولاء للدِّين في هذا المجتمع الَّذي تشرب المنكر على أنَّه معروفٌ، والمعروف على أنَّه منكرٌ.

المبحث الثَّاني: الانحراف العقدي

لقَدْ تركنا النَّبيُّ ﷺ على المَحَجَّة البيضاء، ليلها كنهارها، ووصَّانا ﷺ باتِّباع هديه، وهدي الخلفاء من بعده، كما قال ﷺ: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الرَّاشدين المهديِّين من بعدي، تَمسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**»[2]، والله تعالى أراد لهذه الأُمَّة أن تنضوي على اختلاف أجناسها وألوانها ولُغَاتها تحت اسمٍ واحدٍ هو الإسلام، ولكن الدَّعوات الضالَّة لم تزل تطلُّ برؤوسها عبر التَّاريخ الإسلاميِّ لتجزئ المسلمين إلى فرقٍ وجماعاتٍ، تخالف الإسلام مخالفةً كليةً أو جزئيَّةً[3].

وقد أخبرنا الرَّسول ﷺ عن هذا الافتراق، حيث قال: «**ألا إنَّ مَنْ كان**

---

[1] الشدي، **النفاق وأثره**، مرجع سابق، ص٤٠٢بتصرف .

[2] ابن الأشعث، أبي داود، **سنن أبي داود**، كتاب (السُّنة)، باب (لزوم السُّنة)، حديث رقم: ٤٦٠٧، والترمذي في (العلم)، حديث رقم: ٢٦٧٦، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

[3] الأشقر، عمر سليمان، **نحو ثقافة إسلامية أصيلة**، ط١٢ (الأردن، دار النفائس ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م)، ٩٣ بتصرف.

قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملَّة، وإن هذه الأُمَّة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين، ثِنْتَان وسَبْعون في النَّار، وواحدةٌ في الجَنَّة، وهي الجماعة»[1].

قال ابن تيمية $: «ولهذا وصف الفرقة النَّاجية بأنَّها أهل السُّنَّة والجماعة، وهم الجمهور الأكبر، والسَّواد الأعظم، وأمَّا الفرق الباقية، فإنَّهم أهل الشُّذُوذ، والتفرُّق، والبدع، والأهواء، وشعار هذِهِ الفرق مفارقة الكتاب والسُّنَّة والإجماع».اهـ[2].

ولا شكَّ أنَّ الانحراف العقديَّ له دورٌ كبيرٌ في ضعف وانحراف عقيدة الولاء والبراء كذلك، حيث يضعف ولاؤهم للعقيدة الصَّحيحة، ويصير ولاؤهم تبعًا لأفكارهم ومعتقداتهم المنحرفة، ومن ثَمَّ يتعدَّد الولاء بتعدُّد الانحرافات العقديَّة، فتكثر الفرقة بين المسلمين، وتَضْعف الأُمَّة، وبدلًا من أن يكونوا يدًا واحدةً على أعدائهم، أصبح بعضهم يدًا مع الأعداء على إخوانهم المسلمين.

وفي هذا المبحث سنتناول أكثر الفرق الَّتي كان لانحرافها العقدي كبير الأثر على إضعاف عقيدة الولاء والبراء، ومن ثَمَّ تفرُّق المسلمين وضعفهم.

❑ **من هذه الفرق المنحرفة عقديًّا: «الشيعة»**: التشيُّع بدأ كحزبٍ يرى أحقيَّة عليِّ بن أبي طالبٍ ﷺ بالخلافة، ثمَّ تطوَّر حتَّى أصبح فرقةً عقائديةً وسياسيةً انضوى

---

[1] صحيح: **سنن أبي داود**، كتاب (السُّنة)، باب (شرح السُّنة)، حديث رقم: ٤٥٩٧.

[2] ابن تيمية، **الفتاوى** ٣/٢١٥، وفي طبعة عبد الرحمن بن القاسم ٣/٣٤٦.

وانظر الفرق الهالكة: «الفتاوى» ٣/٢١٨-٢١٩، وفي طبعة ابن القاسم ٣/٣٥١-٣٥٢.

تحت لوائها كل مَنْ أراد الكيد للإسلام والدَّولة المسلمة[1].

يكمن انحراف الشِّيعة العَقَدي في عدَّة أفكار ومعتقدات انحرفوا بها عن العقيدة الإسلاميَّة الصَّافية، وَاتَّخذوا ستارَ محبَّة آل البيت لبثِّ أفكارهم المنحرفة بين العامَّة، كما اتَّخذوا سبَّ أبا بكرٍ وعمر ﷺ دينًا وقربةً يَتقرَّبون بها إلى الله[2]، وكَفَّروا المهاجرين والأنصار إلاَّ القليل، كما كَفَّروا جمهور المسلمين الَّذين خَالَفوهم، والشِّيعة من أكبر الفرق الَّتي كانت وبالًا وشرًّا على المسلمين على طول تاريخهم، فانحرافهم عقديًّا كان له كبير الأثر على عقيدة الولاء والبراء، حيث ضعفت عندهم عقيدة الولاء والبراء نحو الإسلام وأهله، فأخذوا يُوَالون ويعادون على أفكارهم المنحرفة، فتراهم يُوَالون اليهود والنَّصارى والكفَّار على المسلمين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية $: «وأصل قول الرَّافضة: إنَّ النَّبيَّ ﷺ نصَّ على عليٍّ نصًا قاطعًا للعذر، وأنَّه إمامٌ معصومٌ، ومَنْ خالفه كَفَر، وأنَّ المهاجرين والأنصار كتموا النصَّ، وكَفَروا بالإمام المعصوم، واتَّبعوا أهواءهم، وبدَّلوا الدِّينَ، وغَيَّروا الشَّريعة، وظلموا واعتدوا، بل كفروا إلاَّ نفرًا قليلًا؛ إمَّا بضعة عشر أو أكثر، ثمَّ يقولون: إنَّ أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين. وقَدْ يقولون: بل آمنوا ثمَّ كفروا، وأكثرهم يُكفِّر مَنْ خالف قولهم، ويسمون أنفسهم المؤمنين، ومَنْ خالفهم

---

[1] الجهني، مانع بن حماد، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، ط٥ (الرياض: دار الندوة العالمية ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ١/٥٦.

[2] انظر: أجمع الفضائل، للملا كاظم، وضياء الصالحين، ص٥١٣، نقلًا عن: ظهير، إحسان، الشيعة وأهل البيت، ط١ (القاهرة: دار ابن حزم ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ص ١٧٣.

كفارًا، ويجعلون مدائن الإسلام الَّتي لا تظهر فيها أقوالهم دار رِدَّةٍ[1]، أسوأ حالًا من مدائن المشركين والنَّصارى؛ ولهذا يُوَالون اليهود والنَّصارى والمشركين على بعض جمهور المسلمين، ومُعَاداتهم ومحاربتهم، كما عرف عن مُوَالاتهم الكفَّار المشركين على جمهور المسلمين، ومن مُوَالاتهم الإفرنج النَّصارى على جمهور المسلمين، ومن مُوَالاتهم اليهود على جمهور المسلمين...». اهـ[2].

وقال في موضعٍ آخر: «والرَّافضة كَفَّرت أبا بكرٍ وعمر، وعامَّة المهاجرين والأنصار[3]، والَّذين اتَّبعوهم بإحسانٍ، وكفروا جماهير أُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ من المُتقدِّمين والمُتأخِّرين...، ويَستحلُّون دماء مَنْ خرج عنهم، ويُسمُّون مذهبهم مذهب الجمهور...، ويرون أنَّ كُفْرهم أغلظ من اليهود والنَّصارى...، ولهذَا السَّبب يُعَاونون الكفَّار على الجمهور من المسلمين، فيُعَاونون التَّتار على الجمهور، وهم كانوا من أعظم الأسباب في خُرُوج جنكيز خان (ملك الكفَّار) إلى بلاد الإسلام، وفي قُدُوم هولاكو إلى بلاد العراق، وفي أَخْذِ حَلَب، ونهب الصَّالحيَّة، وغير ذلك، بخبثهم ومَكْرهم؛ لما دخل فيه من تُوزر منهم للمسلمين، وغير من توزر». اهـ[4].

❑ **أمثلة لبعض خيانات الشِّيعة للمسلمين:**

---

(1) انظر: ما ذكره الكليني في كتاب الروضة من «الكافي» ٨/٢٤٥، نقلًا عن ظهير، إحسان إلهي، **الشيعة وأهل البيت**، ط١(القاهرة: دار بن حزم ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ص٦٣.

(2) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ٣/٢٢١-٢٢٢، وفي طبعة ابن القاسم ٣/٣٥٦-٣٥٧.

(3) انظر: ما ذكره المجلسي في «حياة القلوب»، للمجلسي فارسي ٢/٦٤٠، نقلًا عن ظهير، إحسان إلهي، «الشيعة وأهل البيت» ط١، (القاهرة: دار بن حزم ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ص٦٣.

(4) المرجع السابق ٢٨/٢٦٢، وفي طبعة ابن القاسم ٢٨/٤٧٨.

معاونتهم المغول على دخول بغداد: ومثال ذلك: ما فَعَله ابن العلقمي الشِّيعي الرَّافضي والطوسي بمُوَالاتهم للمغول حتَّى حلَّ بالمسلمين من سقوط بغداد[1]، وسقوط الدَّولة، وذهاب الملك والصَّولة.

وما فعله النُّصيريون مِن وَلَائهم للنَّصَارى، ومُسَاعدتهم على الاستيلاء على السَّواحل الشَّاميَّة والقدس: وهم من غُلاة الشِّيعة، وهم أشدُّ على أهل الإسلام من الكُفَّار، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية:** «هؤلاء القوم المُسمَّون بالنُّصيريَّة هم وسائر أصناف الباطنيَّة أكفر من اليهود والنَّصَارى، بل وأكفر من كثيرٍ من المشركين، وضررهم على أُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ أعظم من ضرر الكفَّار المحاربين مثل كفَّار التَّتار، والفرنج وغيرهم؛ فإنَّ هؤلاء يَتظَاهرون عند جُهَّال المسلمين بالتشيُّع، وموالاة أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله، ولا برسوله، ولا بكتابه، ولا بأمرٍ، ولا بنهيٍ، ولا ثوابٍ، ولا عقابٍ، ولا جُنَّةٍ، ولا نارٍ، ولا بأحدٍ من المرسلين قبل محمد ﷺ، ولا بملَّةٍ من الملل السَّالفة... من المعلوم عندنا أنَّ السَّواحل الشَّاميَّة إنَّما استولى عليها النَّصَارى من جهتهم، وهم دائمًا مع كلِّ عدوٍّ للمسلمين، فهم مع النَّصارى على المسلمين... فهؤلاء المُحادُّون لله ورسوله كثروا حينئذٍ بالسَّواحل وغيرها، فاستولى النَّصَارى على السَّاحل، ثمَّ بسببهم استولوا على القدس الشَّريف وغيره. اهـ»[2].

وما تزال طائفة النصيرية موجودةً إلى الآن في سوريا، وتاريخ النصيرين منذ أن

---

[1] راجع تفصيل ذلك في الفصل الثالث من الرسالة: «سقوط بغداد».

[2] ابن تيمية، **الفتاوى**، ٣٥/٩٢، وفي ط ابن القاسم ٣٥/١٥٠، ١٥١.

وجدوا في هذه المنطقة، تاريخ أسود مشبوه، إذ أنَّهم لم يخرجوا على العقائد الإسلاميَّة، ويتجاوزوا أحكام الشَّرع فحسب، بل إنَّهم كانوا دائمًا خنجرًا في جنب الأُمَّة الإسلاميَّة، يتآمرون ضدها في الخفاء، ويظهرون لها العداء كُلَّما وجدوا إلى ذلك سبيلًا[1].

والشِّيعة ومَنْ ينتسب إليهم من نُصيرية ودُروز وقَرَامطة من أعظم السُّيُوف الَّتي سُلَّت على المسلمين، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية**: «وقد اتَّفق أهل العلم بالأحوال: أنَّ أعظم السُّيوف الَّتي سُلَّتْ على أهل القِبْلة ممن ينتسب إليها، وأعظم الفساد الَّذي جرى على المسلمين ممَّن ينتسب إلى أهل القِبْلة، إنَّما هو من الطوائف المنتسبة إليهم، فهم أشدُّ ضررًا على الدِّين وأهله، وأبعد عن شرائع الإسلام من الخوارج الحروريَّة؛ ولهذا كانوا أكذب فرق الأمة». اهـ[2].

وهذا الولاء البغيض لمذهبهم يُعْطينا صورةً واضحةً بأنَّهم سخروا كلَّ جهادهم للقضاء على أهل السُّنَّة.

❑ **ومن الفرق المنحرفة عقديًّا كذلك**: «**الصوفية**»: هذه الطَّائفة الَّتي ابتلي بها الإسلام والمسلمون، والَّتي صارت مع الزمن طرقًا كثيرةً ومذاهب عديدةً. والصُّوفيَّة من أعظم الرَّزايا الَّتي رُزِئَ بها الإسلام على طول تاريخه، والَّتي ألحقت بالمسلمين ما لا يَعْلمه إلاَّ الله من الضَّعف، والخور، والخنوع، والخضوع للواقع المؤلم دون محاولةٍ لتَغْييره.

---

[1] انظر: «دراسة في تاريخ الفرق» ص٣٢٣ نقلًا عن **الزهراني**، **مرجع سابق**، ٦٣/١.

[2] ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ٢٦٢/٢٨، ط، ابن القاسم ٤٧٩/٢٨.

وقد استشرى مع الزَّمن ضررها، وتعاظم خَطَرها، وما زالت تَعْلو وتنتفش حتَّى وَصَل بها الحال أَنْ صارت في عرف السَّواد الأعظم من المسلمين هي الدِّين، ودخل فيها من الطُّقوس والبدع والخرافات في تَقْديس الشُّيوخ ما جعل الكثير من هؤلاء الصُّوفيَّة ينسون الله ﷻ، ويفرُّون في الأزمات، ويلجئون إلى شيوخهم من دون الله من الَّذين اتَّخذوهم أربابًا، يلتمسون منهم كشف ما حلَّ بهم، ومع الصُّوفية جاء الموج الهائل من البدع والخرافات والأساطير الَّتي لوَّثت كثيرًا من عقول المسلمين[1].

وكان من انحرافاتهم: ما ذَهَب إليه غُلاَتهم؛ كالحلاج، وابن الفارض، وابن عربي من القول بالحلول[2]، والاتِّحاد[3]، ووحدة الوجود[1]، وما كان لهذه العقائد

---

[1] الزهراني، محمد بخيت، **الانحرافات العقدية والعلمية**، مرجع سابق، ١/٧٠.

[2] **الحُلول** معناه: أن الله يحلُّ في بعض الأجساد الخاصة- تعالى الله عما يصفون- وهو مبدأ نصراني، وأول من أعلنه من الصوفية: الحلاج، وقسموه إلى الحلول الخاص؛ كقول النصارى بالحلول في عيسى ﷺ، والسبئية الذين قالوا بحلول الله في عليٍّ، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، ومنهم من قال بالحلول العام، وأن الله حالٌّ في كل شيء، تعالى الله عما يصفون. انظر: الحمد، محمد بن إبراهيم، **مصطلحات في كتب العقائد دراسة وتحليل**، ط١ (الرياض: دار ابن خزيمة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ٤٢-٤٤ .

[3] **الاتحاد:** هو امتزاج الشيئين، واختلاطهما حتى يصيرا شيئًا واحدًا، ومعناها باصطلاح القائلين به اتحاد الله ﷻ بمخلوقاته، أو ببعض مخلوقاته.

والفرق بين الحلول والاتحاد يتلخص فيما يلي: أن الحلول إثباتٌ لوجودين، بخلاف الاتحاد، فهو إثبات لوجودٍ واحدٍ. أن الحلول يقبل الانفصال، أما الاتحاد فلا يقبل الانفصال.

ولهذا فإنَّ القائلين بالحلول غير القائلين بالاتحاد.

وينقسم الاتحاد إلى عام، وإليه ذهب أصحاب وحدة الوجود.

وخاص وهو اعتقاد أن الله ﷻ اتحد ببعض المخلوقات دون بعض.

فالقائلون بذلك نزهوه من الاتحاد بالأشياء القذرة، فقالوا: إنَّه اتَّحَد بالأنبياء والصالحين، أو الفلاسفة، أو غيرهم، فصاروا هم عين وجود الله؛ كقول بعض النصارى: إن اللاهوت اتحد بالناسوت، فصاروا شيئًا واحدًا، وهذا بخلاف القائلين بالحلول، فهم يرونَ أن له طبيعتين؛ لاهوتية وناسوتية. فالاتحادية قالوا

من أثرٍ بالغٍ في قتل عقيدة الولاء والبراء عند المسلمين.

ومن انحرافاتهم كذلك: اعتقاد غلاة الصُّوفيَّة أنَّ الصَّلاة، والصَّوم، والحج، والزَّكاة هي عبادات العوام، وأمَّا هم فيُسمُّون أنفسهم الخاصَّة، أو خَاصَّة الخاصَّة، ولذلك فإنَّ لهم عبادات خاصَّة، ومناهج وطرائق خاصَّة، ومفاهيم تختلف تمامًا عن مفاهيم العامَّة.

ومن انحرافاتهم كذلك في التَّحليل والتَّحريم، فأَهْل وحدة الوجود منهم لا شيء يحرم عندهم؛ لأنَّ الكلَّ عينٌ واحدةٌ، وفعل الخير وفعل الشَّرِّ والقبيح والحسن إنَّما هي أفعالٌ لا فروق بينها لاحتواء الذَّات لها كلِّها.

ومن انحرافاتهم كذلك: اختراعهم مفهومًا ضالًّا، وهو أنَّه قد يصل الأمر أحيانًا إلى حدِّ أنَّ للولي شريعته الخاصَّة، وللنَّبيِّ ﷺ شريعته الخاصَّة، فلا يمنع أن يحصل الخلافُ بينهما، ويكون الجميعُ على الصَّواب، فالوليُّ يتلقَّى شريعته عن الله مباشرةً، وهي شريعةٌ للخاصَّة، والنَّبيُّ ﷺ تَلقَّى شريعته عن الله مباشرةً، وهي شريعةٌ للعوام[٢].

ولا شكَّ أنَّ لهذا الانحراف العقديِّ كبير الأثر في ضعف الولاء والبراء، حيث

بواحد، والحلولية قالوا باثنين. انظر: المصدر السابق ص ٤٢-٤٤.

[١] **وحدة الوجود:** عقيدة إلحادية تأتي بعد التشبع بفكرة الحلول، **ومفادها:** أنه لا شيء إلا الله، وكل ما في الوجود يمثل الله ﷻ، لا انفصال بين الخالق والمخلوق، وأن وجود الكائنات هو عين وجود الله، وهي فكرة هندية بوذية مجوسية. انظر: المصدر السابق ص٤٢-٤٤.

[٢] انظر: العواجي، غالب بن علي، **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام**، ط٥ (جدة: المكتبة العصرية الذهبية ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) ٣/١٠٢٨، ١٠٢٩.

انحرف مفهوم الولاء والبراء عند هؤلاء الصُّوفيَّة تبعًا لانحراف عقيدتهم، فضعف عندهم الولاءُ للدِّين وللعقيدة الصَّحيحة، وصار الولاء والبراء للشَّيخ، والطريقة، والولي، والعداء لكلِّ مَنْ يتصدَّى لعقيدتهم المنحرفة، وخاصَّةً أئمَّة السَّلف، مثل: شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، وأتباعهم.

❑ **ومن الانحرافات العقديَّة: الإرجاء**[1]: لعلِّي أرجأتُ الكلام عن الإرجاء لأنَّني حينما أتكلَّم عن الإرجاء أتكلَّم عنه كظاهرةٍ فكريَّةٍ -وليس كفرقةٍ من الفرق- نشأت ثمَّ تَطوَّرت إلى واقعٍ ضخمٍ، إذ تبنى كثير من أبناء الأُمَّة في القرون الأخيرة «الإرجاء» عقيدةً ومنهجًا، وعدُّوا مخالفيهم خارجِين مَارِقين، وضبطوا دينهم وأحكام إيمانهم بأصوله وقواعده، ووالوا وعادوا عليه، فصاروا يعتقدون أنَّ التَّصديق القلبي المجرد من قول اللسان وعمل الأركان هو حقيقة الإيمان الَّذي أنزل الله به الكُتُب، وبعث به الرُّسل، وجعله مناط النجاة من عذابه في الآخرة، وبنوا على ذلك لوازما وأحكامًا، أهونها: تخطئة السَّلف في إجماعهم على أنَّه قولٌ وعملٌ، وعدم تكفير طوائف من المرتدين[2]، وأصبح معنى كون الصَّلاة، والزَّكاة، والصِّيام، والحج أركانًا للإسلام هو اعتقاد وجوبها، والإقرار به، وإِنْ لم يعمل من ذلك شيءٌ!

---

[1] الإرجاء نشأ كفكر مقابل للفكر الخارجي، وهما يشتركان في أصل فاسد «أن الإيمان شيء واحد، لا يزيد، ولا ينقص، ولا يتفاضل أهله فيه»، وبناءً على هذا الأصل الفاسد، قال الخوارج: إنَّ مرتكب الكبيرة قد ذهب إيمانه، فهو كافرٌ، وقالت المرجئة: بل هو كامل الإيمان مهما فعل! انظر: الحوالي، سفر، **ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي**، رسالة ماجستير مطبوعة: ط٢، (القاهرة: مكتب الطيب ١٤١٨هـ)، ٣٧٤.

[2] انظر: الحوالي، سفر، «ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي»، ص ١٢، ١٣.

فكان من آثار هذا الانحراف العقديِّ ما آلت إليه الأُمَّة اليوم من ضعف الانتماء والولاء للدِّين عند الكثير من أبنائها، وأصبح حَظُّهم من الإسلام الاسم دون العمل، مُتَّخذين هذا الغطاء الإرجائي دينًا وعقيدةً يوالون عليه ويعادون عليه، فالمرجئة[1] يجعلون كلَّ مَنْ عرف الله ورسوله، وأقرَّ بذلك، مؤمنًا كامل الإيمان وإِنْ ترك العمل بالكليَّة، و لم يعمل خيرًا قط!

ومن أَفْسَد الأصول الَّتي بناها المرجئة على هذا الاعتقاد (أي: انحصار الإيمان في التصديق القلبي وحده) أنَّهم حَصَروا الكفر في التَّكذيب القلبي أيضًا، حتَّى إنَّهم لم يَعْتبروا الأعمال الكفريَّة الصَّريحة؛ كالسُّجود للصنم، وإهانة المصحف، وسب الرسول ﷺ إلاَّ دلالات على انتفاء التَّصديق القلبي، وليست مكفرةً بذاتها»[2].

وفي ضوء الفكر الإرجائي نستطيع أن نُفسِّر كثيرًا من الانحرافات الَّتي اشتدَّت وطأتها في الآونة الأخيرة، فالقوم لما خفيت عليهم حقيقة الإيمان الجامعة، وترابط أجزائه المحكم، وقعوا في هذه الغلطة الكبرى (الإرجاء) الَّتي كان لانتشارها من الآثار المدمِّرة في كثير من البلدان الإسلاميَّة، وحسبك ما وَقَع فيه بعض أبناء الأُمَّة من شركٍ أكبر، وهم يحسبون أنَّهم في ذروة الإيمان؛ لأنَّ القلبَ مصدق للرسول صلى الله عليه وسلم، واللِّسان ناطقٌ بأن لا إله إلاَّ الله[3].

ولقَدْ كان كذلك من آثار هذا الانحراف العقدي أن تجرَّأ الملاحدة (زعماءً

---

[1] انظر تفصيل ابن تيمية عن المرجئة: ابن تيمية، **الإيمان**، تحقيق: الألباني، ط٥، (بيروت: المكتب الإسلامي ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م)، ١٥٥-١٦٢.

[2] انظر: الزهراني، **الانحرافات العقدية**، مرجع سابق، ١/١٣٦.

[3] انظر: الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، **ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي**، ص٥٣٠.

وكُتَّابًا) على دين الله سخريةً واستهزاءً، وعمَّ البلاء حتَّى تعدَّى مجال الاستهزاء إلى مجال الكفر الجاد الجلي الَّذي كان أمرًا محظورًا ولو عرفًا وعادةً، ونُحيت شريعة الله في بعض البلدان الإسلامية، وحُكِّمت شرائع الطَّاغوت في الدماء والأعراض والأموال، وأُلزم النَّاس في مناهجهم ووسائل تربيتهم بمُوَالاة الكفار، والموبقات ضروبًا وألوانًا، وسخروا من الحُدُود والحجاب، وتَعدُّد الزَّوجات، وأحكام الميراث، والعبادات، والأخلاق...

وانضمَّ أغلب الطَّبقة المثقَّفة -كما يُسمُّونها- إلى الأحزاب الكفريَّة، والمنظمات الإلحاديَّة، والمذاهب الأدبيَّة الَّتي تستر الكفر بالشِّعر...، وسقط حدُّ الرِّدَّة إلاَّ من كتب الفقه الموروثة، بل ظهر في صُفُوف المنتسبين إلى الدَّعوة الإسلاميَّة اتجاهٌ جديدٌ ينكر حدَّ الردة ضمن ما ينكر من حدود الإسلام وأصوله، ومرَّ على الأُمَّة الإسلاميَّة أجيالٌ بل قرون لم تسمع فيها أن حدَّ الرِّدَّة أقيم على زنديقٍ مجاهرٍ أو ملحدٍ مكابرٍ، في حين أنَّ الآلاف من الأرواح تزهق لأسبابٍ سياسيةٍ أو خلافاتٍ شخصيةٍ[1].

لقد كان الفكر الإرجائيُّ -ولا زال- من أخطر الانحرافات العقديَّة الَّتي وقعت فيها الأُمَّة الإسلاميَّة، والَّذي كان له كبيرُ الأثر في ضعف عقيدة الولاء والبراء.

خاتمة: لقَدْ كان للانحراف العقديِّ الَّذي تتابع على الأُمَّة الإسلاميَّة كبير الأثر في ضَعْفها وتَفرُّقها إلى أفكارٍ وانتماءاتٍ مختلفةٍ، ومن ثَمَّ تعدُّد الولاء وضعفه، فكلُّ فرقةٍ توالي وتعادي على أفكارها ومعتقدها، وتُعَادي الفرق المناهضة لها، بل قَدْ

---

[1] المرجع السابق، ٤٧.

يصل الأمر من بعض تلك الفرق إلى مُوَالاة الكفَّار والبراءة من المسلمين كما تفعل الشِّيعة الرَّوافض وغيرها، كما يصل ضعف الولاء عند فرقٍ أخرى إلى محاربة أهل السُّنَّة المُتمسِّكين بالكتاب والسُّنَّة، ووصمهم بالتشدُّد والجمود كما تفعل المرجئة والصُّوفية مع أهل السُّنَّة والجماعة.

المبحث الثالث: الغزو الفكري[1]

لقَدْ عرف الصَّليبيُّون أنَّ الإسلام قَضَى على العَصبيَّة القبليَّة، فلا عَدْنَان، ولا قَحْطَان، ولا رَبيعة، ومُضَر، ولا قَيْس ويَمَن، ولا عربي وعجمي، ولا أسود وأبيض وأحمر، وأيقنوا أنَّ الإسلامَ هو العقبة الكبرى في طريق الاستعمار، وفي طريق اليهوديَّة العالميَّة، وأيقنوا كذلك أنَّ القرآن الكريم هو القوَّة الخارقة الَّتي تُوحِّد الشُّعوب الإسلاميَّة على اختلاف أجناسها، وتَبايُن لغاتها، وبُعْد المسافات بينها، فشَرَعوا في تدبير الخطط للقضاء على مُقوِّمات الأُمَّة العربيَّة والبلاد الإسلاميَّة بوجهٍ عامٍّ، وهي المُقوِّمات المُمثلة في وحدة الوطن الإسلاميِّ ووحدة لغتها، ووحدة جهادها، ووحدة دينها[2].

وأجمع الغربُ أمرَه على محاربة الإسلام والمسلمين، وذلك بهدم البنيان من أُصُولِهِ وجُذُوره، ومحاربة الإسلام في نُفُوس المسلمين لزعزعة ثقة المسلمين بدينهم،

---

[1] يقصد بالغزو الفكري الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية، وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام، مما يتعلق بالعقيدة، وما يتصل بها من أفكارٍ، وتقاليد، وأنماط، وسلوك. انظر: قطب، محمد، **واقعنا المعاصر**، ص١٨٢.

[2] ناصر الدين الأسد، القومية العربية والاستعمار، نقلًا عن: التل، عبد الله، **جذور البلاء**، ط٣ (بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م)، ص١٩٧.

وإضعافه وإبعاده عنهم، وإبعادهم عنه، وإشغالهم بمبادئ أخرى إنْ لم تقضِ نهائيًّا على الإسلام، فإنَّها تزاحمه وتزلزل أركانه، فيسهل القضاء عليه مع الزَّمن.

فاهتدوا إلى ضرورة إيجاد أسلحة المعركة من داخل الإسلام والمسلمين، وإيجاد أدوات الهدم من الدَّاخل، فكان الاستشراقُ والتَّبشيرُ السِّلاحين الخطيرين اللَّذين ظهرا بشكلٍ سافرٍ، وعلى نطاقٍ واسعٍ منذ أواخر القرن الثامن عشر إلى يومنا هذا[1].

وأهداف الفريقين واحدة، وهي محاربة الإسلام من داخله، وزرع الشَّكِّ في نفوس المسلمين، والطَّعن على نبيِّ الإسلام، والحط من قيمة الفكر الإسلامي، وتشويه التَّاريخ الإسلاميِّ، وإثارة الفتن بين الطَّوائف الإسلاميَّة، ومحاربة اللُّغة العربيَّة ممثلةً في القرآن الكريم بقصد هدمه، وتلقين الشَّباب المسلم الإعجاب بالغرب ومدنيَّة الغرب، والعمل على تنصير المسلمين.

وسَنتكلَّم عن «التَّغريب»[2] كوسيلةٍ من وَسَائل الغزو الفكريِّ لإضعاف العقيدة الإسلاميَّة، وخاصةً الولاء والبراء: لقَدْ وضع هؤلاء الغَربيِّين في مخططهم للقضاء على الإسلام أهدافًا مرحليةً معينةً تُمكِّنهم -في تَصوُّرهم- من القضاء الأخير على الإسلام.

---

[1] عيادي العبد، المسيحية والقومية العربية، نقلًا عن: التل، عبد الله، «**جذور البلاء**»، مرجع سابق ص١٩٧.

[2] **التغريب:** هو محاولة طبع العرب والمسلمين لشرقيين عامة بطابع الحضارة الغربية، والثقافة الغربية مما يساعد على إيجاد روابط الود والتفاهم. انظر: الأشقر، عمر سليمان، **نحو ثقافة إسلامية أصيلة**، ص٨٠.

من هذه الأهداف المرحليَّة: القيام بتغريب العالم الإسلامي مع العناية الخاصَّة بتغريب مصر (بلد الأزهر)، وتصدير التَّغريب منها إلى بقيَّة العالم الإسلامي، وعمليَّة التَّغريب مَهمَّتها الأولى قَتْل روح الجهاد الإسلاميَّة ضدَّ الصَّليبيين للقضاء على المقاومة المستمرَّة الَّتي يلقاها الغزو الصَّليبي المسلح، وذلك بإزالة الحاجز العقدي الَّذي يُذكِّر المسلم دائمًا بأنَّه مسلمٌ، وأعداءه كفارٌ، يجب أن يجاهدهم، ولا يسمح لهم باحتلال أرضه الإسلاميَّة، فإذا (تَغرَّب) لم يعد هذا الحاجز قائمًا في نفسه، ولم يعد يثير عنده ما يثيره الإسلام في نفس المسلم، كما أنَّ التَّغريب هو الَّذي يضمن تبعيَّة العالم الإسلامي للغرب -بعد أن يخضع عسكريًّا له- لأنَّه حين يتغرَّب، يحسُّ أنَّ انتماءه لم يعد للإسلام، وإنَّما للغرب[1].

حرص المستعمر الغربيُّ على إعداد دُعَاة تغريب من داخل صُفُوف المسلمين يُكْملون ما بدأه المستشرقون والمنصرون من تغريب العالم الإسلامي، فقَدْ ظهرت في بلاد المسلمين هذه الثَّمرة الخبيثة على أيدي دُعَاة التَّغريب الَّذين حملوا على عواتقهم مهمَّة إكمال ما وَقَف عنده المستشرقون، وأَغْلَبهم من الَّذين تَربَّوا في الجامعات الغربيَّة ومدارسها الحاقدة على الإسلام والمسلمين، فكانوا خلفًا مخلصًا لأسلافهم من المُنصِّرين والمستشرقين إثر انكشاف مؤامرات الغزو الفكري في العالم الإسلاميِّ.

❑ **أبرز دعاة التَّغريب في البلدان الإسلاميَّة: رفاعة الطهطاوي**[2]: ألَّف كتابه

---

[1] قطب، محمد، **واقعنا المعاصر**، ط٣ (القاهرة: دار الشروق ٢٠٠٨ م) ص١٩٣.

[2] رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي (ت١٢٩٠هـ- ١٨٧٣م)، ولي رئاسة الترجمة في مصر، وهو مؤسس مدرسة الألسن، ألف وترجم عن الفرنسية كتبًا كثيرةً. انظر: الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ط١٥(بيروت: دار العلم للملايين٢٠٠٢م)، ٢٩/٣.

الَّذي تحدَّث فيه عن أخبار باريز[1]، ودعا فيه إلى تحرير المرأة (أي: إلى السُّفور والاختلاط)، وأزال عن الرَّقص المختلط وصمة الدَّنس[2].

يقول الدكتور محمد محمد حسين[3]: «وتكلَّم عن عادات الفرنسيِّين في الاختلاط، فنفى أن يكون الاختلاطُ والتَّبرجُ داعيًا إلى الفساد، أو دليلًا على التَّساهل في العِرْض، ويؤكِّد أنَّ السُّفور والاختلاط بين الجنسين ليس داعيًا إلى الفساد، وأنَّ مردَّ الأمر كلِّه إلى التَّربية، كما دافع عن مُرَاقصة الرِّجال للنِّساء»[4].

كما أَكَّد أنَّ مفهوم الولاء والبراء على أساس الأرض، والدَّم، والقرابة، فللمرَّة الأولى في البيئة الإسلاميَّة نجد كلامًا عن الوطن والوطنيَّة، وحب الوطن بالمعنى القوميِّ الحديث في أوروبا، الَّذي يقوم على التَّعصُّب لمساحةٍ محدودةٍ من الأرض، يراد اتِّخاذها وحدةً وجوديَّةً، يرتبط تاريخها القديم بتاريخها المعاصر، ليكونا وحدةً متكاملةً، ذات شخصيَّةٍ مستقلَّةٍ، تُميِّزها عن غيرها من بلاد المسلمين وغير المسلمين»[5].

---

[1] انظر: «تخليص الإبريز في تلخيص باريز»، ضمن الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي، تحقيق محمد عمارة، (١٢٢/٢، ١١٧) نقلًا عن «موقف الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر»، ص٦٩.

[2] انظر: قطب، محمد، **واقعنا المعاصر**، مرجع سابق، ص١٩٥.

[3] محمد محمد حسين (ت١٤٠٣هـ-١٩٨٢م)، أديب، ومفكر إسلامي، وَلِي التدريس بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية، ثم الجامعة الليبية، وجامعة بيروت العربية، وجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض. انظر: **حصوننا مهددة من الداخل**، للدكتور محمد محمد حسين ص٥، ٦.

[4] انظر: حسين، محمد محمد، **الإسلام والحضارة الغربية**، ط١ (القاهرة: مكتبة ابن تيمية ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ص٤٢، ٤٣.

[5] انظر: **الإسلام والحضارة الغربية**، مرجع سابق، ص٢١.

ولا شكَّ أنَّ هذا الفكر مما عمَّ به البلاء في بلاد المسلمين، وبعد أن كان الولاء والبراء على الدِّين، أصبح على الوطنيَّة والقوميَّة، والله المستعان.

جمال الدين الأفغاني[1]: سَعَى إلى تفتيت الرَّابطة الإسلاميَّة الَّتي تجمع أفراد المسلمين من خلال دعواتٍ، منها: القوميَّة[2]، دعوته إلى إحياء التراث الوثني القديم وإلى الاعتزاز به[3]، تربية جيل حمل لواء هذا الانحراف من بعده، وكان لهَذَا الجيل أعظم الأثر وأخطره في أحداث التَّاريخ المعاصر، وفي مُقدِّمة هذا الجيل محمد عبده.

محمد عبده[4]: كان دور محمد عبده غرس الثَّقافة الغربيَّة في المجتمع الإسلاميِّ، كدعوتِهِ التَّجمُّع حول رابطة الوطن دون الدِّين، حيث قال: «إنَّ خير أوجه الوحدة الوطن لامتناع الخلاف والنزاع فيه»[5]، والشَّيخ نفسه هو الَّذي صاغ برنامج الحزب الوطني المصري، وجاء فيه: «الحزب الوطنيُّ حزبٌ سياسيٌّ لا دينيٌّ، فإنَّه

---

(1) هو محمد بن صفدر الحسيني الأفغاني (ت١٣١٥هـ-١٨٩٧م)، اختلف في نسبه ومولده، والراجح أنه شيعي إيراني، عاش في كابل، وتَعَلَّم فيها، ومَرَّ بمصر، وبعدها نفي إلى الهند، وانتقل إلى فرنسا، وكانت نهايته في الآستانة. انظر: **الأعلام** ٦/١٦٨، ١٦٩.

(2) انظر: **الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني**، ص٨٥-٩٤ نقلًا عن: «موقف الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر» ص٨٢.

(3) انظر: عكاوي رحاب، **جمال الدين الأفغاني حكيم الشرق**، ط١ (دار الفكر ١٩٩٣)، ص٤٥، نقلًا عن: المصدر السابق.

(4) محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني، (ت١٣٢٣هـ-١٩٠٥م)، تَعَلَّم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم بالأزهر، وتَصَوَّف وتَفَلْسَفَ، وعندما وصل جمال الدين الأفغاني إلى مصر اتصل به محمد عبده، وافتتن به، وأنشأوا معًا جريدة «العروة الوثقى»، انظر: **الأعلام** ٦/٢٥٢.

(5) محمد رشيد رضا، «تاريخ الأستاذ الإمام» ٢/١٩٤، نقلًا عن: البسام، مضاوي بنت سليمان، **موقف الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر من قضايا الولاء والبراء**، ط١ (الرياض: دار الهدي النبوي ١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، ص٨٦.

مؤلف من رجال مختلفي العقيدة والمذاهب، وجميع النَّصارى واليهود وكل مَنْ يحرث أرض مصر، ويتكلَّم بلغتها منضمٌّ إليه»[1].

قاسم أمين[2]: في كتابه الأول: «تحرير المرأة» داعيًا إلى السُّفُور ونزع الحجاب، وكتابه الثَّاني: «المرأة الجديدة» الَّذي أعلن فيه أنَّ المرأة المصريَّة ينبغي أن تصنع كما صنعت أختها الفرنسيَّة، لكي تتقدَّم وتتحرَّر، ويتقدَّم المجتمع كلُّه ويتحرَّر! وهكذا سقط الحاجز المميز للمرأة المسلمة[3]، وبذلك تذوب الهُويَّة الإسلاميَّة في الهُويَّة الغربيَّة، وتتلاشى مع الوقت، ولا يبقى منها إلاَّ الاسم.

وهي دعوى رَكَّز عليها أولئك لعلمهم بنتائجها المُتعدِّدة الَّتي منها الطَّعن في الشَّريعة ذاتها؛ لأنَّها سببُ احتقار المرأة بزعمهم[4].

سلامة موسى[5]: في كتابه: «البلاغة العصريَّة واللغة العربيَّة» دعا إلى إلغاء الفصحى، واستبدال العاميَّة بها، وإلغاء قواعد الإعراب، وقواعد النَّحو.

---

(1) انظر: **الأعمال الكاملة لمحمد عبده** ٣٦٩/١، نقلًا عن: «موقف الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر»، ص ٨٦.

(2) قاسم بن محمد أمين المصري (١٣٢٦هـ-١٩٠٨م) كردي الأصل، ولد ببلدة طرة بمصر، اشتهر بمناصرته للمرأة، ودفاعه عن حريتها. انظر: **الأعلام** ١٨٤/٥.

(3) انظر: **واقعنا المعاصر**، مرجع سابق ٢٣٨.

(4) انظر: الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، **العلمانية نشأتها وتطورها**، رسالة ماجستير مطبوعة، ط٢ (القاهرة: مكتب الطيب ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، ص٥٤٨.

(5) نصراني مصري (ت١٣٧٨هـ-١٩٥٨م)، كاتب مضطرب الاتجاه والتفكير، دعا إلى الفرعونية، كان كثير التَّحَنِّي على كُتُب التُّرَاث العربي، يُنَاصر بِدعة الكتابة بالحرف اللاتيني. انظر: **الأعلام** ١٠٧/٣، ١٠٨.

طه حسين[1]: في كتابه: «الشِّعر الجاهلي»، حيث ادَّعى أنَّ الإسلام دينٌ محليٌّ، لا دينٌ عالميٌّ، وأنَّه من وَضْع محمدٍ ﷺ، وضعه متأثرًا ببيئته، وكذا كتابه: «مستقبل الثقافة في مصر» الَّذي حاول فيه أن يفصل العالَمَ الإسلاميَّ عن الإسلام، وأن يطبعه بالثَّقافة الغربيَّة[2].

❑ **أهداف دعاة التَّغريب وأساليبهم**: أهدافهم تَتمثَّل في رغبتهم الشَّديدة في أن يُحوِّلوا العالم الإسلاميَّ إلى مُقلِّدين للغرب في كلِّ شيءٍ، وأن يكونوا تَبَعًا لهم، وأَنْ تذوب الهُويَّة الإسلاميَّة بما تحمل من عقائدَ، وشعائرَ، وأخلاقٍ، وقيمٍ في أحضان الحضارة الغربيَّة بما تَحْمل من أفكارٍ وسلوكٍ، وإن خالفت قِيَمَنا وعوائدنا.

أمَّا أساليبهم فهي كثيرةٌ متنوعةٌ، من أهمها:

أوَّلًا: إحياء ما يُسمُّونه بالحضارات القديمة في العالم الإسلامي، والغرض من هذا هو تفريق كلمة المسلمين، وتبديدهم من خلال إرجاع كلِّ قطرٍ إلى جاهليَّته القديمة قبل الإسلام، والالتفاف حولها[3]، مثل: بعث الفرعونيَّة في مصر، والفينيقيَّة والأشوريَّة ونَجمَ عن ذلك: تحسين سُمْعة الجاهليَّة، وتمجيد طواغيتها الغابرين، وبث

---

[1] طه بن حسين بن علي بن سلامة (ت١٣٩٣هـ-١٩٧٣م)، دكتور في الأدب، من كبار المحاضرين، جدد مناهج، كان وزيرًا للمعارف، وله مؤلفات كثيرة، أشهرها: «الشعر الجاهلي»، «الأدب الجاهلي»، وغيرها، انظر: **الأعلام** ٣/٢٣١.

[2] انظر: **الإسلام والعصر الحديث**، للمستشرق آيلز نقلًا عن: «احذروا الأساليب الحديثة» ص١١٢ نقلًا عن: عواجي، غالب بن علي، «المذاهب الفكرية المعاصرة» ١/٤٦١.

[3] العواجي، غالب بن علي، «المذاهب الفكرية المعاصرة»، ١/٤٦٥، ٤٦٦.

النَّعرات الانفصاليَّة، وقطع صلة الأُمَّة بماضيها الحقيقي[١].

ثانيا: إحياء الدَّعوة إلى تقديس الوطنيَّة[٢]، والقوميَّة[٣]، وغيرها من النعرات الجاهليَّة، والاعتزاز بها؛ لتكون بديلًا عن الاعتزاز بالدِّين وقيمه، والإشادة بما حَقَّقته الوطنيَّة الغربيَّة، وإظهار الإعجاب بها، وذلك لضمان عدم عودة المسلمين إلى الأُلْفة العامَّة بينهم، وعدم اتِّحادهم في كتلةٍ واحدةٍ ليسهل على الغرب وأتباعهم التأثيرُ على كلِّ قطرٍ بمفرده[٤]، كما وقف أعداء الإسلام كذلك مُتَآزرين لتقوية كلِّ الدَّعوات الهدَّامة، ونشرها في العالم الإسلاميِّ؛ كالداروينيَّة[٥]، والشُّيوعيَّة[٦]،

---

[١] انظر: الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، **العلمانية نشأتها وتطورها**، مصدر سابق، ص٥٥٠.

[٢] **الوطنية:** شعور جميع أبناء الوطن الواحد بالولاء لذلك الوطن، والانتماء إليه، والتعصب له، فالولاء والانتماء هنا إنما هو للأرض التي يقع الوطن ضمن حدودها. انظر: مزروعة، محمود، **مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد**، ط١، (القاهرة: دار الرضا ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ص٥٠٥.

[٣] **القومية:** أن يشعر جميع الأصل الواحد والعرق المشترك بالولاء والانتماء لأصلهم الذي جاءوا منه، وعرقهم الذي انفصلوا عنه مهما تعددت الأوطان التي يعيشون فيها، والأرض التي يُزَاولون حياتهم عليها، ويتبع ذلك الولاء لأصولهم وقومهم سعي حثيث، وجهد دائم لجمع شملهم في وطن واحد. انظر المرجع السابق ص٥١٣.

[٤] العواجي، غالب بن علي، **المذاهب الفكرية المعاصرة**، ٤٦٥/١، ٤٦٦.

[٥] تنسب لمؤسسها شارلز داروين، وهو اعتبر أصل الحياة كان خليةً في مستنقعٍ آسن من قبل ملايين السنين، وقد تطورت هذه الخلية، ومرت بمراحل، منها مرحلة القرد، انتهاءً بالإنسان، وهو بذلك ينسف الفكرة الدينية التي تجعل الإنسان مُنتسبًا إلى آدم وحواء ابتداءً، مما زعزع القيم الدينية، وترك آثارًا سلبيةً على الفكر العالمي. انظر: الجهني، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب** ط٥ (دار الندوة العالمية ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ٩٢٥/٢.

[٦] **الشيوعية:** مذهب فكري يقوم على الإلحاد، وأن المادة هي أساس كل شيء، وضعت أسسها على يد كارل ماركس اليهودي الألماني، وتجسدت في الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا سنة ١٩١٧ بتخطيط من اليهود، وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار، وقد تضرر المسلمون منها كثيرًا،

والوجوديَّة[1]، والعلمانيَّة[2]، والتَّحرريَّة، والصُّوفيَّة، والقوميَّة، والوطنيَّة، والفصل بين الدِّين والمجتمع، وتَشْجيع المُرتدِّين، والإشادة بهم، ومهاجمة القرآن الكريم والسُّنَّة النبويَّة، وتشويه التَّاريخ الإسلاميِّ، وأنَّه لا يَصْلح لهذا العصر، وأنَّه السَّبب في تَأخُّر العالم الإسلامي، والعمل على تَقْوية فكرة أنَّ النَّبيَّ محمدًا ﷺ كان شخصيَّةً فذةً، وعبقريًّا عظيمًا ليَنْفذوا من ورائه إلى إنكار نُبوَّته وموهبة الله تعالى له تلك الصِّفات لأجل اختيار الله له[3].

وقد استعانوا بكلِّ الوسائل من إذاعة، وتليفزيون، ونشرات، وتمثيليات، وكتب، وقصص، واتصالات على فسخ وخلع ولاء المسلم لدينِهِ وإخوانِهِ المؤمنين، وتركز بكلِّ قوةٍ على تَذْويب تميُّز المسلم عن غيره، وعلى زَعْزعة برائه وعَدَاوته للكُفَّار .

وهناك شعوب مُحِيَتْ بسببها من التاريخ. انظر: «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب»، مصدر سابق، ٢/٩١٩.

[1] **الوجودية:** مذهبٌ فَلْسَفيٌّ أدبيٌّ مُلحدٌ، وهو يركز على الوجود الإنساني الذي هو الحقيقة اليقينية الوحيدة في رأيه، ولا يوجد شيء سابق عليها، ولا بعدها، وتصف الوجودية الإنسان بأنه يستطيع أن يصنع ذاته وكيانه بإرادته، ويتولى خلق أعماله، وتحديد صفاته وماهيته باختياره الحر دون ارتباط بخالق، أو بقيم خارجة عن إرادته، وعليه أن يختار القيم التي تنظم حياته. انظر المرجع السابق، ٢/٨٨٨.

[2] **العلمانية:** وترجمتها الصحيحة اللا دينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل، ومراعاة المصلحة بعيدًا عن الدين، وقد ظهرت في أوروبا منذ القرن السابع عشر، وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر، وانتقلت بشكلٍ أساسيٍّ إلى مصر وتركيا وإيران ولبنان وسوريا، ثم تونس، وأما بقية الدول العربية فقد انتقلت إليها في القرن العشرين، وقد اختيرت كلمة علمانية؛ لأنها أقل إثارة من كلمة «لا دينية». انظر: «الموسوعة الميسرة»، ٢/٦٧٩.

[3] انظر: العواجي، غالب بن علي، **المذاهب الفكرية المعاصرة**، ١/٤٦٥، ٤٦٦.

ولقَدْ قامت وسائل الإعلام في البلاد الإسلاميَّة -ولا تزال تقوم- بحربٍ شعواء على الدِّين الإسلاميِّ، وعلى المسلمين، ففضلًا عن أنَّها تحسن وتدعو إلى مُوَالاة الكُفَّار، هي -أيضًا- حريصةٌ على نَشْر الفاحشة في الَّذين آمنوا، والإغراء بالجريمة، والسَّعي بالفساد في الأرض لخَلْخلة العقيدة، وتحطيم الأخلاق، وإذا انْهدَم الرُّكنان الأساسيَّان (وهما العقيدة والأخلاق)، فكيف يُرْجى بعد ذلك قيام بناءٍ سليمٍ[1].

خاتمة: لقَدْ حاول الغرب الصليبي اقتلاعَ الإسلام من قُلُوب المسلمين، وطمس هُويَّتهم عن طريق تمييع العقيدة في قَلْب المسلم، مُتَّخذين في سبيل ذلك التَّشكيك في القرآن والسُّنَّة، وتشويه التَّاريخ الإسلاميِّ، ونشر الفاحشة، وهَدْم الأخلاق والقيم الإسلاميَّة، وتزيين الحضارة الغربيَّة، ومحاولة طبع المسلم بالفكر الغربيِّ حتَّى يسهل تخلِّيه عن هُويَّته الإسلاميَّة، ويضعف وَلاؤُهُ للإسلام، ولقَدْ كان لانحراف المسلمين آنذاك عقديًّا وعلميًّا دورٌ كبيرٌ في نجاح خُطَط المستعمر الصَّليبي، وصارت القوميَّة والوطنيَّة هي محور الولاء والبراء، وليس لوشيجة العقيدة مكانٌ بَيْن المسلمين إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبِّي.

المبحث الرَّابع: العصبيَّة واتِّباع الهوى

إن العصبيَّة[2]، واتِّباع الهوى من أعظم أسباب التَّفرُّق والانحراف عن منهج الله، ومن ثَمَّ الانحراف في مفهوم الولاء والبراء.

---

[1] انظر: القحطاني، **الولاء والبراء في الإسلام**، ٤٠٨، ٤٠٩.

[2] **التعصب** من العصبية: وهو أن تجعل ما يصدر عن شخصٍ ما من الرأي، ويروى له من الاجتهاد حُجَّة عليك وعلى سائر العباد، انظر: الشوكاني، محمد بن علي، **أدب الطلب ومنتهى الإرب**، ط١ (بيروت: دار ابن حزم ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ص٨٦.

إنَّ الحروب القبليَّة الَّتي نشأت قبل الإسلام كالَّتي بين الأوس والخزرج، وبعد الإسلام فيما بين الدَّولة الأُمويَّة والدَّولة العبَّاسيَّة، وفيما بين ملوك الطَّوائف في الأندلس، وفي الشَّمال الإفريقي بين البربر والقبائل العربيَّة، منبعها العصبيَّة واتِّباع الهوى.

والهوى من الأسباب الَّتي لأجلها خالفت كثيرٌ من الأمم أنبياءَها، فاستكبروا، ولم يقبلوا الحقَّ والهدى والنُّور الَّذي جاءهم به أنبياؤهم و[1]، قال تعالى: {كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ}[2]، وقال سبحانه: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ}[3].

يقول ابن تيمية $: «فإنَّ أصلَ الهَوَى محبَّةُ النَّفس، ويَتبع ذلك بغضُها، ونفس الهوى (وهو الحبُّ والبغضُ الَّذي في النَّفس) لا يُلاَم عيه، فإنَّ ذلك قد لا يملك، وإنَّما يُلام على اتِّباعه؛ كما قال تعالى: {يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}[4]». اهـ[5].

وقال في موضعٍ آخر: «ومجرَّد الحبِّ والبغض هوى، لكن المحرَّم اتِّباع حُبِّه

---

[1] انظر: الصلابي، علي محمد، **فقه النصر والتمكين**، ط١ (بيروت: دار ابن كثير ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ص٣١٢.

[2] سورة المائدة، الآية: ٧٠.

[3] سورة القصص، الآية: ٥٠.

[4] سورة ص، الآية: ٢٦.

[5] ابن تيمية، **الفتاوى**، ٧٦/٢٨، وفي ط، ابن القاسم ١٣٢/٢٨.

وبغضه بغير هدى من الله». اهـ[1].

وقال: «وصاحب الهوى يُعْميه الهوى ويصمه، فلا يَسْتحضر ما لله ورسوله في ذلك، ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورسولِهِ، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين: أنَّ الَّذي يرضى له ويغضب له أنَّه السُّنَّة، وهو الحقُّ، وهو الدِّين، فإذا قدر أنَّ الَّذي معه هو الحقُّ المحض دين الإسلام، ولم يكن قصدُهُ أن يكون الدِّين كلُّه لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، بل قصد الحميَّة لنفسه وطائفته أو الرِّياء، ليعظَّم هو ويثنى عليه، أو فعل ذلك شجاعةً وطبعًا، أو لغرضٍ من الدُّنيا- لم يكن لله، ولم يكن مجاهدًا في سبيل الله، فكيف إذا كان الَّذي يَدَّعي الحقَّ والسُّنَّة هو كنظيره ومعه حقٌّ وباطلٌ، وسُنَّةٌ وبدعةٌ، ومع خصمه حقٌّ وباطلٌ، وسُنَّةٌ وبدعةٌ؟! وهذا حال المختلفين الَّذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعًا، وكفر بعضهم بعضًا، وفَسَّق بعضهم بعضًا»[2].

إنَّ الإسلام جعل الرَّابطة الَّتي تجمع المسلمين وتُوحِّدهم هي الإسلام، وقَدْ قامت دولة الإسلام على أساس الجامعة الإسلاميَّة، وَانْصَهرت في بوتقة هذه الجامعة العصبيَّة للجنس، واللون، والوطن، والنَّسَب، وأصبح التَّنادي بين المسلمين للتجمُّع على أساسٍ غير أساس الرابطة الإسلاميَّة يعدُّ دعوةً جاهليَّة مقيتة، فقد قال الرسول

---

[1] المرجع السابق، ٢٨/٧٧، وفي ط، ابن القاسم ٢٨/١٣٤.

[2] ابن تيمية، **منهاج السنة النبوية**، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط٢ (الرياض: دار الفضيلة ١٤٢٤هـ)، ٣/٣٥٨.

ﷺ لأبي ذرٍّ عندما عيَّر رجلًا بسواد أُمِّه: «**إنَّك امرؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّة**»[(١)].

وقَدْ حذَّر الرسول ﷺ من هذه العَصبيَّات المقيتة، ففي حديث جُندب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قُتِل تحت رايةٍ عِمِّـيَّةٍ يدعو لعصبيَّةٍ أو ينصر عصبيَّةً، فقتلته جاهليَّة**»[(٢)].

وفي حديث جُبير بن مُطعم قال: قال رسول الله ﷺ: «... **ومن قاتلَ تحت رايةٍ عِمِّيَّةٍ، يغضب لعَصبةٍ، أو يَدْعو إلى عصبةٍ، أو يَنْصر عَصَبَةً، فتل فقتلتُهُ جاهليَّة**»[(٣)]، يغضب للعصبة، ويقاتل للعصبة، معناه: إنَّما يقاتل عصبيةً لقومه وهواه[(٤)].

وقَدْ ثارت العصبيَّةُ في القرن الأخير، وحَطَّمت الرَّابطة الإسلاميَّة والدَّولة الإسلاميَّة، فدعا الأتراك إلى التركيَّة، والأكراد إلى الكرديَّة، وفعل مثل ذلك البربر والعرب، ثمَّ جاءت الدَّعوة إلى الأوطان، فكلُّ قومٍ يعيشون على بقعةٍ من الأرض أقاموا عصبيَّة منتمية إلى تلك البقعة، وقامت دعوات تدعو إلى الاعتزاز بالفرعونيَّة، والآشوريَّة، والفارسيَّة، وقطع الترك كثيرًا من الحبال الَّتي كانت تَرْبطهم بالإسلام،

---

(١) البخاري، كتاب (الإيمان)، باب (كفران العشير، وكفر دون كفر)، حديث رقم: ٣٠

(٢) **صحيح مسلم**، كتاب (الإمارة)، باب (وجوب ملازمة جماعة المسلمين)، حديث رقم: ١٨٥٠.

(٣) **صحيح مسلم**، كتاب (الإمارة)، باب (وجوب ملازمة جماعة المسلمين)، حديث رقم: ١٨٤٨، وورد برواية ضعيفة الإسناد: «**ليس منا مَنْ دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية**»، «سنن أبي داود»، كتاب (الأدب)، باب (في العصبية)، حديث رقم ٥١٢١.

(٤) انظر: «شرح النووي على مسلم» ٤٨٢/٦.

وأصبح العالَمُ الإسلاميُّ على الصُّورة الكئيبة الَّتي نراها اليوم[1].

وممَّا يُؤلم أَنْ نرى آثار الهوى والتعصُّب بين كثيرٍ من الجماعات والحركات الإسلاميَّة، فتحت تأثير الهوى والتَّعصُّب قد يتغاضى البعض عن أخطاء جماعتِهِ الَّتي ينتمي إليها، ويغض الطَّرف عن أخطاء شيخه، بل ويُبرِّر له، وتراه يوالي ويعادي على جماعتِهِ؛ فجماعته هي جماعة المسلمين وحدها، وما عَدَاها من الجماعات فهي دونها، وكذلك مَنْ يجعل قول شيخه حُجَّةً، وفتواه مُلزمةً، فيوالي ويعادي عليه.

يقول ابن تيمية: «فإنَّ أكثرهم قَدْ صار لهم في ذلك هوىً أن ينتصر جاههم أو رياستهم، وما نسب إليهم، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدِّينُ كلُّه لله، بل يَغْضبون على مَنْ خالفهم وإن كان مجتهدًا معذورًا، لا يغضبُ الله عليه، ويرضون عمَّن يوافقهم، وإن كان جاهلًا سيئ القصد، ليس له علمٌ، ولا حسن قصدٍ، فيُفْضي هذا إلى أن يحمدوا مَنْ لم يحمده الله ورسوله، ويذمُّوا مَنْ لم يذمَّه الله ورسولُهُ، وتصير مُوَالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم، لا على دين الله ورسوله، وهذا حال الكُفَّار الَّذين لا يطلبون إلاَّ أهواءهم، ويقولون: هذا صديقنا، وهذا عَدوُّنا، لا ينظرون إلى موالاة الله ورسوله، ومعاداة الله ورسوله، ومن هنا تنشأ الفتن بين النَّاس؛ قال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}[2]، وأصل الدِّين أن يكون الحبُّ في الله، والبغض في الله، والموالاة لله، والمُعادَاة

---

[1] الأشقر، عمر سليمان، **نحو ثقافة إسلامية أصيلة**، مرجع سابق، ص٩٨.

[2] سورة الأنفال، الآية ٣٩.

للهِ». اهـ[1].

ومن أثر انحراف الولاء عند تلك الجماعات أن يصلَ الأمر بمَنْ يوالي ويعادي على جماعته وشيخه، أن يجرِّد الجماعات الأخرى من كلِّ خيرٍ، ومَنْ يوالي ويعادي على شيخه أن يجرِّد ما سوى شيخه من كلِّ فضلٍ، بل قد يصل الأمر إلى وُقُوع التَّباغض والتَّنازع والتَّقاطع بين تلك الجماعات[2].

يقول الشَّيخ محمد بن عثيمين[3]: «هذا فصلٌ مهمٌّ، وهو تخلِّي طالب العلم عن الطائفيَّة والحزبيَّة، بحيث يعقد الولاء والبراء على طائفةٍ معينةٍ، أو على حزبٍ معينٍ، فإنَّ هذا لا شكَّ خلاف منهج السَّلف، السَّلف الصالح ليس عندهم حزبيَّة، كلُّهم حزبٌ واحدٌ، كلُّهم يَنضمُّون تحت قول الله تعالى: {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ}[4]، فلا حزبيَّة، ولا تعدُّد، ولا موالاة ولا معاداة إلاَّ حسب ما جاء في الكتاب والسُّنَّة، فمن النَّاس -مثلًا- مَنْ يَتحزَّب إلى طائفةٍ معينةٍ، يقرِّر منهجها، ويستدلُّ عليه بالأدلَّة الَّتي تكون دليلًا عليه، وقد تكون دليلًا له، ويحامي دونه، ويضلل مَنْ سواه حتَّى ولو كانوا أقرب إلى الحقِّ منه، ويأخذ بمبدأ: مَنْ ليس معي فهو عليَّ، ويقول: «المسلمون جميعهم هم الجماعة، وإنَّ يد الله مع الجماعة، فلا طائفيَّة، ولا

---

[1] ابن تيمية، **منهاج السنة النبوية**، ٣/٣٥٧.

[2] انظر: حسان، محمد، **خواطر على طريق الدعوة**، ط١، (المنصورة: مكتبة فياض ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ٢٢١ بتصرف.

[3] هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين (ت١٤٢١هـ)، من كبار علماء السعودية، تولى إمامة الجامع الكبير بعنيزة، وتَوَلَّى التدريس في كُليتي الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم بالإضافة إلى عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

[4] سورة الحج، الآية: ٧٨.

حزبيَّة في الإسلام، بل يجب أن نكون أُمَّةً واحدةً، وإن اختلفنا في الرأي، أمَّا أن نكون أحزابًا: هذا إخوانيٌّ (يعني من الإخوان المسلمين)، وهذا سلفيٌّ، وهذا تبليغيٌّ، وهذا لا يجوز، الواجب أنَّ كلَّ هذه الأسماء ينبغي أن تزول، ونكون أُمَّةً واحدةً، وحزبًا واحدًا على أعدائنا». اهـ[1].

وأخطر ما يُوَاجه الصحوة الإسلاميَّة الآن هو الحزبيَّة والعصبيَّة المقيتة (الولاء والبراء عليهما) الَّتي ما زالت حجر عثرة في طريق اجتماع أبناء الصَّحوة الإسلاميَّة، ومن ثَمَّ اجتماع الأُمَّة.

المبحث الخامس: الجهل

لعلَّ هذا العامل من الأهميَّة بمكانٍ، ولقد اتَّخذت في منهج هذا الفصل التَّرتيب الزَّمني لظهور عوامل ضعف الولاء والبراء، إلاَّ أنَّ هذا العامل (الجهل) لا يمكن تحديد زمن نشأته، فهو موجودٌ من عُصُور الأنبياء، وما زال حتَّى وقتنا هذا، ولا يوجد في أُمَّةٍ دون أُمَّةٍ، ولكنه موجودٌ في كلِّ الأمم، وفي كلِّ الأفراد، ولكن تختلف نسبتُهُ من فردٍ لآخر، ومن أُمَّةٍ لأخرى.

وكذلك رأيت أنَّ الجهل هو سببٌ -إنْ لم يكن رئيسًا- لكلِّ العوامل السَّابقة، فهو مشتركٌ بينهم جميعًا، وتختلف نسبته من عاملٍ لآخر، فأردتُ أن يكون بمثابة التَّعقيب على كلِّ العوامل السَّابقة.

والجهل من الأسباب المُؤدِّية إلى الاختلاف والتَّفرُّق، والبُعْد عن الحقِّ ورده،

---

[1] العثيمين، محمد صالح، **شرح حلية طالب العلم**، ط١ (الإسكندرية: دار البصيرة ١٤٢٢هـ)، ٢٢٤، ٢٢٥.

والوُقُوع في المُحرَّمات جميعها من كفرٍ، وفسوقٍ، وعصيانٍ، وما كان من حال الأمم السَّابقة مع أنبيائهم وإعراضهم، وكفرهم بما جاءوا به إلاَّ بسبب جهلهم واتِّباع الهوى[1]، قال تعالى مخبرًا عن وَصْف نوحٍ ﷺ لهم بالجهل: {وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ}[2]، وكذلك هود ﷺ مع قومِهِ: {قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ}[3]، وغيرهم من الأنبياء و مع قومهم، حيث كان الجهلُ والكبرُ هو سبب رَدِّهم للحقِّ.

ولابن القيِّم كلماتٌ قيمةٌ في وصفه للجهل وأهله، قال $: «أهل الجهل والظلم الَّذين جمعوا بين الجهل بما جاء به النَّبيُّ ﷺ، والظُّلم باتِّباع أهوائهم الَّذين قال تعالى فيهم: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى }[4]، **وهؤلاء قسمان:**

أحدهما: الَّذين يحسبون أنَّهم على علمٍ، وهم أهل الجهل والضَّلال، فهؤلاء أهل الجهل المُركَّب الَّذين يَجْهلون الحقَّ ويُعَادونه، ويُعَادون أهله، ويَنْصرون الباطل، ويُوَالون أهله، وهم {وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ}[5]، فهم لاعتقادهم الشَّيء على خلاف ما هو عليه بمنزلة رائي السَّراب الَّذي {يَحْسَبُهُ

---

[1] وقد تقدَّم الكلامُ عن اتباع الهوى في المبحث السابق.

[2] سورة هود، الآية: ٢٩.

[3] سورة الأحقاف، الآية: ٢٣.

[4] سورة النجم، الآية: ٢٣.

[5] سورة المجادلة، الآية: ١٨.

الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا}[1]، وهكذا هؤلاء، أعمالهم وعلومهم بمنزلة السَّراب الَّذي يكون صاحبه أحوج ما هو إليه،...

إلى أن قال: **والقسم الثَّاني من هذا الصِّنف**: أصحاب الظُّلمات، وهم المنغمسون في الجهل بحيث أحاط بهم من كلِّ وجهٍ، فهم بمنزلة الأنعام، بل هم أضلُّ سبيلًا، فهؤلاء أعمالهم الَّتي عملوها على غير بصيرةٍ، بل بمجرَّد التَّقليد واتِّباع الآباء من غير نورٍ من الله تعالى، كظلماتٍ عديدةٍ، وهي ظلمة الجهل، ظلمة الكفر، وظلمة الظُّلم، واتِّباع الهوى، وظلمة الشَّكِّ والرَّيب، وظلمة الإعراض عن الحقِّ الَّذي بعث الله تعالى به رسله صلوات الله وسلامه عليهم، والنُّور الَّذي أنزله معهم ليخرجوا به النَّاس من الظلمات إلى النور، فإنَّ المعرض عما بعث الله به محمدًا ﷺ من الهدى ودين الحقِّ يَتقلَّب في خمس ظلماتٍ، وإذا قابلت بصيرته الخفاشيى ما بعث الله به محمدًا ﷺ من النور- جدَّ في الهرب منه، وكاد نوره يخطف بصره، فهرب إلى ظلمات الآراء، فإذا جاء إلى زُبَالة الأفكار، ونُخَالة الأذهان جالَ، ومالَ، وأَبْدى وأعاد، وقعقع وفرقع، فإذا طلع نور الوحي، وشمس الرِّسالة انْحجَز في حجرة الحشرات. اهـ[2].

ولله درُّ ابن القيِّم، فقد وصف جلَّ أصناف أهل الجهل، فما وقع كفرٌ، ولا بدعةٌ، ولا فسوقٌ، ولا عصيانٌ، ولا فُرْقةٌ، ولا فتنةٌ إلاَّ بجهلٍ، ومن ذلك: .

---

[1] سورة النور، الآية: ٣٩.

[2] ابن القيم، شمس الدين، **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية**، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، ١٥-١٧ باختصار.

الفرق الَّتي خالفت الكتاب والسُّنَّة في أصولها وفروعها (الجهمية، والمعتزلة، الخوارج، المرجئة، وغيرها من أصحاب البدع).

ومن ذلك أصحاب المذَاهب الفكريَّة المعاصرة (الاشتراكيَّة، الرأسماليَّة، العلمانيَّة... إلخ)، يُقدِّمون آراء أصحاب هذه المذاهب على كلام الله ورسوله ﷺ، فهل أكثر من هذا جهلٍ.

ولا شكَّ أنَّ كلَّ هؤلاء يجمعهم الجهلُ بالدِّين الحقِّ، فضلُّوا وأَضلُّوا غيرهم، وهكذا شأن كلِّ مَنْ بَعُدَ عن مَصَادر التَّلقِّي الصَّحيحة، فمآلُهُ الانحرافُ عن الدِّين الصَّحيح، ولا شكَّ هؤلاء جميعًا (رؤوس وأتباع) كانوا سببًا في ضعف الأُمَّة وتَفرُّقها، وتَشتُّت الانتماءات، ومن ثَمَّ الولاءات، فتداعت عليها الأمم، وأصبحت في ذيل الأمم، بعد أن كانت في مُقدِّمتها.

خاتمة: لا شكَّ أنَّ عوامل ضعف الولاء والبراء تَعدَّدت، ولكن إذا اجتمع عليها كلُّ ما سبق من (النِّفاق، والانحراف العقدي، والغزو الفكري، والعصبيَّة واتِّباع الهوى، والجهل) لا شكَّ أنَّ تلك العوامل مجتمعةً كانت سببًا وغيرها في ضعف وانحراف الولاء والبراء وتَشتُّته، ومن ثَمَّ تَفرُّق الأُمَّة وضعفها، وسُقُوط الخلافة الإسلاميَّة، وتَسلُّط الأعداء عليها، إلاَّ أنَّ الله ﷻ كَتَب لدينِهِ البقاءَ والعُلوَّ والظُّهور، فيبعث على رأس كلِّ مئة عامٍ للأُمَّة مَنْ يُجدِّد لها دينها، كما في الحديث الصَّحيح: «**إنَّ الله يبعث لهذِهِ الأُمَّة على رأس كلِّ مئة سنةٍ مَنْ يُجدِّد لها دينها**»[1].

---

[1] سنن أبي داود: كتاب (الملاحم)، باب (ما يذكر في قرن المئة)، حديث رقم: ٤٢٩١.

الفصل الخامس
كيفية إحياء هذه العقيدة في الأُمَّة
وعوامل قوتها

المبحث الأول: العلم بالكتاب والسُّنَّة والاعتصام بهما.

المبحث الثَّاني: الاجتماع على كلمة التوحيد، وتحقيق الأخوة الإيمانية، وترك التفرق إلى فرق وأحزاب.

المبحث الثالث: مواجهة أهل الأهواء.

المطلب الأول: المنافقون.

المطلب الثاني: الفرق المنحرفة.

المطلب الثالث: الغزو الفكري والعمل على التخلص من كل ما خلفه الاحتلال.

تمهيد

لقَدْ تعرَّضت الأُمَّة الإسلاميَّة خلال القرون الماضية -لا سيَّما القرنين الرَّابع عشر والخامس عشر- إلى هجومٍ شرسٍ من الخارج والدَّاخل كان له كبيرُ الأثر في ضعف العقيدة الإسلاميَّة في نفوس المسلمين، لا سيما عقيدة الولاء والبراء، وأصبح الإسلامُ غريبًا في كثيرٍ من بلاد المسلمين كما أخبر بذلك نَبيُّنا ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ غريبًا، فطُوبى للغُرباء**»[(١)].

ومعنى الحديث: إنَّ الإسلام بدأ في آحادٍ من النَّاس، وقلَّةٍ، ثمَّ انتشر وظهر، ثمَّ سيلحقه النقص والإخلال حتَّى لا يبقى إلاَّ في آحادٍ وقلَّةٍ أيضًا كما بدأ[(٢)]، وغربة الإسلام الآن إنَّما تكمن في غربة تعاليمه في نفوس المنتسبين إليه، فأصبح -عند كثيرٍ من المنتسبين إليه- المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والسُّنَّةُ بدعةً، والبدعة سُنَّةً.

يقول الشَّاطبيُّ[(٣)]: «وهذِهِ سُنَّةُ الله في الخلق؛ أنَّ أهل الحقِّ في جنب أهل الباطل

---

(١) «**صحيح مسلم**»، كتاب (الإيمان)، باب (بيان أن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا)، حديث رقم: ١٤٥.

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم»، ١/٤٥٤.

(٣) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت٧٩٠هـ)، أبو إسحاق، الشهير بالشاطبي: الإمام العلامة، القدوة المحقق، الحافظ الجليل المجتهد، كان أُصوليًّا مُفسرًا، فقيهًا مُحَدِّثًا، لُغويًّا بيانيًّا، ورعًا صالحًا، زاهدًا سنيًّا، إمامًا مُطلقًا، بَحَّاثًا مُدققًا، من أفراد العلماء المحققين الأثبات. انظر: ترجمة الشاطبي في كتابه «**الاعتصام**» ١/١٩٣.

قليلٌ؛ لقوله تعالى: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ}[1]، ولينجز الله ما وَعَد به نبيَّه ﷺ من عود وصف الغربة إليه؛ فإنَّ الغربة لا تكون إلاَّ مع فَقْد الأهل أو قِلَّتهم، وذلك حين يصير المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، وتصير السُّنَّة بدعةً، والبدعة سُنَّةً، فيُقَام على أهل السُّنَّة بالتَّثريب والتَّعنيف، كما كان أولًا يُقَام على أهل البدعة؛ طمعًا من المبتدع أن تجتمع كلمة الضَّلال». اهـ[2].

وقد فسَّر النَّبيُّ ﷺ الغرباء في حديث آخر: «**الَّذين يصلحون ما أفسد النَّاس من سُنَّتي**»[3].

وهذا هو الواجب على أهل العلم وطلابه، أن يتكاتف الجميع من أجل إصلاح ما تمَّ إفساده من عقيدةٍ وفكرٍ وسلوكٍ، ومواجهة عوامل الضَّعف والانحراف العقدي بكلِّ قوةٍ؛ قال تعالى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ}[4].

أي: فهلاَّ وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ينهون عمَّا كان يقع بينهم من الشُّرور والمنكرات والفساد في الأرض[5]، ولن يكون ذلك إلاَّ بعدَّة أُمُورٍ، منها:

---

[1] سورة يوسف، الآية ١٠٣.

[2] انظر: الشاطبي، أبو إسحاق، إبراهيم بن موسى، «**الاعتصام**»، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان ط٢، (عمان: الدار الأثرية ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م)، ١/١٢.

[3] رواه **الترمذي** في: كتاب (الإيمان)، باب (ما جاء أن الإسلام بدأ غريبًا)، حديث رقم: ٢٦٣٠، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

[4] سورة هود، الآية: ١١٦.

[5] ابن كثير، «**تفسير القرآن العظيم**»، تحقيق: هاني الحاج، ط١(القاهرة: دار التوفيقية للطباعة) ٤/٢٥١.

المبحث الأول: العلم بالكتاب والسُّنَّة، والاعتصام بهما

العلم بالكتاب والسُّنَّة -بفَهْم سَلَف الأُمَّة- يكون بمعرفة ما يحتاجه المسلم من أمور دينه من عقائد وشرائع الَّتي يستقيم بها اعتقادُهُ وعبادته، ويدرك الغاية من وجوده الَّتي هي عبادة[1] الله وحده، وإقامة شرعه في الأرض، فينطلق من خلال تَصوُّره في تعامله مع الآخرين بميزان الكتاب والسُّنَّة، وليس بميزان أهل البدع والأهواء.

وقد حثَّ الله ﷻ المسلمين على الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا}[2]، والمراد بالحبل: الكتاب والسُّنَّة على سبيل الاستعارة، والجامع كونهما سببًا للمقصود، وهو الثَّواب والنَّجاة من العذاب، وأَنْ لا عصمة لأحدٍ إلاَّ في كتاب الله، أو في سُنَّة رسولِهِ، أو في إجماع العلماء على معنى في أحدهما[3].

والاعتصام بالكتاب والسُّنَّة يكون بحصر التَّلقِّي لأحكام الدِّين؛ أُصُوله وفُرُوعه في هذا المصدر، وأَنْ يرد إليهم عند التَّنازع، وألاَّ يعارضا بشيءٍ لا بمعقولٍ، ولا

---

[1] **قال ابن تيمية في تعريف العبادة:** هي اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة. انظر: النجدي، محمد بن عبد الوهاب، (مجموعة التوحيد)، تحقيق: صلاح الدين محمود السعيد، (القاهرة: دار المنار ٢٠٠٦م)، ص١١٩.

[2] سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

[3] انظر تعليق: الكرماني، وابن بطال، **البخاري مع الفتح**، كتاب (الاعتصام بالسنة)، ٢٥٩/١٣.

رأيٍ، ولا قياسٍ، ولا ذوقٍ، ولا وجدٍ، ولا مكاشفةٍ، ولا منامٍ، ولا غير ذلك[1]، إذ الكتاب والسُّنَّة هما الميزان الَّذي توزن به الأقوال والأعمال والمعتقدات، وهما الحقُّ الَّذي يجب اتِّباعه، وبه يحصل الفرقان بين الحقِّ والباطل، وما سواه من كلام النَّاس يُعْرض عليه، فإنْ وَافَقه قُبِلَ، وإلاَّ رُدَّ على صاحبه[2].

يقول الشَّاطبيُّ: «إن كتاب الله وسُنَّة نَبيِّه لم يتركا في سبيل الهداية لقائلٍ ما يقول، ولا أبقيا لغيرهما مجالًا يعتدُّ به فيه، وأنَّ الدين قد كمل، والسَّعادة الكبرى فيما وضع، والطِّلبة فيما شرع، وما سوى ذلك فضلالٌ وبهتانٌ وإفكٌ وخسرانٌ، وأنَّ العاقد عليهما بكلتا يديه مستمسكٌ بالعروة الوثقى، ومحصلٌ لكُلِّية الخير دنيا وأخرى، وما سواهما فأحلامٌ، وخيالاتٌ وأوهامٌ. اهـ[3].

ويتَّضح ممَّا سبق: أنَّ الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأُمَّة، وسلامة الاعتقاد وصحَّته، وصفائه من شوائب الشِّرك والبدع والأهواء والتَّعصُّب هي السَّبيل الوحيد إلى عودة المسلمين إلى التَّمسُّك بدينهم وقوَّتهم، وإلى الاجتماع والأُلْفة، ويكون ما يجمعهم هو وشيجة العقيدة، وهي من أعظم ما يجمع المسلمين.

إنَّ ما حصل من فرقةٍ بين المسلمين، وتدابرٍ وتقاطعٍ بسبب عدم مراعاة هذا الأصل ممَّا ترتَّب عليه تفرُّق المسلمين إلى فرقٍ وأحزابٍ، وهذا ما سنحاول معالجته في المبحث القادم.

---

(1) انظر: ابن تيمية، «**الفتاوى**»، ١٨/١٣، ١٩، وفي ط. ابن القاسم ٢٨/١٣، ٢٩.

(2) انظر: المرجع السابق ١١/ ٣١٦- ٢٥١/١٢، وفي ط. ابن القاسم ٥٨٢/١١، ٤٦٨/١٢.

(3) انظر: الشاطبي، «**الاعتصام**»، **مرجع سابق** ١/ ١٤.

المبحث الثاني: الاجتماع على كلمة التوحيد، وتحقيق الأخوة الإيمانية، وترك التفرق إلى فرقٍ وأحزابٍ

الاجتماع على كلمة التَّوحيد، وتحقيق الأُخوَّة الإيمانيَّة من آكد أسباب الاجتماع وعدم التفرُّق؛ وذلك لأنَّ كلَّ فرقةٍ وجماعةٍ جعلت ما تعتقدُهُ وتدعو إليه هو الحقُّ، فتوالي وتعادي عليه، فإذا ما جعلت كلمة التَّوحيد وما تقتضيه مَرْجعهم عند الاختلاف، وجعلوا ولاءهم وبراءهم لله ورسوله، لا الأهواء، ولا الأشخاص، ولا الجماعات، كان ذلك سببًا في اجتماعهم، وعدم تَفرُّقهم.

فلا يمكن أن تقوم وحدةٌ للمسلمين ما لم تجمعهم عقيدةٌ واحدةٌ، وهي الَّتي منبعها الكتاب والسُّنَّة، لا الأفكار والآراء والمذاهب، فكلُّ الجماعات الموجودة على ساحة الدَّعوة اجتمعوا في الهدف، وهو رفع راية الإسلام، ولكنَّهم افترقوا في المنهج، وكلٌّ منهم يرى الحقَّ في منهجه، ومن ثَمَّ يوالي ويعادي عليه، وهذا ممَّا أدَّى إلى الافتراق.

يقول ابن تيمية: «وقَدْ جعل الله عباده المؤمنين بعضهم أولياء بعضٍ، وجعلهم أخوةً، وجعلهم متناصرين متراحمين متعاطفين، وأمرهم سبحانه بالائتلاف، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف، فقال: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}[1]، وقال: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى

[1] سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

اللَّهِ}[1].

فكيف يجوز لأُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ أن تفترقَ وتختلفَ، حتَّى يوالي الرَّجل طائفةً، ويعادي طائفةً أخرى بالظَّنِّ والهوى، بلا برهانٍ من الله تعالى، وقد برَّأ الله نبيَّه ﷺ ممَّنْ كان هكذا، فهذا فعل أهل البدع؛ كالخوارج الَّذين فارقوا جماعة المسلمين، واستحلُّوا دماء مَنْ خالفهم، وأمَّا أهل السُّنَّة والجماعة فهم معتصمون بحبل الله، وأقلُّ ما في ذلك أن يُفضِّل الرَّجل مَنْ يُوَافقه على هواه، وإن كان غيره أتقى لله منه، وإنَّما الواجب أن يقدِّم مَنْ قدَّمه اللهُ ورسولُهُ، ويؤخِّر مَنْ أخَّره الله ورسوله، ويحبَّ ما أحبَّه الله ورسوله، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله، وينهى عمَّا نهى الله عنه ورسوله، وأن يرضى بما رضي الله به ورسوله، وأَنْ يكون المسلمون يدًا واحدةً، فكيف إذا بلغ الأمر ببعض النَّاس إلى أن يُضلِّل غيره ويُكفِّره، وقد يكون الصَّواب معه، وهو الموافق للكتاب والسُّنَّة؟!

ولو كان أخوه المسلم قَدْ أخطأ في شيءٍ من أُمُور الدِّين، فليس كلُّ مَنْ أخطأ يكون كافرًا ولا فاسقًا، بل عفا الله لهذه الأُمَّة عن الخطأ والنِّسيان، وكيف يجوز التَّفريق بين الأُمَّة بأسماءٍ مبتدعةٍ لا أصل لها في كتاب الله، ولا سُنَّة رسوله ﷺ؟ وهذا التَّفريق الَّذي حصل من الأُمَّة (علمائها، ومشائخها، وأمرائها، وكبرائها) هو الَّذي أَوْجَب تَسلُّط الأعداء عليها؛ وذلك بتَرْكهم العمل بطاعة الله ورسولِهِ ﷺ، كما قال تعالى: {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا

---

[1] سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ}[1]، فمتى ترك النَّاس بعض ما أمرهم الله به، وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرَّق القوم، فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا؛ فإنَّ الجماعة رحمةٌ، والفرقة عذابٌ». اهـ[2].

ولو تجرَّد الجميع، وجعلوا ما كان عليه النَّبيُّ ﷺ نبراسًا ونورًا يهتدى به، ورجعوا إلى قوله تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}[3]، لكان خيرًا لهم، فالتَّنازع من أكبر أسباب الفُرْقة، ومن ثَمَّ ضعف الأُمَّة وهوانها، وتَسلُّط الأعداء عليها.

ولو اجتمع الجميع تحت مظلَّة الإسلام، وجعلوا انتماءهم للإسلام وحده {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ}[4]، فهو الرَّابطة الَّتي تتلاشى أمامها كلُّ عصبيَّةٍ، فلا يُوَالون ولا يُعَادون إلاَّ عليه، وتعاونوا جميعًا فيما بينهم، وأن يكمل كلٌّ منهم نقصَ الآخر، وتَعاوَنوا فيما بينهم على جبر ما عند كلٍّ منهم من ضعفٍ ونقصٍ بتجرُّدٍ ودون عصبيَّةٍ، وجعلوا منهجهم جميعًا في العلم، والدَّعوة، والجهاد، والتَّزكية ما كان عليه النَّبيُّ ﷺ وأصحابه، لذابت كلُّ العصبيَّات المقيتة الَّتي هي الأصل في كلِّ تَفرُّقٍ واختلافٍ، وانبرت كلُّ الشِّعارات والأسماء، فقويت بذلك جماعة المسلمين، وتَوحَّدت في مُوَاجهة أهل الأهواء.

---

[1] سورة المائدة، الآية: ١٤.

[2] ابن تيمية، «**الفتاوى**»، ٢٥٨/٣، ٢٥٩ وفي ط. ابن القاسم ٤١٩/٣، ٤٢٠، ٤٢١.

[3] سورة النساء، الآية: ٥٩.

[4] سورة الحج، الآية: ٧٨.

المبحث الثالث: مواجهة أهل الأهواء

قال تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[1].

فالأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر مقرونٌ بالفلاح، وما ترك قومًا الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر إلاَّ هلكوا، وما أصاب أُمَّتنا في الآونة الأخيرة من الضَّعف والذِّلَّة والمهانة إلاَّ بسبب غياب الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، فما انتفش الباطل ولا قوي إلاَّ بسبب ضعف أو غياب هذه العبادة، وما تفشت البدع والانحرافات العقديَّة، وما تَسلَّط على الأُمَّة أهل الأهواء -خاصَّةً في القرون الأخيرة- إلاَّ بسبب غياب هذه العبادة، وما أمر الله مَنْ أمر إلاَّ وفيه يقينًا صلاح الأُمَّة، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر له ضوابط إذا ما رُوعيت آتت أُكُلَها.

يقول ابن تيمية: «وأصل هذا أن تكون محبَّة الإنسان للمعروف، وبغضه للمنكر، وإرادته لهذا، وكراهته لهذا، موافقًا لحبِّ الله وبغضه، وإرادته وكراهته الشَّرعيين، وأن يكون فعلُهُ للمحبوب، ودفعه للمكروه بحسب قوَّته وقدرته، فإنَّ الله لا يُكلِّف نفسًا إلاَّ وُسْعها، فلا بُدَّ من العلم بالمعروف والمنكر، والتَّمييز بينهما، ولا بُدَّ من العلم بحال المأمور، وحال المنهيِّ، ومن الصَّلاح أن يأتي بالأمر، والنَّهي على الصِّراط المستقيم، وهو أقرب الطُّرُق إلى حُصُول المقصود. ولا بُدَّ من هذه الثَّلاثة:

---

[1] سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

العلم، والرِّفق، والصَّبر، العلم قبل الأمر والنَّهي، والرِّفق معه، والصَّبر بعده». اهـ[1].

والأُمَّة الآن أحوج ما تكون إلى الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر بضوابطه؛ لمواجهة كلِّ ما من شأنه التَّأثير على عقيدتها وهُويَّتها من أصحاب الأهواء الَّذين ظلُّوا ينخرون في جسدها طيلة القُرُون الماضية.

المطلب الأوَّل: مواجهة المنافقون: وتكون مواجهة المنافقين بعدَّة وسائل، منها:

١. التَّنفير من النِّفاق والمنافقين، والتَّحذير من الاغترار بهم:

وذلك بوصفهم بما يَستحقُّون من أوصاف (الكذب، الفسق، الجبن، السفع، والإجرام، والتَّردُّد والتَّذبذب، البخل، أخوة اليهود، والكفر)، وكُلُّها أوصافٌ شرعيَّةٌ وردت في الكتاب العزيز، فلقَدْ وصفهم الله في أكثر من موضعٍ، من ذلك قوله تعالى عنهم: {وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ}[2]. وقوله: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}[3]، فوصفهم بالكذب، وهو علامةٌ على النِّفاق، وصفهم بالأمر بالمنكر، والبخل، والفسق، وغير ذلك من الصِّفات المذمومة الَّتي فَصَّلها الله ﷻ في كتابه؛ لتكون علامةً على كلِّ

---

[1] انظر: ابن تيمية، «**الاستقامة**»، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١ (الرياض: دار الفضيلة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م) ٤٥٨-٤٦٦.

[2] سورة محمد، الآية: ٣٠.

[3] سورة المنافقون، الآية: ١.

منافقٍ، ولا شكَّ أن تَدَاولها يُؤدِّي إلى التَّنفير من النِّفاق والمنافقين، وحتَّى لا يغترَّ بهم السُّفهاء والعامَّة الَّذين لا يستطيعون التَّمييز بين الغثِّ والسَّمين.

٢. إطلاق اسم «منافقٍ» على مَنْ ظهرت عليه علامات النِّفاق، فمَنْ ظهرت عليه علامات النِّفاق الدَّالَّة عليه؛ كخذلانهم عند اجتماع العدوِّ؛ كالَّذين قالوا: {لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ}[1]، وتَولِّيهم المشركين دون المؤمنين، ومَدْحهم للمشركين، وحبهم، وبغض المؤمنين، وبغض شَعَائر الدِّين وأهله، وإن تظاهروا بخلاف ذلك، وغير ذلك ممَّا ينضح عليهم، فكلُّ إناءٍ بما فيه ينضح.

وقَدْ كان الصحابة ﷺ يفعلون ذلك كثيرًا، كما قال حذيفة ﷺ: إنَّ الرَّجل ليتكلَّم بالكلمة في عهد رسول الله ﷺ، فيكون بها منافقًا.

وكذلك قال عمر في قصَّة حاطبٍ: يا رسول الله، دعني أضرب عُنُق هذا المنافق[2].

ولكن يَنْبغي أن يعرف أنَّه لا تلازم بين إطلاق النِّفاق عليه ظاهرًا، وبين كونه منافقًا باطنًا، فإذا فعل علامات النِّفاق جاز تسميتُهُ منافقًا لَمَنْ أراد أن يُسمِّيه بذلك، وإن لم يكن منافقًا في نفس الأمر؛ لأنَّ بعض هذه الأمور قد يَفْعلها الإنسان مخطئًا، لا علم عنده، أو لمقصدٍ يخرج به عن كونه منافقًا، فمَنْ أطلق عليه النِّفاق لم يُنكر

---

[1] سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

[2] **البخاري**، كتاب (المغازي)، باب (غزوة الفتح)، حديث رقم: ٤٢٧٤.

عليه، كما لم يُنكِر النَّبيُّ ﷺ على أُسَيد بن حضير تسميته سعدًا منافقًا [1] مع أنَّه ليس بمنافقٍ [2]. وفائدة إطلاق اسم النِّفاق على مَنْ ظهرت عليه علاماتُهُ، فإنَّ ذلك يجعل المسلمين على حذرٍ ممَّن أطلق عليه هذا الاسم، فيحذرون من كلماتِهِ وفعالِهِ، ولا يغترُّون بزخرف كلماتِهِ وتَلوُّنه.

٣. تنقية وسائل التَّأثير في المجتمع من أشخاص المنافقين وأفكارهم فيجب أن يُطهَّر المجتمع وينقَّى من المنافقين لمنعهم من التَّأثير السَّيِّئ، من ذلك: وسائل الإعلام الَّتي يَنْفذون من خلالها إلى كلِّ بيتٍ، ويكون تأثيرهم قويًّا جدًّا خاصَّةً أنَّهم يظهرون بمظهر النَّاصح الأمين الَّذي يُحلِّل، وينقد، ويبثُّون السُّموم من خلال ذلك [3]، وكذلك مجال التَّعليم الَّذي يستطيعون من خلاله فرض أفكارهم، ودسها في المناهج على أنَّها الرُّقي والتقدُّم، وكذلك في مجال الثَّقافة الَّتي يَتَّخذونها مطيَّةً لنشر ثقافاتٍ غريبةٍ على مجتمعاتنا وقيمنا، ومن ثَمَّ يكون تأثيرها على المجتمع سلبيًّا في غالب الأحايين، وكذلك في الجيش؛ لأنَّ وُجُودَهم في مثل هذه الأماكن الحسَّاسة تُمكِّنهم من الجسِّ لصالح الأعداء، ولم يرد أنَّ النَّبيَّ ﷺ ولَّى منافقًا على أمرٍ من أمور المسلمين.

---

[1] انظر: البخاري، كتاب (المغازي)، باب (حديث الإفك)، حديث رقم: ٤١٤١

[2] انظر: عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله، «**ثلاث رسائل نفيسة**» ص٦١، والهلاوي حسن، أحكام النفاق والمنافقين، ص٧٦، نقلًا عن: الشدي، «**النفاق وأثره**»، ص٤٧١.

[3] من ذلك ظاهرة برامج التوك شو، فهو من أسوأ ما ابتلينا به، خاصةً في وقتنا هذا الذي كَثُر فيه الجهل والفتن، فهم يَصُوغون بتحليلاتهم أفكار المشاهدين- خاصةً العوام- ويُوصلون إليهم ما يريدون بكلِّ سهولةٍ ويسرٍ.

ولا شكَّ أنَّ في تنقية وسائل التَّأثير من أمثالهم فيه حمايةٌ للدِّين، ولا شكَّ أنَّ حماية الدِّين مقصدٌ عظيمٌ من مَقَاصد الشَّريعة، وفي تهميشهم إهانةٌ لهم، وإشعارٌ لهم بعَدَم الرِّضا عنهم، وتعزيرٌ لهم على أفعالهم.

٤. البراءة منهم وهجرهم، ومقاطعة مجالسهم، وعدم مُوَالاتهم ومَحبَّتهم، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ}[1]، فيحرم اتِّخاذهم أولياء بكلِّ ما في معنى الولاية من معاني المودَّة، أو المحبَّة، أو النُّصرة، أو التَّحالف، أو البطانة، أو الائتمان على أسرار المسلمين، ذلك أنَّ الرَّابط الَّذي يجمع المؤمن بأخيه لا يُوجَد بينه وبين المنافق الَّذي لا يؤمن بالله، ولا باليوم الآخر، بل يكره الإسلام، ويبغض أهله، وإنْ أظهر خلاف ذلك، ولأنَّ أَهْل الإسلام لا يعرفون النِّفاق والتَّظاهر، فإنَّهم لا يُوَالون ولا يحبُّون، ويناصرون أهل النِّفاق، لا في الظَّاهر، ولا في الباطن، بل يُكْرهونهم، ويُبْغضونهم، ويُقَاطعونهم، ويُهَاجرونهم.

المطلب الثاني: الانحراف العقدي: ومُوَاجهة الفِرَقِ المنحرفة عقديًّا يكون بعدَّة وسائل:

١. تَعلُّم العقيدة الصَّحيحة.

لا شكَّ أنَّ العقيدة لها أهميَّةٌ عظيمةٌ في حياة الإنسان، بل في حياة البشريَّة جمعاء، ويدلُّنا على ذلك أمورٌ كثيرةٌ، منها:

- أنَّ العقائد هي الرَّكائز والأُسُس الَّتي تقوم عليها المبادئ والشَّرائع، فالبشرُ

---

[1] سورة آل عمران، الآية: ١١٨.

أسرى المعتقدات والأفكار.

- العقائد تستولي على أنفس أصحابها، وتَدْفعهم لبذل أموالهم وأنفسهم في سبيل تحقيق ما يعتقدونه، وهم راضون مطمئنون.
- ضلال الإنسان في معتقده، يجرُّ عليه البلاء، ويضلُّ عمله وسعيه.
- أعظمُ خلافٍ حصل على مدار التَّاريخ هو الاختلافُ حول قضايا الاعتقاد، ولذلك كانت أعظم مَهمَّات الرُّسل تصحيح عقائد البشر الزَّائفة، وتصحيح تَصوُّراتهم عن الله، والكون والحياة.
- وهذه الخلافات العقائديَّة تُسبِّب اختلافًا بين الأمم، بل بين أبناءِ الأُمَّة الواحدة، فيتعادون ويتباغضون، ثمَّ يتقاتلون ويتناحرون، أمَّا العقيدة الصَّافية المستقيمة، فإنَّها تجلب المحبَّة والمودَّة بين البشر.

والمنهجُ الحقُّ في إثبات العقائد هو المنهج القرآنيُّ النبويُّ، وهو منهج جميع الرُّسل والأنبياء، فالوحي عندنا أساس العلم، وهو يُعرِّفنا بربِّنا وأنفسنا، والكون من حولنا، وهو نور قُلُوبنا وعقولنا، ولسنا بحاجةٍ إلى مقاييس الفلاسفة، وموازين المتكلمين[1].

إنَّ العقيدة الَّتي تصلح لجمع شتات المسلمين هي ما كان منبعها كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، ويمكن التَّدليل على كلِّ أصلٍ من أصولها، أو جزئيَّة من جزئيَّاتها، ثمَّ إنَّ السَّلف الصَّالح الَّذين استقاموا على عقيدة الإسلام الحقِّ دَوَّنوا هذه العقيدة

---

[1] انظر: الأشقر، عمر سليمان، «**نحو ثقافة إسلامية أصيلة**»، ٢١٣ .

تَدْوينًا يُميِّزها عن عقائد أهل الفرق والضَّلال[١].

إنَّ سلامة الاعتقاد وصحَّته هي الطَّريق الوحيد لإقامة المجتمع المسلم المترابط المتآلف، ولا سبيل إلى اجتماع الأُمَّة الإسلاميَّة قاطبةً، ووحدة صَفِّها، وعزها وسعادتها في الدُّنيا والآخرة إلاَّ بالعودة إلى الإسلام الصَّافي النَّقي، الخالص من شَوَائب الشِّرك والبدع والأهواء والتَّعصُّب[٢].

٢. دحض شُبَه المخالفين والتَّصدِّي لهم، والتَّحذير منهم.

وبعد تَعلُّم العقيدة الصَّحيحة لا بُدَّ من تفنيد شُبَه المخالفين ودحضها كما قام بذلك خير قيامٍ الإمام أحمد بن حنبل[٣] إمام أهل السُّنَّة في موقفه من فتنة خَلْق القرآن، وتَصدِّيه فيها لأهل البدع، ولاقى فيها ما لاقى من إهانةٍ وتعذيبٍ، ومع ذلك ثَبتَ على موقفِهِ، وأعزَّ الله به السُّنَّة. وكذلك ما قام به ابن تيمية $ من التَّصدِّي لأهل الأهواء بالرُّدود والمناظرات، ومُصنَّفاته[٤] جلُّها في مباحث الاعتقاد، وتَفْنيد شبه المخالفين، والرد عليهم، وإِنْ كان هذا الأمر واجبًا من قبلُ، فهو الآن

---

[١] انظر: الأشقر، عمر، «**كيف تستعيد الأُمَّة الإسلامية مكانتها من جديد؟**»، ط٢ (عمان: دار النفائس١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، ص٦٩.

[٢] انظر: الصلابي، «**تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم**»، ط١ (دمشق: دار ابن كثير ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ص٣٢٣.

[٣] هو أبو عبد الله، أحمد بن حنبل بن هلال بن أس الشيباني، المروزي ثم البغدادي، أحد الأئمة الأعلام، صاحب المسند، إمام أهل السُّنة. انظر: الذهبي، «**سير اعلام النبلاء**» ١٧٧/١١.

[٤] من ذلك: «بيان تلبيس الجهمية»، «منهاج السُّنَّة النبوية»، «درء تعارض العقل مع النقل»، «مجموع الفتاوى»، وغير ذلك من الرسائل الصغيرة؛ كـ«الواسطيَّة»، و«الحموية»، و«التدمرية»، وغيرها الكثير.

أوجب بسبب شدَّة الجهل، وكثرة الشُّبهات، وكثرة وسائل الإعلام الَّتي تُسهِّل على أصحاب العَقَائد الباطلة بثَّ شُبهاتهم، لذا يجب أن يحرص أهلُ العلم والدُّعاة على استخدام الوَسَائل الحديثة[1] في التَّحذير من هؤلاء وعقائدهم الفاسدة، كما يجب أن يَتفرَّغ أهل العلم لمثل الرَّدِّ على هؤلاء، والتَّصدِّي لهم، والتَّحذير منهم.

المطلب الثَّالث: الغزو الفكري: وتكون مواجهتُهُ بمواجهته كلِّ وسائله وآثاره، من ذلك:

أولًا: مقاومة التَّغريب ودعاته:

١. فَضْح دعاة التَّغريب، وعرض أفكارهم على ميزان الكتاب والسُّنَّة.

يقول محمد محمد حسين: «حاجتنا الشَّديدة إلى إعادةٍ في تقويم الرِّجال؛ لأنَّ كثيرًا ممَّن نعتبرهم دعائم النَّهضة الحديثة لم يُصْبحوا كذلك في أوهام النَّاس إلاَّ بسبب الدِّعايات المغرضة الَّتي أرادت أن تَضَعهم في هذه المنزلة، لتحقق بذلك أغراضها في نشر مَذَاهبهم، والتَّمكين لآرائهم؛ ولأنَّ كثيرًا من الآراء المنحرفة الَّتي لم تكن تستطيع أن تجد طريقها إلى الفكر الإسلاميِّ، وإلى مجتمعاته، قد أَصْبَح قبولها ممكنًا بنسبتها إلى هذه الزعامات، وإلى هؤلاء الأئمَّة الَّذين لا يتطرَّق إلى النَّاس شكٌّ في إخلاصهم وعلمهم، والواقع: أنَّ كثيرًا من هؤلاء الرِّجال قد أُحِيطُوا بالأسباب الَّتي تَبْني لهم مجدًا وذكرًا بين النَّاس، ولم يكن الغرض من ذلك هو خدمتهم،، ولكن الغرض منه كان ولا يزال هو خدمة المذاهب والآراء الَّتي نَادَوْا بها، والَّتي وافقت أهدافَ الاستعمار ومصالحه، فقَدْ أصبح يكفي في تَرْويج أيِّ مذهبٍ فاسدٍ في تأويل

---

[1] الإنترنت، الإعلام المرئي، والمسموع، والمقروء.

الإسلام، أن يُقَال إنَّه يوافق رأي فلانٍ أو فلانٍ من هؤلاء الأعلام». اهـ[1].

وإعادة تقويم مثل هؤلاء يكون بعرض أقوالهم وأفكارهم ومذاهبهم على الكتاب والسُّنَّة، ويكون ذلك هو الميزان في تقويم الرِّجال، وليس أهل الأهواء، ثمَّ بعد ذلك يفضح أمرهم حتَّى لا تنطلي أقوالهم على سواد المسلمين وعَامَّتهم الَّذين يُعظِّمون مثل هؤلاء القوم.

٢. إبعادهم عن كلِّ المواقع المؤثِّرة في المجتمع؛ كالإعلام، والتَّعليم، وغيره، وما قيل في حقِّ المنافقين يُقَال في حقِّ دُعَاة التَّغريب؛ لأنَّ كثيرًا منهم قَدْ يكونون منافقين، وفي الجملة فمثل هؤلاء من دُعَاة التَّغريب إنَّما هدفهم التَّمكُّن من مثل هذه الوسائل لينفذوا من خلالها إلى فكر واعتقاد السواد الأعظم من المسلمين، لذا وَجَب تطهير هذه الأماكن من أمثالهم، بل وإسنادها إلى ذوي الأمانة، والعلم، والدِّين، لإصلاح ما تمَّ إفسادُهُ على مرِّ القرنين الماضيين على يد دُعَاة التَّغريب.

٣. تفنيد كلِّ المذاهب الفكريَّة الهدَّامة، وبيان موقف الإسلام منها؛ كالاشتراكيَّة، والعلمانيَّة، والديمقراطيَّة، والرأسماليَّة، والشيوعيَّة، والقوميَّة، والوطنيَّة، والوجوديَّة، وغيرها من المذاهب الفكريَّة الَّتي ابتليت بها الأُمَّة الإسلاميَّة، من جرَّاء الفكر الغربيِّ الفاسد.

كما لا يجب أن نغفلَ جانبَ الإرشاد والتَّذكير لمن ينضمُّ إلى هؤلاء من شباب المسلمين المُغرَّر بهم، وليس عندهم من العلم ما يُميِّزون به بين الحقِّ والباطل.

ثانيًا: مقاومة التَّغريب وصوره، والتَّخلُّص من كلِّ ما خلَّفه الاحتلال:

---

[1] انظر: حسين، محمد محمد، **الإسلام والحضارة الغربية**، مرجع سابق ص٥٧.

لقَدْ حرص الغرب الصليبيُّ بكل ما أوتي من قوة على هدم الهُويَّة الإسلاميَّة بهدم الإسلام، وتمييعه داخل المسلم، ولمقاومة هذا الفكر التَّغريبي وصوره لا بُدَّ من القيام بعدَّة أمورٍ، منها:

١. بَيَان فَضْل الحضارة[١] الإسلاميَّة على سائر الحَضَارات، وخاصةً الغربيَّة الزَّائفة، وبيان ذلك يكون بمعرفة أُصُول تلك الحضارات وخَصَائصها، فإذا كانت الثَّقافة تعدُّ قاعدة الحضارة وأَصْلها والمُشكِّلة لتَوجُّهاتها، والحاكمة لغاياتها، فبيان ذلك يكون بمقارنة الثَّقافة الَّتي تستمدُّ منها كلُّ حضارةٍ أُصُولَها.

فالحضارة الإسلاميَّة تستمدُّ أُصُولها من الثَّقافة الإسلاميَّة، والثَّقافة الإسلاميَّة منضويةٌ في حال استقامتها تحت تعاليم الإسلام، فالإسلامُ هو الَّذي يُشكِّل قيم الأُمَّة الإسلاميَّة، ويَصُوغ عُقُولها وتَصوُّراتها وعقيدتها، ويَبْني نُفُوس أفرادها، ويُصْلح قُلُوبهم، ويُوجِّههم الوجهة الصَّالحة في الحياة، ويُعرِّفهم بالخير والشَّرِّ، والحقِّ والباطل، أمَّا الثَّقافة الغربيَّة، فأسلوب حياتها مستمدٌّ من عاداتها وتقاليدها، وتَوجُّهات مُفكِّريها، والنَّظريات الَّتي صَاغَوها، أضف إلى ذلك كُلِّه ما أخذوه من حضارة اليونان والرُّومان، وما وَرِثوه من الدِّين النَّصرانيِّ المحرَّف، وتاريخهم الَّذي

---

[١] **الحضارة** هي: المرحلة التي يرتقي إليها الإنسان في أحواله، وعلومه، وعوائده، وصناعته، هذه الحضارة هي التي يَنتقل فيها الإنسانُ من البَدَاوة إلى الحَضَارة، وفيها يتوسع في الرفاهية والغنى، ويركن إلى الدعة والسكون، ويستكثر من الأقوات والملابس، ويتوسع في البيوت واختطاط المدن والأمصار، ويتأنق في المطاعم والملابس، ويبلغ في إتقان الصنائع كلَّ مبلغٍ، والحضارة عنده نهاية العمران. انظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط١ (دمشق: دار يعرب ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ص ٢٤٤-٢٤٩.

تمثل الكنيسة فيه دورًا بارزًا، وثقافتهم على ذلك تعجُّ بالتَّناقضات والتَّصدُّعات[1].

فإذا كان ثقافة الأُمَّة الَّتي هي قاعدة الحضارة الإسلاميَّة وأصلها نابعةً من دينٍ إلهيٍّ سماويٍّ مترلٍ من عند العليم الحكيم، والثَّقافة الغربيَّة الَّتي هي قاعدة الحضارة الغربيَّة وأصلها، هي خليطٌ من انحرافاتٍ في العَقَائد والتَّصوُّرات والسُّلوك، فلا شكَّ أنَّهم يختلفان في الأُصُول والتَّوجُّهات، ومن ثَمَّ يختلفان في الوسائل والغايات.

وإذا كانت الثَّقافة صالحةً في معتقداتها وأخلاقها وتَشْريعاتها وقيمها وموازينها، كانت حَضَارتها حضارةً سويةً صالحةً مستقيمةً، وإنْ كانت فاسدةً في معتقداتها وتشريعاتها وقيمها وموازينها، كانت حضارةً فاسدةً، كتلك الحضارات الَّتي تؤله الأصنام والأوثان والإنسان، وتُسخِّر علمها وَمَا وصلت إليه من مخترعاتٍ لظلم النَّاس وقهرهم، والإفساد في الأرض، ومن ذلك حضارة اليونان والرُّومان والفراعنة والهنود، وكَذَلك الحضارة الغربيَّة المعاصرة الَّتي تقوم على الكفر والإلحاد، وتقديس المادَّة.

وبعد المقارنة بين الحضارتين (الإسلاميَّة، والغربيَّة) من حيث الأُصُول والتَّوجُّهات والغايات، هل يستويان مثلًا؟! ساءَ ما يحكمون!

٢. إعادة الهُويَّة الإسلاميَّة بإعادة تحكيم الشَّريعة[2] الإسلاميَّة، وذلك بإبراز خَصَائص الشَّريعة الإسلاميَّة، وما تتميَّز به عن غيرها من التَّشريعات الوضعيَّة، ومن

---

[1] انظر: الأشقر، عمر، «**نحو ثقافة إسلامية أصيلة**»، ص٢٤ .

[2] **قال ابن تيمية**: «اسم الشَّريعة والشَّرع والشِّرعة فإنه ينتظم كل ما شرعه الله من العقائد والأعمال (الفتاوى ١٩/١٦٥، وط. ابن القاسم ١٩/٣٠٧، وقال: «الشريعة هي طاعة الله ورسوله، وأُولِي الأمر منا» (المصدر السابق ١٩/١٦٧، وط. ابن القاسم ١٩/٣٠٩).

أبرز ما تَتميَّز به:

● **من حيث المصدر**: كونها شريعةً إلهيَّةً، شرعها الَّذي يعلم مَنْ خلق، اللَّطيف الخبير بعباده، الَّذي يعلم ما يصلحهم ويُقوِّمهم، ولكونها إلهيَّةً فهي خاليةٌ من الجور والنَّقص والهوى؛ لأنَّ صانعها هو الله، والله له الكمالُ المطلقُ الَّذي هو من لوازم ذاتِهِ، بخلاف القوانين الوضعيَّة الَّتي وَضَعها البشر، فهي لا تنفكُّ عن هذِهِ المعاني؛ لأنَّها صادرةٌ عن الإنسان، والإنسان لا يخلو من معاني الجهل، والجور، والنَّقص، والهوى، وما إلى ذلك.

● **من حيث العُمُوم والبقاء**: فالشَّريعة الإسلاميَّة عامَّة لجميع البشر في كلِّ مكانٍ وزمانٍ؛ قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}[1]، وهي باقيةٌ لا يلحقها نسخٌ، ولا تغييرٌ؛ لأنَّ النَّاسخ يجب أن يكون بقوَّة المنسوخ، أو أقوى منه، فلا ينسخ الشَّريعة وهي تشريعٌ من الله إلاَّ تشريعٌ آخر من الله، وحيث إنَّ الشَّريعة الإسلاميَّة خاتمة الشَّرائع، فلا يتصور أن ينسخها أو يُغيِّرها شيءٌ، وحيث إنَّ الله تعالى جعلها عامَّةً في المكان والزمان، وجعلها خاتمة الشَّرائع، جعل قواعدها وأحكامها على نحوٍ يجعلها صالحةً لكلِّ زمانٍ ومكانٍ[2]، بينما القانون الوضعي مؤقت لجماعةٍ خاصةٍ في عصرٍ معينٍ، فهو في حاجة إلى التغيير كُلَّما تطورت الجماعة، وتَجدَّدت مطالبها[3].

---

[1] سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

[2] انظر: زيدان، عبد الكريم، «**المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية**»، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، ص٤٥.

[3] انظر: القطان، مناع، «**تاريخ التشريع الإسلامي**»، ط٤ (القاهرة: مكتبة وهبة ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)،

ولا يَتَّسع المقام للإلمام بكلِّ خصائص الشَّريعة الإسلاميَّة ومقاصدها، ولكن يكفينا شرفًا وعزًّا أنَّها من عند الحكيم العليم سبحانه، جلَّ شأنه.

٣. إعادة اللُّغة العربيَّة الفصحى (لغة القرآن) إلى مكانتها.

مع أنَّ اللُّغة العربيَّة هي الوعاء الَّذي حفظ كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ، إلاَّ أنَّ للقرآن على اللُّغة العربيَّة فضلًا كبيرًا، فقد أصبحت هي اللُّغة المقدَّسة عند المسلمين، الَّتي يتقرَّب إلى الله بتَعلُّمها والكلام بها، إنَّ رَفْع شأن اللُّغة العربيَّة بوصفها اللُّغة الَّتي أوحى الله تعالى بها القرآن الكريم إلى الإنسانيَّة، جعلها -دون سواها من اللُّغات- لغةً حيةً محفوظةً لا تَتغيَّر، ولا تتبدَّل على مرِّ العصور، فلغة القرآن هي النُّموذج الأعلى لبلاغة العربيَّة، وسُمو عبارتها، وهي المعيار لكلِّ أصناف التَّعبير اللُّغوي، ومن ثَمَّ فإنَّ تحديد مَقَاصد الإسلام وفَهْم تعاليمه أمرٌ محكومٌ بالمجال الدِّلالي لآيات القرآن الكريم، لا بالتَّغيير الاجتماعي[١].

قال ابن تيمية $: «فإنَّ اللِّسانَ العربيَّ شعار الإسلام وأهله، واللُّغات من أعظم شَعَائر الأمم الَّتي بها يَتميَّزون»[٢]، وقال: «وَاعْلَمْ أنَّ اعتياد اللُّغة يُؤثِّر في العقل والخُلُق والدِّين تأثيرًا قويًّا بينًا، ويؤثِّر أيضًا في مشابهة صدر هذِهِ الأُمَّة من الصَّحابة والتَّابعين، ومشابهتُهُم تزيد العقلَ والدِّينَ والخلقَ». وقال: «فإنَّ نفس اللُّغة العربيَّة من

ص٢١.

[١] العطاس، محمد، «**مداخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية**»، ص٧١، ٧٢ نقلًا عن: الأشقر، عمر، «نحو ثقافة إسلامية أصيلة»، ص٦٢.

[٢] ابن تيمية، «**اقتضاء الصراط المستقيم**»، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط١ (بيروت: اقتضاء الصراط المستقيم، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م) ص١٩٠.

الدِّين، ومعرفتها فرضٌ واجبٌ، فإنَّ فَهْم الكتاب والسُّنَّة فرضٌ، ولا يُفْهم إلاَّ بفهم اللُّغة العربيَّة، وما لا يتمُّ الواجب إلاَّ به فهو واجبٌ»[(١)]. وقال في كراهة اتِّخاذ لغة العجم شعارًا: «وأمَّا اعتياد الخطاب بغير العربيَّة الَّتي هي شعار الإسلام ولغة القرآن، حتَّى يصير هذا عادةً للمصر وأهله، ولأهل الدَّار، وللرَّجل مع صاحبه، ولأهل السُّوق، أو للأمراء، فلا ريب أنَّ هذا مكروهٌ، فإنَّه من التشبُّه بالأعاجم، وهو مكروهٌ»[(٢)].

قال الشَّاطبيُّ $: «إنَّ هذِهِ الشَّريعة المباركة عربيَّةٌ، لا مدخلَ فيها للألسن الأعجميَّة»[(٣)]. وقال: «القرآن نَزلَ بلغة العرب على الجملة، فطَلَب فهمه إنَّما يكون من هذا الطَّريق خاصةً؛ لأنَّ الله تعالى يقول: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ}[(٤)]، فمَنْ أراد تَفهُّمه، فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تَطلُّب فهمِهِ من غير هذه الجهة»[(٥)].

٤. إحياء الرَّابطة الإسلاميَّة بين الأُمَّة، والانتماء للإسلام وحده، وليس للوطن، أو الجنس، أو العِرْق، أو غيره، ويكون المسلمون إخوةً فيما بينهم، تربطهم وشيجة العقيدة، ويكونون يدًا واحدةً على أعدائهم، دينُهُم واحدٌ، هَدفُهُم واحدٌ، عَدوُّهُمْ

---

(١) المرجع السابق، ص١٩٤.

(٢) ا المرجع السابق، ص١٩٣.

(٣) انظر: الشاطبي، «**الموافقات**»، تحقيق: مشهور آل سلمان، ط٢ (القاهرة: دار ابن عفان ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) ١٠١/٢.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٥) الشاطبي، «**الموافقات**»، ١٠١/٢.

واحدٌ.

الفصل السادس (رؤية مستقبلية)
أثر الولاء والبراء في اجتماع الأمة سياسيًّا واقتصاديًّا

المبحث الأول: وحدة الهدف وحسن التخطيط.

المبحث الثاني: وحدة الأمة على الصعيد السياسي والاقتصادي

تمهيد

حَرصَ الاستعمارُ على تَقْسيم العالم الإسلاميِّ إلى دُوَيلاتٍ، ووضع فَوَاصل وحواجز غير طبيعيَّةٍ بين أجزاء الأُمَّة الإسلاميَّة، وكانت النَّتيجة أنَّ اقتصادها ككلٍّ -وهو اقتصادٌ متكاملٌ في ذاته- قد اختلَّ توزيعه بين الدُّول الإسلاميَّة بالنِّسبة لسُكَّانها، كما أنَّ سُكَّان هذه الدُّول قد اختلَّ أيضًا توازنهم مع طاقة الإمكانيَّات الاقتصاديَّة الَّتي أصابت كلَّ دولةٍ.

والمستعمر في تجزئته للأُمَّة الإسلاميَّة إلى مجتمعاتٍ استهدف هدفين رئيسين:

أوَّلًا: أَنْ يتمكَّن هو من الاستغلال الاقتصاديِّ -بعد استقلال البلاد سياسيًّا- أطول فترةٍ ممكنةٍ، للموادِّ الخام في البلاد الإسلاميَّة، وبخاصَّةٍ البترول، والقطن والمطاط، وأَنْ يجعل من مجتمعاتها أسواقًا استهلاكيَّةً لما يصنعه.

ثانيًا: أن يُبقي على ضعف الأُمَّة الإسلاميَّة ككلٍّ، بحيث لا يقوم بين أجزائها -مرَّةً أخرى في المستقبل القريب أو البعيد- شعورٌ قويٌّ بالتَّرابط، فضلًا عن أن يقوم بينها شعورٌ برباط الجامعة الإسلاميَّة، أو شعورٌ برباط الوحدة الإسلاميَّة الَّتي ينادي بها الإسلام، وينشدها هذا الدِّين من خلال عبادة الله وحده.

وَنَشأ عن اختلال توزيع الاقتصاد الإسلاميِّ ككلٍّ، واختلال تَوْزيع السُّكَّان في البلاد الإسلاميَّة: أَن ازدحمت مناطق في هذه البلاد بالسُّكَّان في وقتٍ افتقرت فيه إلى الموارد الاقتصاديَّة الَّتي تساعد على مستوى من الدَّخل يَكْفل للفرد عيشةً إنسانيةً كريمةً، بينما خفَّ السُّكَّان في مناطق أخرى مع زيادةٍ في الموارد الاقتصاديَّة تجعل من

دخل الفرد مستوى يعدُّ نموذجًا عالميًّا في الارتفاع، أو يصل إلى درجة التُّخمة، فالتَّرف، فالتَّبذير، وبذلك أصبح بين المسلمين ككلٍّ حرمانٌ واضحٌ من جهةٍ، وترفٌ من جهةٍ أخرى، وكشأن ما يقع في المجتمع الواحد من عداوةٍ نفسيَّةٍ دفينةٍ بين المحرومين من جانبٍ، وأصحاب الترف فيه من جانبٍ آخر، إذا أمسك هؤلاء عن العطاء والمعاونة للمحرومين، يقع ذلك أيضًا في الأُمَّة الَّتي ترتبط أجزاؤها برباطٍ واحدٍ كالأُمَّة الإسلاميَّة، إذا جدَّ فيها ككلٍّ، وَضَع الاختلال في توزيع الثَّروة[1].

وإذا ما أردنا أن تعود الأُمَّة لسابق عهدها قبل عُهُود الاستعمار، وأن تَتوحَّد سياسيًّا واقتصاديًّا، لكان لزامًا علينا أن نُحْيي عهد الخلافة، ولا يكون إلاَّ بعودة الرَّابطة الإسلاميَّة -رابطة العقيدة- الَّتي أذابت كلَّ الرَّوابط الجاهليَّة، والَّتي استطاعت أن تجمع بين الأوس والخزرج، وبين المهاجرين والأنصار، بل بَيْنَ جميع قبائل العرب، بل بين المسلمين جميعًا من عربيٍّ وأعجميٍّ، وهذا ما تحتاجه الأُمَّة الآن أن تجتمعَ سياسيًّا واقتصاديًّا، ولا يكون ذلك إلاَّ بوحدة الهدف، والإدارة، وحسن التَّخطيط.

---

[1] انظر: البهي، محمد، «**الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة**»، ط٣ (القاهرة: مكتبة وهبة ١٤٠١هـ-١٩٨١م)، ص١٥٠.

المبحث الأول: وحدة الهدف وحسن التخطيط

إنَّ وحدة الهدف والتَّخطيط[1] السَّليم، والإدارة النَّاجحة في العالم الإسلاميِّ من الأسباب الأكيدة في اجتماع الأُمَّة سياسيًّا واقتصاديًّا في مواجهة أيِّ تحدياتٍ، ومن ذلك قوله تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ}[2].

هذه الآية دعوةٌ للإدارة الإسلاميَّة بالعمل والتَّخطيط، والاستعداد بقوَّةٍ لمواجهة أمرٍ مستقبليٍّ قد يحدث في دار الإسلام وأُمَّته، ويُفْهم من الآية مَفْهوم التَّخطيط الطَّويل الأجل الَّذي يجب أن تأخذ به الدَّولة الإسلاميَّة وإدارتها الحكيمة حتَّى تحمي شوكة وقوَّة الإسلام[3].

ولكن وَحْدة الهدف والإدارة، وحُسْن التَّخطيط للتَّغيُّر الخارجي للأُمَّة لا يُؤتي أُكُله إلاَّ بالتَّغيُّر الدَّاخلي لحال المسلمين اليوم، فغياب كثيرٍ من القيم الإسلاميَّة هو السِّمة الغالبة على كثيرٍ من المسلمين اليوم، فيجب أن يؤمن المسلمون أولًا بضرورة هذا الاجتماع، وهذا التَّغيير الخارجيِّ لحال الأُمَّة، والَّذي سينعكس عليهم -بلا شكٍّ- بالعزَّة، فيجب أن يَسْعى المسلم في تطوير نفسِهِ، وتنمية ذاتِهِ إيمانيًّا وعلميًّا، وأن يَسْعى لمحاربة الفساد في نفسه ومجتمعه ويكون ذلك بداية النَّواة للتَّغيُّر الخارجي، وسبيل لنجاح وحدة الأُمَّة سياسيًّا واقتصاديًّا، بل وفي جميع المجالات.

---

(١) هو الاستعداد في الحاضر لما يواجه الإنسان؛ عمله أو حياته في المستقبل.

[2] سورة الأنفال، الآية ٦٠.

[3] انظر: الصلابي، «**فقه النصر والتمكين**»، ص٣٤٠، ٣٤١ .

إنَّ وجود الاقتصاد الإسلامي يُؤدِّي إلى الوحدة السِّياسيَّة بين شُعُوب الإسلام، حيث إنَّ الاقتصاد ينطلق من الشَّريعة، والشَّريعة تنادي بوحدة المسلمين؛ لأنَّ وحدة الاقتصاد تُؤدِّي إلى وحدة السِّياسة، وهذا ما يسعى إليه دول غير إسلاميَّةٍ، مثل دول السُّوق الأوروبيَّة المشتركة[1].

إنَّ القوَّة الاقتصاديَّة هي عصب الحياة الدُّنيا وقوامها، ولن تستطيع الأُمَّة أن يكون لها قرارٌ ورأيٌ معتبرٌ على السَّاحة السِّياسيَّة إلاَّ إذا استغنت بمواردها وكفاءتها، وبخاصَّة أنَّ العالم الإسلاميَّ يمتلك من الطَّاقات البشريَّة والماديَّة ما يمكنه من بناء اقتصادٍ سليمٍ قويٍّ يُوَاجه التَّيارات الاقتصاديَّة المتصارعة، فلا عزَّة لأُمَّةٍ يكون سلاحها من صنع غيرها، يبيعها منه ما يشاء، ومتى شاء، ولا سيادة حقيقيَّة لأُمَّةٍ تعتمد على خبراء أجانب عنها في أخصِّ أُمُورها، وأدقِّ شؤونها، وأخطر أسرارها، ولا استقلال لأُمَّةٍ لا تملك زراعة قُوتها في أرضها، ولا تجد الدَّواء لمرضاها، ولا تَقْدر على النُّهُوض بصناعةٍ ثقيلةٍ إلاَّ باستيراد الآلة والخبرة من غيرها[2].

يقول الندوي: «لا بُدَّ للعالم العربيِّ فضلًا عن الإسلاميِّ من الاستقلال في تجارتِهِ، وماليتِهِ، وصناعتِهِ، وتعليمِهِ، لا تلبس شعوبه وجماهيره إلاَّ ما تنبته أرضه، وتنسجه يده، وتستغني عن الغرب في جميع شئون حياتها، وفي كلِّ ما تحتاج إليه من كسوةٍ وطعامٍ، وبضائع، ومصنوعاتٍ، وأسلحةٍ، وجهازٍ حربيٍّ، وآلاتٍ وماكيناتٍ، وأدويةٍ، فلا تكون كَلًا على الغرب، وعيلًا عليه في معيشتها، ومتطفلة على

---

[1] المصدر السابق، ص٣٥٦.

[2] انظر: الصلابي، «فقه النصر والتمكين»، ص٣٥٨.

مائدته»[1].

وللوُصُول للهدف المنشود -ووَحْدة الأُمَّة اقتصاديًّا وسياسيًّا، وتَفرُّدها في اتِّخاذ القرارات- يجب العملُ على تحقيق الاكتفاء الذَّاتيِّ للأُمَّة، وذلك بأَنْ تُوفِّر لديها من الخبرات والوسائل والأدوات ما يَجْعلها قادرةً على إنتاج ما يفي بحاجتها الماديَّة والمعنويَّة، ويسدُّ ثغراتها المدنيَّة والعسكريَّة، ويكون ذلك بتعلُّم كلِّ ما من شأنه أن يرفع الأُمَّة علميًّا وصناعيًّا واقتصاديًّا.

ومن الأُمُور الَّتي تُعين على الاكتفاء الذَّاتي للأُمَّة ما يلي[2]:

١. حسن التَّخطيط: وذلك بمعرفة الحاجات المطلوبة، ومراتبها، ومدى أَهمِّيتها، والإمكانات الموجودة، ومدى القدرة على تنميتها، والوَسَائل المُيسَّرة لتلبية الحاجات.

٢. تهيئة الطَّاقات البشريَّة، وحسن توزيعها: ويكون ذلك بتطوير النِّظام التَّعليمي والتَّدريبي، بحيث يهيئ لها الطَّاقات والكفايات البشريَّة المتنوِّعة في كلِّ مجالٍ تحتاج إليه، ووضع كلِّ إنسانٍ في المكان المناسب له، وبذلك يمكن أن تستغني الدُّول الإسلاميَّة الغنيَّة بأبنائها -من ذوي الكفاءات من الدُّول الإسلاميَّة- عن الغير.

٣. حسن استغلال الموارد المتاحة: سواء ذلك موارد ماديَّة، أو موارد بشريَّة، فمثلًا البلاد الزِّراعيَّة الَّتي تفتقر إلى المواد اللاَّزمة لتنميتها، يكون ذلك بتمويلها من قِبَلِ الدُّول الغنيَّة بالمال والموارد البشريَّة، ولا تترك تربتها دون استغلالٍ، وكذلك

---

[1] الندوي، أبو الحسن، «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»، مرجع سابق، ص٤١٦.

[2] انظر: الصلابي، فقه النصر والتمكين، مرجع سابق ص٣٥٦-٣٦١.

البلاد الغنيَّة بالموارد المائيَّة، ولكنَّها تفتقر إلى التقنيات الحديثة لتنميتها، يكون ذلك بقيام الدُّول الغنيَّة بالموارد الماليَّة بسدِّ هذا العجز، وهكذا في كلِّ الموارد والإمكانات، وفي النِّهاية يصبُّ ذلك في مصلحة العالم الإسلاميِّ كلِّه.

٤. حسن استغلال الثَّروة الماديَّة، وذلك باستثمارها في شتَّى المجالات الزِّراعيَّة، والصِّناعيَّة، والتِّجاريَّة، وعدم الاكتفاء باستيراد ما نحتاج إليه من الخارج.

هذِهِ هي الخُطُوط العريضة الرَّئيسة نحو وحدةٍ سياسيَّةٍ واقتصاديَّةٍ، والَّتي يمكن في ظِلِّها تحقيق الآتي مستقبلًا بإذن الله:

المبحث الثاني: وحدة الأمة على الصعيد السياسي والاقتصادي:

على الصَّعيد السياسيِّ

١. إنشاء جامعة الدُّول الإسلاميَّة على نهج جامعة الدُّول العربيَّة، فتنتظم فيها جميع الدُّول الإسلاميَّة، وتكون هذه الجامعة هي نبض العالم الإسلاميِّ، وتقوم بدور دولة الخلافة في الماضي، وتكون قَضَايا المسلمين في أَولويَّاتها.

٢. إنشاء جيشٍ إسلاميٍّ مشتركٍ، تكون وظيفتُهُ الدِّفاع عن الكيان الإسلاميِّ في وجه أيِّ عدوانٍ.

٣. توحيد العُمْلة بين الدُّول العربيَّة فضلًا عن الإسلاميَّة، فقَدْ سبقنا بذلك دُوَل الاتِّحاد الأوروبي، فنحن أبناء العقيدة الواحدة أَوْلَى بذلك.

٤. إلغاء تأشيرات الدُّخُول بين الدُّول الإسلاميَّة.

على الصَّعيد الاقتصاديِّ:

١. إنشاءُ سوقٍ عربيٍّ إسلاميٍّ مشتركٍ، لتسويق المنتجات العربيَّة الإسلاميَّة

داخليًّا وخارجيًّا.

٢. إنشاءُ مجمعٍ دوليٍّ لتوزيع الأيدي العاملة المتاحة، وتنسيقها مع الحاجات فيما بين الدُّول الإسلاميَّة.

٣. إنشاءُ أُسْطولٍ تجاريٍّ مشتركٍ.

٤. إنشاءُ سَلَّةٍ غذائيةٍ مشتركةٍ تقوم على خدمة الدُّول الفقيرة.

٥. إنشاءُ مصانع حربيَّةٍ مشتركةٍ.

٦. إنشاءُ بيت مالٍ للمسلمين مُوحَّدٍ، وهذا سيَخْدم بدوره الدُّول الإسلاميَّة الفقيرة، الَّتي لا تجد قُوتها، بل قَدْ تتعرَّض للتَّنصير من قِبَلِ الغرب مقابل القُوت.

خاتمة: إنَّ العالم العربيَّ بمواهبِهِ وخصائصِهِ، وحسن موقعِهِ الجغرافي، وأهميَّته السِّياسيَّة يحسن الاطِّلاع برسالة الإسلام، ويستطيع أن يتقلَّد زعامة العالم الإسلاميِّ، ويُزَاحم أوروبا بعد الاستعداد الكامل، وينتصر عليها بإيمانه وقوَّة رسالته، ونصر من الله، ويحول العالم من الشَّرِّ إلى الخير، ومن النَّار والدَّمار إلى الهدوء والسَّلام[١].

إنَّ عقيدة الولاء والبراء لحريٌّ بها أن تُغيِّر من ملامح العالم الإسلاميِّ اليوم، وبحسب قوَّتها في نُفُوس المسلمين تؤتي أُكُلها، فالأُمَّة الإسلاميَّة قَويَّةٌ في تَمسُّكها بدينها، قويةٌ بتَوكُّلها على رَبِّها، وحسبنا قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ}[٢].

---

[١] المرجع السابق، ص٤١٧.

[٢] سورة الأعراف، الآية ٩٦.

وقوله: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا}[1].

[1] سورة النور، الآية ٥٥.

النَّتائج والتَّوصيات

الحَمْد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، وبعد إتمام هذا البحث يمكن تَلْخيص نتائجه في النِّقاط الآتية:

١. أنَّ الولاءَ والبراءَ أصلٌ من أصول الدِّين، وشرطٌ من شُرُوط الإيمان.

٢. أنَّ الولاء والبراء من مقتضيات كلمة التَّوحيد.

٣. أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة وسطٌ في باب الولاء والبراء، فجعلوا النَّاس على أقسامٍ في ولائهم وبرائهم، فجَعَلوا من يحبُّ محبَّةً خالصةً لا معاداة معها، وهم المؤمنون الخُلَّص من الأنبياء، والصِّدِّيقين، والشُّهداء، والصَّالحين، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

٤. وجَعَلوا مَنْ يبغض ويعادي بغضًا ومعاداةً خالصين لا محبَّة ولا موالاة معهما، وهم الكُفَّار الخلَّص من الكُفَّار والمشركين والمنافقين والمرتدِّين والمُلْحدين على اختلاف أجناسهم.

٥. ثمَّ جعلوا مَنْ يحبُّ من وجهٍ، ويبغض من وجهٍ، فيجتمع فيه المحبَّة والعداوة، وهم عُصَاة المؤمنين؛ يحبُّون لما فيهم من الإيمان خلافًا للخوارج والمعتزلة الَّذين يخرجونهم من الإسلام، ويبغضون لما فيهم من المعصية الَّتي هي دون الكفر والشِّرك، وخلافًا للمرجئة الَّذين يجعلون إيمانهم كاملًا مهما فعلوا من المعاصي، وتركوا من الفرائض.

٦. أنَّ المسلم قد يجتمع فيه خيرٌ وشرٌّ، فيُوَالى على قَدْر ما عنده من إيمانٍ، وتَقْوى، وصلاحٍ، ويُعَادى على قَدْر ما عنده من معاصٍ وفجورٍ، ويدخل في ذلك أهل البدع ممَّن لم تخرجهم بدعهم من الملَّة.

٧. أنَّ موالاة الكفَّار على درجاتٍ، منها ما يخرج من الملَّة، وهي الموالاة المطلقة، وهي تَولِّي الكفَّار من أجل دينهم، ومحبَّة ما هم عليه من الكفر، ومنها ما لا يخرج من الملَّة، وهي الموالاة المقيَّدة، وهي مُوَالاة الكفَّار لمصلحةٍ دنيويةٍ مع سلامة الاعتقاد، وبغض دينهم، فهذا محرمٌ، وليس بكفرٍ مخرجٍ من الملَّة.

٨. أنَّ الموالاة الَّتي يقصد منها اتِّقاء شرِّ الكافرين، والَّتي يُعبَّر عنها بالمُدَاراة مباحةٌ، ولا تدخل في الموالاة المحرَّمة.

٩. أنَّ الحبَّ المباح لغير المسلمين هو الحبُّ الطَّبيعيُّ الخارج عمَّا سبق، كحب الوالد لولده الكافر، كحب نوحٍ ﷺ لولده، أو الولد لوالديه الكافرين، أو الرَّجل لزوجه الكتابيَّة، أو المرء لَمَنْ أحسن إليه وأعانه من الكفَّار، فهذا الحبُّ مباحٌ ما دام لم يؤثِّر في بغضه لكفر الكافرين، وفسق الفاسقين، ومعصية العاصين.

١٠. أنَّ قوَّة عقيدة الولاء والبراء في الصَّدر الأوَّل من المسلمين كان له بالغ الأثر في اجتماع المهاجرين والأنصار على خلافة أبي بكر واجتماعهم على محاربة المرتدِّين، واجتماعهم في عام الجماعة وجهادهم الصَّليبيِّين.

١١. أنَّ غياب وضعف عقيدة الولاء والبراء في نفوس المسلمين أدَّى إلى

ضعف الأُمَّة وتَفرُّقها بدايةً من العصر العَبَّاسيِّ الثَّاني، وحتَّى عصرنا هذا.

١٢. أنَّ تَولِّي الكفَّار كان له بالغ الأثر في سقوط بغداد، والأندلس، والخلافة العثمانيَّة.

١٣. أنَّ للمنافقين أثرًا في كلِّ عصرٍ على إثارة الفتن بَيْنَ المسلمين، وإشاعة الفاحشة، وتَفْريق كلمة المسلمين.

١٤. أثر الشِّيعة في ضعف وانحراف عقيدة الولاء والبراء، ويبرز ذلك في بثِّ أفكارهم المنحرفة، والموالاة والمعاداة عليها، لا سيَّما أهل السُّنَّة حيث نَاصَبوهم العداء، ووالوا الكفَّار، وأعانوهم على أهل السُّنَّة، من ذلك ما حصل من ابن العلقمي الشِّيعي من موالاته التَّتار، وسقوط بغداد في أيديهم.

١٥. إنَّ الصُّوفيَّة وما تحمل من عقائدَ منحرفةٍ، أَدَّت بدورها إلى انحرافٍ في مفهوم الولاء والبراء، فأَصْبح الولاء للوليِّ والشَّيخ والطَّريقة، والبراء من مُخَالفيهم لا سيَّما أهل السُّنَّة والجماعة.

١٦. بُرُوز ظاهرة الإرجاء وتَفشِّيها في كثيرٍ من بلدان العالم الإسلاميِّ لا سيَّما في واقعنا المعاصر أدَّى إلى انحرافٍ في مفهوم الولاء والبراء.

١٧. إنَّ استهداف العالم الإسلامي بالتَّغريب، والعَمَل على إسقاط القيم والمبادئ الإسلاميَّة في نُفُوس المسلمين، كان له كبير الأثر في ضعف عقيدة الولاء والبراء، وانحرافها.

١٨. إنَّ العصبيَّة واتِّباع الهوى والجهل من أكبر أسباب ضعف الولاء والبراء.

١٩. إنَّ السَّبيل إلى إحياء هذِهِ العقيدة وقوَّتها في نفوس المؤمنين لَنْ يكون إلاَّ بالعودة للكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأُمَّة، والاعتصام بهما، ونبذ العصبيَّة واتِّباع الهوى من آكَد الأسباب للمِّ شَمْل المسلمين.

٢٠. إنَّ مواجهة أهل الأهواء تكون ببيان انحرافِهِ عن الصِّراط المستقيم، وذلك بعَرْض أقوالهم وأعمالهم على الكتاب والسُّنَّة.

٢١. إنَّ مواجهة التَّغريب يكون بمواجهة دُعَاتِهِ، وفضحهم، وتفنيد شُبُهاتهم، والعمل الدَّائم على عودة الأُمَّة إلى ما كانت عليه قبل عَهْد الاحتلال، والانحراف العَقَدي.

٢٢. إنَّ اجتماع الأُمَّة على كلمة التَّوحيد، وعلى العقيدة الصَّحيحة، وإحياء الولاء والبراء في الأُمَّة، يكون له بالغ الأثر في اجتماع الأُمَّة سياسيًّا واقتصاديًّا.

٢٣. إحياء عهد الخلافة والرَّابطة الإسلاميَّة الَّتي أذابت كلَّ الرَّوابط الجاهليَّة هو السبيل لعودة الأُمَّة إلى سابق عهدها، وماضي عزها، ووحدتها سياسيًّا واقتصاديًّا.

٢٤. وَحْدة الهدف والإدارة، وحُسْن التَّخطيط للتَّغيُّر الخارجي للأُمَّة لا يُؤتي أُكُله إلاَّ بالتَّغيُّر الدَّاخلي لحال المسلمين اليوم.

٢٥. إنَّ وجود الاقتصاد الإسلامي يُؤدِّي إلى الوحدة السِّياسيَّة بين شُعُوب الإسلام.

٢٦. إنَّ القوَّة الاقتصاديَّة هي عصب الحياة الدُّنيا وقوامها، ولن تستطيع الأُمَّة

أن يكون لها قرارٌ ورأيٌ معتبرٌ على السَّاحة السِّياسيَّة إلاَّ إذا استغنت بمواردها وكفاءتها.

فهرس الآيات

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة		
{أَلا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لاَّ يَشْعُرُونَ}	١٢	١٠١
{اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِين آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}	٢٥٧	٢٢
سورة آل عمران		
{لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ}	١٠	١٠، ٥١، ٥٣
{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا}	١٠٣	١٣٩، ١٤١
{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ}	١٠٤	١٤٤
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ}	٥١	١٤٨
{لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ}	١٦٧	١٤٦
سورة المائدة		
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ}	٥١	٢٧، ٢٩، ٣٧

{ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا}	٥٥	١٠، ٢٧، ٣٧
{ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين}	٥٧	٤٧
{ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا}	٧٠	١٢٧
{تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا}	٨٠	٣٨
سورة الأعراف		
{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}	١٥٨	١٥٥
{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ}	٩٦	١٦٧
سورة الأنفال		
{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}	٣٩	١٣٠
{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}	٤٦	٩٢
{وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ}	٦٠	١٦٢
{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ}	٧٢	٢٦
سورة التوبة		
{بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّه وَرَسُولِهِ}	١	٢٤
{الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ}	٦٧	١٠٣

{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}	٧١	١٠، ٢٨، ٣٧
سورة هود		
{وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي}	٤٥	٥٤
سورة النور		
{يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا}	٣٩	١٣٣
{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ}	٥٥	١٦٧
سورة القصص		
{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ}	٥٠	١٢٧
{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}	٥٦	٥٤
سورة ص		
{يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ}	٢٦	١٢٧
سورة الزخرف		
{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُون}	٢٦	٢٤
سورة محمد		
{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ}	١١	٢٢
{وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ}	٣٠	١٤٥

سورة الحجرات		
{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}	٩	٣٨
{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}	١٠	٣٨
سورة المجادلة		
{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}	٢٢	٣١، ٣٧، ٤٧
سورة الحشر		
{ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ }	١٦	٢٤
سورة الممتحنة		
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ }	١	١١، ٢٣، ٢٩
{ **وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** }	٩	٦٤
سورة الصف		
{ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ }	٨	١٠١
سورة المنافقون		
{إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله}	١	١٤٥
{هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون}	٤	٩٩

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة
أخوف ما أخاف على أُمَّتي جدال المنافق عليم اللِّسان	١٠٢
ألا إنَّ مَنْ كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملَّة	١٠٦
الَّذين يصلحون ما أفسد النَّاس من سُنَّتي	١٣٨
أليس قد شهد بدرًا؟	٥٠
أمرتُ أن أقاتل الناس حتَّى يقولوا: لا إله إلاَّ الله	٦٦
إنَّ ابني هذا سيِّد	٧٣
إنَّ آل أبي -يعني فلانًا- ليسوا بأوليائي	٣٣
إنَّ الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنتُهُ بالحرب	٣٤
إنَّ الله يبعث لهذِهِ الأُمَّة	١٣٥
إنَّ هذا الأمر في قريش	٦١
إنَّا لنكشر في وجوه أقوامٍ	٥٢
إنَّك امرؤ فيك جاهليَّة	١٢٨
بدأ الإسلام غريبًا	١٣٧
على السَّمع والطَّاعة	٦١
عليكم بسُنَّتي	١٠٥

قريشٌ وُلاة هذا الأمر	٦٠
لو سَلَك النَّاس واديًا	٦٠
مَنْ غشَّنا ليس منَّا	٣٩
مَنْ قُتِل تحت رايةٍ عِمِّـــيَّةٍ	١٢٨
مَنْ كنت مولاه فعليٌّ مولاه	٢١
ولكن لها رحم أبلها ببلالها	٣٣

ثبت المراجع

٢٧. القرآن الكريم.

٢٨. ابن أبي العز، القاضي علي بن علي. ١٤٢١هـ-٢٠٠١م. شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢.

٢٩. ابن أبي العز، القاضي علي بن علي. ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م. شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: العدوي. المنصورة: دار ابن رجب، ط٢.

٣٠. ابن الأثير. ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. الكامل، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

٣١. ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية في الموصل، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة: دار الكتب الحديثة، ط١.

٣٢. ابن العربي، أبو بكر، محمد بن عبد الله. ١٤٣١هـ-٢٠٠٠م. أحكام القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار الكتاب العربي.

٣٣. ابن القيم، شمس الدين. ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٤. ابن القيم، شمس الدين، أبو عبد الله محمد. ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م. بدائع الفوائد، تحقيق: محمد الإسكندراني، وعدنان درويش، بيروت: دار

الكتاب العربي، ط١.

٣٥. ابن القيم، شمس الدين، أبو عبد الله. ١٤١٥هـ-١٩٩٤م. زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢٧.

٣٦. ابن القيم، طريق الهجرتين، ت: بشير محمد عيون. ١٤١٩هـ-١٩٩٨. دمشق: مكتبة دار البيان، ط٢.

٣٧. ابن القيم، مدارج السالكين، تحقيق: عماد عامر. ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. القاهرة: دار الحديث.

٣٨. ابن تيمية. ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. مجموعة الفتاوى، تحقيق: عامر الجزار، وأنور الباز، المنصورة: دار الوفاء، ط٢.

٣٩. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بيروت: دار ابن حزم، ط١.

٤٠. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. ١٤٢٤هـ. منهاج السُّنة، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض: دار الفضيلة.

٤١. ابن تيمية، أحمد. ١٤١٦هـ-١٩٩٦م. الإيمان، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. عمان: المكتب الإسلامي، ط٥.

٤٢. ابن تيمية، الاستقامة. تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض: دار الفضيلة، ط١.

٤٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، و النجدي، محمد بن عبد الوهاب .

٢٠٠٦م . مجموعة التوحيد، تحقيق: صلاح الدين محمود سعيد، القاهرة: دار المنار .

٤٤. ابن حبان. ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. صحيح ابن حبان، ت شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١.

٤٥. ابن حزم. ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، القاهرة: دار ابن هيثم، ط١.

٤٦. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد . ١٤٢٥-٢٠٠٤م . مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دمشق: دار يعرب ط١،

٤٧. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر.

٤٨. ابن عطية، عبد الحق بن غالب. ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

٤٩. ابن كثير، إسماعيل. ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م. البداية والنهاية، أشرف على التحقيق: مصطفى العدوي، المنصورة: دار ابن رجب، ط١.

٥٠. ابن كثير، إسماعيل. ٢٠٠٩م. تفسير القرآن العظيم، تحقيق: هاني الحاج، القاهرة: المكتبة التوفيقية.

٥١. ابن منظور. ١٩٨١م. لسان العرب، أعاد ترتيبه: عبد الله على الكبير، ومحمد أحمد، وهاشم الشاذلي القاهرة: دار المعارف.

٥٢. ابن هشام. ١٤١٠هـ-١٩٩٠م. السيرة النبوية، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣.

٥٣. أبو الحسين، أحمد بن فارس. ١٩٦٩م. مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: دار الفكر.

٥٤. أبو داود. ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م. سنن أبي داود، دمشق: دار الرسالة العالمية، ط١.

٥٥. الأشقر، عمر سليمان. ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م. كيف تستعيد الأمة الإسلامية مكانتها من جديد، عمان: دار النفائس، ط٢.

٥٦. الأشقر، عمر سليمان. ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م. نحو ثقافة إسلامية أصيلة، الأردن، دار النفائس، ط١٢.

٥٧. آل الشيخ، سليمان بن عبد الله. ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، تحقيق: زهير الشاويش، بيروت: المكتب الإسلامي، ط١.

٥٨. الألباني. ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. صحيح الجامع الصغير، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣.

٥٩. البحراوي، محمد عبد اللطيف. ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م. حركة الإصلاح في عصر السلطان محمود الثاني، القاهرة: دار التراث، ط١.

٦٠. البخاري. ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. صحيح البخاري، القاهرة: دار الريان للتراث، ط٢.

٦١. البسام، مضاوي بنت سليمان. ١٤٣٢هـ-٢٠١١م. موقف الاتجاه العقلي الإسلامي المعاصر من قضايا الولاء والبراء، الرياض: دار الهدي النبوي، ط١.

٦٢. البهي، محمد. ١٤٠١هـ-١٩٨١م. الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة، القاهرة: مكتبة وهبة، ط٣.

٦٣. الترمذي. ١٤١٧هـ. سنن الترمذي، ت: ناصر الدين الألباني، الرياض: مكتبة المعارف، ط١.

٦٤. التل، عبد الله. ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م. جذور البلاء، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣.

٦٥. الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن. ١٩٩٨م. عجائب الآثار، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط١.

٦٦. الجلعود، محماس. ١٩٩٢م. الموالاة والمعاداة، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢.

٦٧. الجهني، مانع بن حماد. ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الرياض: دار الندوة العالمية، ط٥.

٦٨. حسان، محمد . ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م. خواطر على طريق الدعوة، المنصورة: مكتبة فياض، ط١.

٦٩. حسين، محمد محمد. ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م. الإسلام والحضارة الغربية، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط١.

٧٠. الحميدي، عبد العزيز بن عبد الله. ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م. التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، الإسكندرية: دار الدعوة، ط١.

٧١. الحوالي، سفر بن عبد الرحمن. ١٤١٨هـ، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، القاهرة: مكتب الطيب، ط٢.

٧٢. الحوالي، سفر بن عبد الرحمن. ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م. العلمانية نشأتها وتطورها، رسالة ماجستير، القاهرة: مكتب الطيب، ط٢.

٧٣. الذهبي. ١٤١٩هـ-١٩٩٨م. سير أعلام النبلاء، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١١.

٧٤. رضا، محمد رشيد. ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م. تفسير المنار، القاهرة: دار المنار، ط٢.

٧٥. الزبيدي، محمد مرتضى. ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. تاج العروس، تحقيق: ضاحي عبد الباقي، الكويت: التراث العربي، ط١.

٧٦. الزركلي، خير الدين. ٢٠٠٢م. الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٥.

٧٧. الزهراني، علي بن بخيت. ١٤١٨هـ-١٩٩٨م. الانحرافات العقدية والعلمية وآثارهما في حياة الأمة، مكة المكرمة: دار طيبة، ط٢.

٧٨. زيدان، عبد الكريم. ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م. المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١.

٧٩. سالم، عطية محمد. ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م. تتمة أضواء البيان، القاهرة:

دار الحديث، ط١.

٨٠. السرجاني، راغب. ٢٠٠٨م. الحروب الصليبية، القاهرة: مؤسسة اقرأ، ط١.

٨١. السرجاني، راغب. ٢٠٠٧م. الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، القاهرة: مؤسسة اقرأ، ط٧.

٨٢. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الرياض: دار السلام، ط١.

٨٣. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م. الفتاوى السعدية، الرياض: مكتبة المعارف، ط٢.

٨٤. السناني، عصام. ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م. حقيقة الولاء والبراء في الكتاب والسُّنة، الكويت: مكتبة الإمام الذهبي، ط٢.

٨٥. الشاطبي. ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م. الموافقات، تحقيق: مشهور آل سلمان، القاهرة: دار ابن عفان، ط٢.

٨٦. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى. ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م. الموافقات، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، القاهرة: دار ابن عفان، ط٢.

٨٧. الشاطبي، أبو إسحاق، إبراهيم بن موسى. ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م. الاعتصام، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، عمان، الدار الأثرية، ط٢.

٨٨. الشدي، عادل بن علي. ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م. دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة، رسالة ماجستير، الرياض: دار الوطن، ط١.

٨٩. الشوكاني، محمد بن علي. ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م. أدب الطلب ومنتهى الإرب، بيروت: دار ابن حزم، ط١.

٩٠. صالح بن عبد بن حميد، وعبد الرحمن بن عبد الرحمن بن ملوح. ١٤٣١هـ-٢٠١٠م. نضرة النعيم، جدة: دارالوسيلة، ط٧.

٩١. الصلابي. ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م. فقه التمكين في القرآن الكريم، دمشق: دار ابن كثير، ط١.

٩٢. الصلابي، علي بن محمد. ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م. الحسن بن علي بن أبي طالب؛ شخصيته وعصره، بيروت: دار المعرفة، ط١.

٩٣. الصلابي، علي بن محمد. ١٤٣٢هـ-٢٠١١م. تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، بيروت: دار المعرفة، ط٤.

٩٤. الصلابي، علي محمد. ١٤٣١هـ-٢٠١٠م. الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط، بيروت: دار المعرفة، ط٦.

٩٥. الصلابي، علي محمد. ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م. نور الدين محمود؛ شخصيته وعصره، القاهرة: مؤسسة اقرأ، ط١.

٩٦. الصلابي، علي محمد. ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م. أبو بكر الصديق؛ شخصيته وعصره، القاهرة: دار ابن حزم، ط١.

٩٧. الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير. ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م. تاريخ الأمم

والملوك تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ط٢.

٩٨. الطبري، محمد بن جرير. ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة: دار هجر، ط١.

٩٩. طقوش، محمد سهيل. ١٤٣١هـ-٢٠١٠م. تاريخ المسلمين في الأندلس، بيروت: دار النفائس، ط٣.

١٠٠. طقوش، محمد سهيل. ١٤٣٢هـ-٢٠١١م. التاريخ الإسلامي الوجيز، ط٥، بيروت: دار النفائس.

١٠١. طويلة، عبد الوهاب عبد السلام. ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م. الحسن بن علي وعام الجماعة، القاهرة: دار السلام، ط١.

١٠٢. ظهير، إحسان إلهي. ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م. الشيعة والتشيع، القاهرة: دار ابن حزم، ط١.

١٠٣. ظهير، إحسان إلهي. ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م. الشيعة وأهل البيت، القاهرة: دار بن حزم، ط١.

١٠٤. العثيمين، محمد صالح. ١٤٢٢هـ شرح حلية طالب العلم، الإسكندرية: دار البصيرة، ط١.

١٠٥. العسقلاني، ابن حجر. ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. فتح الباري، القاهرة: دار الريان للتراث، ط٢.

١٠٦. العمري، أكرم. ١٤١٤هـ. عصر الخلافة الراشدة، الرياض: مكتبة العبيكان.

١٠٧. العواجي، غالب بن علي. ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، جدة: المكتبة العصرية الذهبية، ط٥.

١٠٨. العوني، الشريف، حاتم. ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م. الولاء والبراء بين الغلو والجفاء، الرياض: دار الصميعي، ط١.

١٠٩. عويس، عبد الحليم. ١٤٣١هـ-٢٠١٠م. أوراق ذابلة من حضارتنا، القاهرة: مؤسسة اقرأ، ط١.

١١٠. الفوزان، صالح بن فوزان. ١٤٢٥هـ. شرح نواقض الإسلام، الرياض: مكتبة الرشد، ط٣.

١١١. الفوزان، صالح بن فوزان. ١٤٣٢هـ-٢٠١١م. الولاء والبراء في الإسلام، القاهرة: مكتبة السُّنة، ط٣.

١١٢. القطان، مناع. ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م. تاريخ التشريع الإسلامي، القاهرة: مكتبة وهبة، ط٤.

١١٣. قطب، محمد. ٢٠٠٨م. واقعنا المعاصر، القاهرة: دار الشروق، ط٣.

١١٤. الكلاعي، سليمان بن موسى. ١٤١٧هـ-١٩٩٧م. الاكتفاء، تحقيق: محمد كمال الدين، بيروت: عالم الكتب، ط١.

١١٥. مزروعة، محمود. ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م. مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، القاهرة: دار الرضا، ط١.

١١٦. مسلم، صحيح مسلم. ١٤١٩هـ-١٩٩٨م. القاهرة: دار الحديث، ط٣.

١١٧. النجدي، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. ١٤١٧هـ-١٩٩٦م. الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ط ٦.

١١٨. الندوي، أبو الحسن علي. ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م. المرتضى أبي الحسن علي بن أبي طالب، دمشق: دار القلم، ط٣.

١١٩. الندوي، أبو الحسن. ١٤١٠هـ-١٩٩٠م. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ القاهرة: مكتبة السُّنة، ط٢.

١٢٠. النسائي. ١٤٢١هـ-٢٠٠١م. السنن الكبرى للنسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١.

١٢١. النووي. ١٤١٩هـ-١٩٩٨م. شرح صحيح مسلم، تحقيق: عصام الصبابطي، القاهرة: دار الحديث، ط٣.

١٢٢. ياسين، محمد نعيم. ١٤١٢هـ -١٩٩١م. الإيمان؛ أركانه، حقيقته، نواقضه، القاهرة: مكتبة السُّنة، ط١.